علي بن عبد الكريم الفضيل شرف الدين



الزيدية

نظرية وتطبيق

١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م

الطبعة الأولى

١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م

الطابعون

جمعية عمال المطابع التعاونية

عمان - تلفون ٦٣٧٧٧١ - ص.ب ٨٥٧

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

اذا كان العَلَم المُمَيِّز للمذهب الزيدي على امتداد التاريخ الاسلامي هو التجديد المستمر دون التقيد باجتهاد فرد واحد من أئمته أو علمائه أو التمحور الفكري حول ما توصلوا اليه من اجتهادات. فان المطّلع المتتبع لتاريخ الفكر الزيدي يعلم بأنه بقي منفتحا على جميع المذاهب الاسلامية المعتبرة يأخذ منها ماله أساس ومستند من كتاب الله والصحيح من سنة رسول الله (صلى الله عليه وسلم) دونما تعصب، أو جمود، أو انغلاق. بل ان من قواعد المذهب عدم جواز التقليد عند المتمكنين من العلماء القادرين على استنباط الأحكام من الكتاب والسنة. وبذلك بقي المذهب وعلماؤه رواد تجديد واصلاح يعملون لايجاد حلول لمختلف قضايا الحياه المتجددة في كل العصور ايمانا منهم بأن الدين الاسلامي الحنيف الذي أنزل على خاتم الانبياء (صلى الله عليه وسلم) ليبلغه الى البشرية جمعاء هذا الدين قد جاء واسعا رحبا ليستوعب مختلف قضايا البشرية في مختلف المجتمعات والعصور ويضع لها الحلول الايجابيه الناجعة، والاّ لما كان القرآن آخر الكتب السماوية المنزّلة، ولما كان محمد خاتم الرسل والانبياء وآخرهم حتى قيام الساعة.

من هذه النظرة الشمولية، واستجابة لفهمهم المستوعب لروح التشريع وادراكهم الواعي لكبريات المقاصد الشرعية ورحابتها بحيث لم تضيق على الأمة، انطلق أئمة وعلماء المذهب الزيدي من مواقع فكرية متقدمة في ممارسة دورهم الرائد ليرفدوا الفقه الاسلامي بدراسات وبحوث ومؤلفات عديده مستندها الكتاب والصحيح من السنة، ثم الاجماع والقياس.

وإذا كانت المكتبة الاسلامية قد ازدانت وازدهرت بالحشد الضخم والتراث الفقهي الجليل وانتشرت آلاف الكتب لمعظم أئمة المذاهب الاسلامية فان الكثير من مؤلفات الزيدية بقيت مخطوطة بعيدة الانتوال، وحتى ما طبع منها لم ينشر بالشكل الكافي. وبقي الفكر الاسلامي الزيدي نتيجة لذلك موضع جدل عند الكثير من المسلمين الاّ العلماء والباحثين الذين ألّفوا عنه الكثير وانصفوا ائمته وفقهاءه بل وطالبوا علماءه بنشر ذلك التراث الجليل الذي يمثل عطاء فكريا مشعا ليتبوء مكانته في المكتبة الاسلامية ويسهم في اثرائها. ومنذ فترة غير قصيرة كنت أتمنى أن يهيء الله أحد علماء الزيدية ليضطلع بمهمة تأليف كتاب يعرض فيه المذهب «**الزيدي**» في ايجاز وبأسلوب حديث

مبسط، بحيث لا يكون الايجاز سببا في اغفال شيء من الاصول أو الفروع، ولا يكون التبسيط علّة تجحف بقيمة وجوهر العطاء الفكري الناصع وأئمته وعلمائه. إلى أن جاء كتاب «الزيدية نظرية وتطبيق» للسيد العلامة علي عبدالكريم الفضيل حفظه الله، فوجدت فيه استجابة وتحقيقا للكثير مما تمنيته. إذ لم أقف على كتابة حديثه تعرض في اسلوب مبسط موجز المذهب الزيدي كهذا الكتاب. فبالرغم من أن المؤلفات الزيدية تمثل تراثا إسلاميا عظيما، ولكنها على غزارة عطائها وسعة بحوثها تبقى مراجع ذات قيمة علمية كبيرة، وكنزا ثمينا لفكر اسلامي يشع بالضياء الآ أنه لا يتأتى تناولها وتفهمها لغير ذوي التخصصات والباحثين والعلماء شأنها في ذلك شأن معظم المراجع العظيمة لأئمة وفقهاء الامة في مختلف الاقطار العربية والاسلامية لذلك بقي المذهب الزيدي مفتقرا الى من يلخصه ويعرضه بمثل هذا الاسلوب المبسط الجذاب المتكامل. ليصبح في متناول كل من يريد التعرف عليه. فهذا الكتاب يمثل عطاء علميا سخيا لطلبة العلم والباحثين، وجهدا كريما، وعرضا وافيا، مما يدل على أصالة فكر المؤلف وطول باعه العلمي.

من هنا تأتي أهمية هذا الكتاب الذي نضعه بين يدي القارىء العربي والمسلم كمحصلة قيّمة لجهد علمي لا يستهان به ولا يستغنى عنه كمرجع موجز قيم.

والله من وراء القصد.

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا تقديم وتقريض المولى الجهبذ الكبير مفتي اليمن سابقا أبو الحسنين مجد الدين بن محمد بن منصور المويدي لتلميذه المؤلف السيد العلامة علي بن عبدالكريم الفضيل.

الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى كانت المطالعة لورقات من كتاب الزيدية نظرية وتطبيق عرض عليّ عجالة عند التوجه به لطبعه وعسى الله ان ينفع به واقول بمقتضى الحال من الاستعجال:

هذا كتاب قيّم لمحقق ... ومدقق في السّبك أيّ مدقق
هذا فرات سلسبيل فارتشف ... من فيضه المتسلسل المتدفق
قد صاغه ببلاغة وبراعة ... وثقافة ولباقة وتفوق
نبراس آل المصطفى وجمال آ ... ل المرتضى وذوابة الشرف النقي
اما الذي سماهم زيدية ... فامامهم نجم الهدى البر التقى
وتلاه آل محمد من بعده ... وفطاحل الاعلام كل مُحَلِّق
هذا هو القول الصحيح اتت به ... كتب الهداية فاسألوها تنطق
وانظر الى الشافي تجده مصرحا ... عن أهل بيت محمد بتحقق
مهلا جمال الدين ليست نسبة ... حزبية لتعصب وتفرق

هذا وقد تفضل حرسه الله تعالى بطلب هذا وابداء ما عندي في ذلك.

ولا بأس بزيادة الايضاح في هذا المعنى الحقيق بالتحقيق والله ولي التوفيق الى أقوم طريق قوله حماه الله وتولاه ان هذه النسبة أي الزيدية لم يطلقها الامام زيد على اتباعه ولا اطلقها في البداية اتباعه على أنفسهم وانما أطلقها حكام بني أمية على كل ثائر عليهم بعد الامام زيد من أهل البيت النبوي الشريف الى قوله فالتسمية هذه تسمية سياسية في الاصل إلى آخره. فأقول وبالله التوفيق هذا عجيب غريب لم يسبق اليه أحد من الزيدية ولا غيرهم وانما بعض اعدائهم هم الذين انكروا كونهم زيدية متابعين للامام الاعظم زيد بن علي عليهما السلام لجلالة محله وعظيم منزلته عند جميع علماء الاسلام فحسدوهم على انتسابهم اليه وتوصلوا بكل ممكن إلى ابعادهم عن هذه النسبة الشريفة العظيمة التي ليست لأحد من فرق الأمة، وممن بالغ في ذلك فقيه الخارقة الذي رد عليه الامام الحجة عبدالله بن حمزه عليه السلام بما هو مشروح في الشافي. فمن العجب أن يؤيّد كلامه ويُستدل على نفيها بمالا دليل فيه.

فالمعلوم أن أهل البيت عليهم السلام من بعد الامام الاعظم زيد بن علي عليهما السلام انتسبوا اليه وتسموا زيدية أولهم وآخرهم وسابقهم ولاحقهم هذا مجمع عليه بينهم لا يعلم فيه نزاع ولا خلاف ولولا أن الاستدلال على ذلك كالاستدلال على الضروريات لسقت كلامهم. وقد أوضحت في شرح الزلف ولوامع الانوار والجوابات المهمة ما قد يشكل على من لم يتفهم أو لم يرد أن يتفهم الموجب لتخصيص الانتساب الى الامام الاعظم عليه السلام **وملخصه**: انها لما عظمت الفتنة واشتدت المحنة وتفرقت الأمة واستحكمت الظلمة لا سيما على أهل بيت النبوءة وأوليائهم وظهر الفساد وتعطل الجهاد بعد استشهاد سيد شباب أهل الجنة سبط رسول الله ﷺ اثنين **وستين عاما وقام** بحجة رب العالمين وتجديد شريعة سيد المرسلين عليهم الصلوة والتسليم وفتح باب الجهاد والاجتهاد ودعا الى ما فيه حياة العباد والبلاد إمام الأئمة الإمام الأعظم زيد بن علي بن الحسين بن علي عليهم السلام واتبعه على ذلك أئمة الهدى من أهل بيت النبوءة واوليائهم، اختاروه علما بينهم وبين الأمه بعد أمير المؤمنين وولديه السبطين عليهم السلام فانتسبوا اليه ليتميزوا بذلك ويعرف منهجهم وفريقهم ولم يمكن التمييز بالانتساب الى من فوقه أما الرسول ﷺ أو أتباع الكتاب والسنة فتلك دعوى مشتركة بين جميع المسلمين والانتساب الى أمير المؤمنين عليه السلام وان ميزهم عن أكثر الفرق لا يكفي لأن ثمة من ينتسب إليه من سائر الطوائف المدعية للتشيع وبينهم خلاف كبير فلم يمكن التمييز كل التمييز إلا بالانتساب إليه عليه السلام وقد أوضح ذلك كل الايضاح كامل أهل البيت عبدالله بن الحسن بن الحسن بن علي عليهم السلام في عصره حيث قال العلم بيننا وبين الناس علي بن أبي طالب والعلم بيننا وبين الشيعة زيد بن علي وقد جعلت كلامه وكلام ولده الامام محمد بن عبدالله النفس الزكية دليلا على أن أهل البيت في عصره انتسبوا اليه وجعلوه علما لهم وهو دليل صريح على انهم هم الذين نسبوا أنفسهم اليه لا أعداؤهم كما ذكر وقد أوردت كلامهما في شرح الزلف وفي الجوابات المهمة وهذا معلوم مجمع عليه لا ريب فيه. قال الامام المنصور بالله عبدالله بن حمزه عليه السلام في الشافي، واختصت الفرقة هذه من العترة وشيعتهم بالزيدية والا فالأصل علي عليه السلام والتشيع له لخروج زيد بن علي على أئمة الظلمة وقتالهم في الدين فمن صوبهم من الشيعة وصوبه وحذا حذوه من العترة فهو زيدي بغير خلاف بين أهل الاسلام، وقال عليه السلام، وزيد بن علي عليه السلام أضاف أهل البيت مذهبهم إليه قالوا نحن زيدية الى آخره. فهل هذا صريح في أنه لا خلاف بين أهل

الإسلام في نسبتهم اليه وان أهل البيت هم الذين أضافوا مذهبهم اليه وقالوا هم زيدية لا اعداؤهم الأموية ولا العباسية وهل أحد اعرف بهذا الشأن من هذا الإمام ولا ينبئك مثل خبير وروى عليه السلام بسنده في الشافي الى الإمام زيد بن علي عليهما السلام انه قال: الأئمة المفترضة منا طاعتهم علي بن أبي طالب والحسن والحسين عليهم السلام والقائم بالسيف يدعو الى كتاب ربه وسنة نبيه صلى الله عليه وآله وسلم قال الامام عليه السلام فهذا أيها الفقيه هو الذي ذكرنا لك أنا سمينا زيدية لاتباعنا زيد بن علي في القيام بالسيف على أئمة الضلال وحزب الشيطان فأما سائر الأصول الدينية فرأي آبائنا عليهم السلام فيها واحد وكذلك الخروج على أئمة الجور والدعا الى الله سبحانه ولكن زيد بن علي عليه السلام اعتقد وقال وفعل ومن كان في أيامه لم يفعلوا فكان أولى بذلك عليه السلام ففتح باب الجهاد فمن حذا حذوه فله فضل التقدم وهو زيدي عندنا أهل البيت وعند شيعتنا رضي الله عنهم انتهى.

وكلام أعلام الأئمة وعلماء الأمة على هذا المنوال بلا ريب ولا اشكال فهذه النسبة مفخرة عند أعلام الأمة قال الزمخشري صاحب الكشاف يمدح علي بن عيسى الحسني:

ولم يتزيد قط في منطق وان ... تذوكر أقوال الهداة تزيدا

أي انتسب الى الامام زيد بن علي عليهما السلام رواه في مطلع البدور.

وأما أن الإمام الأعظم زيد بن علي عليهما السلام هو الذي سماهم بالزيدية فأولاً هذا غير شرط في الانتساب باجماع الأمة المحمدية فلم يشترط أحد في النسبة الى أي إمام أن يسميهم هو بتلك النسبة وهل سبق أن طالب أحد الحنفية أو الشافعية أو المالكية أو الحنبلية أو غيرهم أن يبينوا على أن أئمتهم سموهم بهذه الأسماء أو نسبوهم هذه النسب فهذا شيء غريب لم يسبق اليه. ثانيا أنه قد اشتهر وظهر عند الأمة أن الإمام الأعظم زيد بن علي عليهما السلام سمى من تابعه وناصره زيدية كما أنه سمى الذين رفضوه رافضه وبذلك اتضح للأمة بالاجماع الفرقة الرافضة التي وردت بها الأخبار النبوية التي رواها هو عليه السلام ورواها أئمة آل محمد عليهم السلام وغيرهم منهم الإمام الهادي الى الحق المبين بالسند المسلسل النبوي عن أبائه عن رسول الله ﷺ كما اتضحت الفرقة الباغية الداعية إلى النار بقتل عمّار رضوان الله عليه وفرق الناكثين والمارقين بقتالهم أمير المؤمنين وسيد المسلمين عليه السلام وتمييزه لهم وتسميته وتعيينه وقد اعترف بتسمية الامام عليه السلام للزيدية والرافضه الموالف والمخالف وقد نقلت كلام

الشيخ ابن تيمية وغيره في ذلك وهذا أمر لا يحتاج الى بيان ولا إقامة برهان. واعلن ان النُسب المميزة للفرق بعضها عن بعض أمر ضروري سواء كانت الى إمام أو مذهب وفي أصول أو فروع ولا يكفي النسبة العامة للمختلفين وإنما المذموم هوالمنابزة بالالقاب الذميمة بغير حق ولقصد التفرقة والمخالفة بين المحقين أما الأسماء والنسب التي يقصد بها التمييز والتعيين فقد ورد بها الكتاب والسنة واجمعت عليها الأمة ولولا ذلك لما تميزت فرقة عن فرقة ولا أمة عن أمة هذا أمر معلوم متقرر مرسوم. هذا وقد أوضحت في المنهج الأقوم وغيره ان النسبة هذه ليست كسائر النسب الفقهية التي يقصد بها التقليد ودللت على ذلك بما فيه الكفاية.

وأما قوله حرسه الله أن الزيدية لا تعتقد ان الإمام زيد بن علي أولى بالتقليد من غيره كالامام جعفر الصادق ولا أنهما أولى بالتقليد من الامام القاسم بن ابراهيم أو حفيده الهادي الى الحق يحيى بن الحسين ولا انهم جميعا أولى بالتقليد من أبائهم واجدادهم فهذا كلام عجيب وفي أي كتاب قالوا ذلك وأي امام منهم أو عالم نص، على أنهم لا يعتقدون أن الامام زيد بن علي ليس أولى من الامام جعفر الصادق الخ. والذي نصوا عليه أن تقليد الحي أولى من تقليد الميت والأعلم أولى الخ. فكانوا اذا ظهر إمام من أعلام الأئمة واتضحت لهم أقواله فيما يحتاجون اليه تابعه أهل عصره وإذا ظهر بعده آخر كذلك لئن غيره وان كان أعلم يصعب عليهم معرفة أقواله في كل مسئلة ولهذا انقسمت الزيدية في الفروع الى قاسميه وناصرية وهادوية ومؤيدية وهذه هي النسب الموافقة لنسب أهل المذاهب الفقهية وتطلق على أولاد الإمام وأصحابه وان كانوا مجتهدين فيدخل في القاسمية مثلا الهادي وأولاده واصحابهم وهكذا للنسب وللموافقة في أكثر المذهب من المجتهد اجتهادا ومن المقلد تقليدا. فأما أمير المؤمنين عليه السلام فقوله عند جمهور أهل البيت لا سيما قدمائهم دليل واجب الاتباع وليس بتقليد فلا صحة اصلا للقول أنه عندهم ليس أولى فأهل البيت وفي مقدمتهم اخوة الامام محمد الباقر وولده جعفر الصادق الذي بايعه عند اهل البيت واخرج معه ولديه موسى وعبدالله مجمعون على ان الامام الاعظم زيد بن علي عليهما السلام افضل اهل البيت من بعده ولولا التطويل لسقت كلماتهم بل وكلمات غيرهم من علماء الامة المصرحين بتفضيله على غيره فما كان اغنانا عن مثل هذا الكلام الذي لا صحة له ولا ثمرة فيه وكلهم نجوم هدى وبهم يقتدى:

من تلق منهم تقل لاقيت سيدهم ... مثل النجوم التي يسري بها الساري

فأما المذهب الفقهي المعروف المتداول بين أهل الفقه في اليمن فليس المراد به

المذهب الزيدي كما يتوهم ولا مذهب جملة أهل البيت بل المراد به في الاصل كما نص عليه اعلام المحققين قواعد واصول اخذوها من اقوال الامام القاسم بن ابراهيم واولاده وحفيده الهادي الى الحق وولديه المرتضي والناصر عليهم السلام نصا أو تخريجا ثم توسعوا في ذلك فصاروا يُذَهِّبون على ما ترجح عندهم على مقتضى تلك القواعد وان خالف نص الامام الهادي الى الحق عليه السلام الـذي هو امام المذهب على التحقيق فضلا عن غيره ولهذا رجح كثير من الأئمة الاعلام للمتابع أن يأخذ بالنص ويترك التخريج المخالف له ومنهم الامام المجدد للدين المنصور بالله القاسم بن محمد عليه السلام فانه ضعف التخاريج غاية التضعيف وبسط القول في ذلك بما فيه الكفاية في كتابة الارشاد وكذا غيره من الأئمة عليهم السلام ولكن أهل الجمود على التقليد لا يروق لهم ذلك حتى لقد أداهم الى الاستنكار على من ترجح له من المجتهدين خلافه بالادلة الصحيحة وما علموا انهم مخالفون للمذهب نفسه فانه يوجب على المجتهد العمل باجتهاده وانه نص على أن تقليد الحي أولى ولقد صاروا ذريعة الى التشنيع على الزيدية وهذا من شؤم الغلو والخروج عن حد الاعتدال وهو خلاف ما عليه اعلام الزيدية الذين تميز مذهبهم بفتح باب الجهاد والاجتهاد والدعا الى العمل بالكتاب والسنة وسلوك سبيل الرشاد وقد طال البحث ولكنه خليق بالبسط لولا محبة الاختصار والقصد النصح والبيان والخروج من دائرة الكتمان والله الموفق للصواب واليه المرجع والمآب.

المفتقر الى الله سبحانه ابو الحسين مجد الدين بن محمد
بن منصور المويدي عفا الله عنهم وغفر لهم وللمؤمنين


المجلس
الإسلامي

مقتطفات من تقاريض كبار علماء الزيدية
لكتاب (الزيدية نظرية وتطبيق)

لقد كان عام ١٤٠٤هـ عام عطاء وخير بالنسبة لي، فقد زرت البيت الحرام معتمرا وكنت أقرأ فيه صورة الرسول عليه وآله الصلاة والتسليم وهو يتنقل في رحابه، يهدي الضال ويرشد المضلين، وساعدني الحظ أن زرت مدينة الطائف لأجري فحوصات طبية كان لا بد لي منها وبها زارني أخ كريم، وعالم باحث هو فضيلة العلامة علي عبدالكريم الفضيل شرف الدين أبقاه الله وأعطاني نسخة خطية من أحدث مؤلف له وهو (الزيدية نظرية وتطبيق) فتناولته جرعة جرعة، وشربت كلماته ومداده.

وقد كان المؤلف موفقا الى حد بعيد اذ أبان للناس وكشف كنزا تراثيا اسلاميا ما كان بالأمر السهل اكتشافه لا سيما وقد دب في صفوف الناس الوهن، واعتراهم الخور.

وقد كان اكثر توفيقا حينما أخذ بمجامع الكلام وجلب الوقائع الجسام في جمل خفيفة وهادئة وصادقة، وكم هو رائع أن يكون الكاتب صادقا وأمينا، وليسمح لي القارىء اذا قلت إن هذا أول كتاب حديث أقرأه وأنا راض عنه وعن كاتبه لا لأنه أخرج للناس تراثا مغمورا، ولا لأنه كشف الستار فأبان فرسانا من فرسان الإسلام وقبسا مضيئا من كرائم بني الانسان فحسب،وانما لأنه كان أمينا وصادقا، ويا حبذا لو اهتدى بهديه الكتاب والمؤلفون المعاصرون الذين يكتبون لأهوائهم ويؤرخون لأغراضهم، مرحى مرحى أيها المؤلف الجليل، ومزيدا من كشف هذه الكنوز الثمينة والتي هي خدمة لله، ولكتابه، ولسنة رسوله قبل أن تكون خدمة للبشر، زاد الله من أمثالك، وبارك لك وللناس في كنوزك ونفائس حروفك وكلماتك..

في ١٨ رمضان ١٤٠٤هـ

محمد بن محمد المطاع
عضو المحكمة العليا، للنقض والاقرار


المجلس
الإسلامي

مما جاء في تقريض مولانا العلامة الحجة بدر الدين بن أمير الدين الحوثي حفظه الله وأبقاه مالفظه:

الحمد لله

لقد ألفت مؤلفات في هذا العصر للتعريف بالمذهب الزيدي، ولكن بعضها جاء فيه غلط لم يحمد عليه مؤلفه، بل كان دليلا على تعصب، أو قصور في المعرفة بالمذهب الزيدي، أما هذا المؤلف (الزيدية نظرية وتطبيق) فهو الكتاب المفيد الذي يصلح اعتماده لمعرفة المذهب الزيدي، وللحصول على الفائدة العظيمة في علم أصول الدين، بتصحيح العقيدة، ودفع الشبه القديمة والجديدة، مع ما فيه من تهذيب العبارة، وأسلوب الكلام المرغوب في هذا العصر.... إلى آخره. ثم قرضه شعرا فقال حفظه الله:

لله درك من كتاب كاشف	لغياهب وموضح الحق الخفي
يا طالب التحقيق دونكه وقل	لله در مؤلف ومؤلف
انظر إليه بعين إنصاف فلم	يظفر بنور الحق غير المنصف
واشكر مؤلفه على نعمائه	فلقد أجاد به الشفاء لمشتفي

وبعد أن اطلع على الكتاب مولانا العلامة المفتي إسماعيل بن أحمد المختفي حفظه الله أجاز التقريض السابق بقوله:

يا بدر دين الله أفضل منصف	أحسنت في تقريظ خير مؤلف
هو للفضيل علا بفضل ظاهر	فعلي المشهور بالبر الوفي
نقل الحقيقة نقل حبر عارف	لم يتصف بتعصب وتعسف
جازاه ربي في النعيم أجلها	وتقبلا شكر الصديق المختفي

أما المولى العلامة عضو اللجنة العليا للمعهد العلمي بصعدة عبدالرحمن بن حسين بن محمد شائم فقد جاء في تقريضه ما يلي:

الحمد لله

طالعت الكتاب الموسوم (بالزيدية نظرية وتطبيق) للعالم المحقق والأستاذ الفاضل المدقق الحري بالتعظيم والتبجيل سيدي علي بن عبدالكريم الفضيل حفظه الله، فوجدته كتابا كاملا في فنه قد بين مؤلفه الحقائق وأتى فيه بالدقائق، وإن صغر حجمه فقد عم نفعه.... إلى قوله: قد جمع من مذاهب الزيدية الحاصل والمحصول ووفى فيه المقاصد فهو الكفيل بإرشاد الفحول فعندما تأملته وجدته شاملا كاملا ووجدته عن العيوب عاطلا... إلى آخره.. ثم قرضه شعرا فقال حفظه الله:

هـذا كتـاب تنـاصـف وتصـاف	وحقـائـق جمعـت بغير جـزاف
جمع الدقـائـق مـن علـوم أئمـة	وأتـى بمحـض الحق في إنصـاف
فعليك يـا بـاغـي النجـاة بحفظـه	وبـدرسـه فـالحق ليس بخاف
للـه در مـؤلـف ومـؤلـف	في فنـه لـذوي البصيرة كـاف
يـا صـاحـب السمـط الذي نظمتـه	كـالـدر منزوعـا مـن الأصـداف
دم في ريـاض عـوارف ومعـارف	محروس مـن كيـد البغيـض الجافي

بسم الله الرحمن الرحيم وبه استعين وصلى الله وسلم على محمد وآله الطاهرين.

وبعـــد

ففي تراثنا الإسلامي الكثير الطيب الذي يخدم الإنسانية اليوم كما خدمها بالأمس ويزيل عنها أعباء الظلم والضلال ،كما أزال عنها كل ذلك بالأمس، ويرفعها كما رفعها بالأمس من مهاوي المذلة والهوان إلى قمم العزة والمجد والكرامة، فخفقت راياتها في الصين شرقا، وارتفعت أعلامها على جبال فرنسا غربا، في مدة بهر قصرها كل الباحثين، وبأيدي الأمة التي كان الجهل حليفها، والخرافة أليفتها، مزقتها الأهواء مزقا شتى، وطحنتها الأحقاد طحنا كادت به أن تكون كالرماد في مهب الرياح، ثم أنعم الله عليها فنجاها بالإسلام، وصبغها بصبغة العدل والتوحيد، فكانت بعد ذلك أمة الفتح، وأمة الخلاص، وأمة هذا التراث الإنساني العظيم، ولم تكن كذلك إلا لأنها اعتصمت بالإسلام وتمسكت بمبادئه، ونهجت نهجه المرسوم في القرآن الكريم، في تكريم الإنسان، وفي تحديد علاقته بالحياة، وعلاقته بخالق الحياة، ولم تعتبر الإيمان بذلك طقوسا رتيبة، ولا اعتبرته إتكالية مريبة، وإنما اعتبرته عقيدة تعتقد، وسلوكا يمارس، ونظاما يطبق، بلا فوارق طبقية ولا تمييزات عرقية، وذلك لأنه دين الجميع وسلوكهم، ولأنه النظام الإنساني الذي ينعم به كل من يستظل بظله أيًا كان وفي أي زمان أو مكان كان.

وبذلك المفهوم للإسلام خاض أولئك الرجال من السلف كل مشاكل الحياة خاصها وعامها، فكريها وماديها، اجتماعيها واقتصاديها، سياسيها وعسكريها إلى غير ذلك من مجالات الحياة، وبه حاربوا الجهل والإلحاد وتصارعوا مع دعاة الظلم والفساد ،حتى ساد الإيمان الحق في أكثر المعمورة وحكمها بالعدل والإنصاف تحت راية القرآن وقوانين الشريعة السماوية العادلة.

لقد خاض اولئك السلف تلك المعارك لا ليتسلطوا على الناس، ولا ليتحكموا في شعوبهم بقوة الحديد والنار، وإنما خاضوها لكي يحققوا للناس كل الناس تلك القيم الإنسانية الرفيعة التي لم يدركها دعاة التحرر في الغرب أو الشرق إلا بعد أن أدركها أولئك بأثني عشر قرنا تقريبا[1] خلا أن هؤلاء الدعاة قد أدركوها حين أن كان

---

(١) التحديد بهذه القرون تقريبي والافهي تختلف باختلاف ظهور الحكم الدستوري في بلدانها.
ففي بريطانيا تحدد بظهور البرلمانية فيها سنة ١٧٠٢م ١١٢٣هـ

الوهن قد أقعد جموع المسلمين عن اللحاق بمواكب أسلافهم. فأخلدوا إلى الأرض، ومضى دعاة التحرر الغربي والشرقي في سبيلهم الجديد حيث طبقوا من تلك المبادىء ما أرضى طموحاتهم المادية، وحققوا بها ما أرادوا من مصالحهم الدنيوية، وكذلك فعلوا بما عرفوه من مبادىء عيسى وموسى عليهما السلام ـ ثم صاغوها للآخرين في شعارات مغرية خادعة كي يمهدوا في ظلها على أرضية الآخرين مسالك الإنفلات والسياب المضاءة بشموع الشهوات المرفوعة على أعمدة المصالح المادية لا سوى.

أمّا الصالحون وهم الأقل عددا فقد تجنبوها، وأما عبيد الشهوات وعباد المصالح فقد انخرطوا فيها بل وغاصوا في أوحالها إلى الأذقان، وعليهم اعتمد المستعمرون، وعلى أكتافهم رفعوا شعاراتهم الخادعة، فالتهى أولئك المساكين بما على أكتافهم منها، وشغلوا بها عن كل ما سواها، وكذلك عاشوا فلم ينفعوا وطنا، ولا خدموا أمة، ولا رفعوا لها مجدا، ولا نهضوا بها شبرا، ولا تقدموا بها باعا، ولا صانوا لها تراثا، ولا أراحو ولا استراحوا وهم مع ذلك كله لا يقبلون نصحا، وإذا قيل لهم: لا تفسدوا في الأرض قالوا: إنما نحن مصلحون. ألا إنهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون. (١٢/البقرة)

ولعل الأجيال سوف تدرك الفارق العظيم بين من جعل القيم الإنسانية مجرد شعارات للخداع وللمزايدة وبين من جعلها أساسا من أسس الحياة الأفضل، وقاعدة من قواعد الرخاء والإزدهار، وحصنا من حصون الأمن والإستقرار، رافعين شعار العدل والتوحيد الذي هو أدق كل الشعارات تعبيرا، وأعمقها مفهوما، وأشملها مضمونا، إنه شعار الإسلام (لا إله إلا الله محمد رسول الله) كلمة التوحيد.

ولقد آن لنا أن نرجع إلى ذلك التراث الفكري الإسلامي العظيم، لنعيد إلى قلوبنا ذلك النور الذي كشفنا به ظلمات المشرق والمغرب، ولنحيي به ما أماتت المادية من عزائمنا وطموحاتنا، فنوصل الحاضر بالماضي ـ وان كانت الشقة قد بعدت وحال بينهما موج من الإنحراف والتضليل ـ لأن ماضينا الإسلامي هو أساس كل الحضارات الإنسانية الرفيعة ـ وبذلك تتوضح معالم الحاضر والمستقبل، فلا نضل ولا نضل، ولا

وفي فرنسا تحدد بظهور الدستور فيها سنة ١٧٩١م ١٢١٢هـ
ـ وفي روسيا تحدد بظهور الشيوعية فيها سنة ١٩١٧م ـ ١٣٣٨هـ
وفي أمريكا تحدد بظهور الدستور فيها سنة ١٧٨٧م ـ ١٢٠٨هـ
(عن كتاب الوسيط في القانون الدستوري العام د. أدمون رباط)

نكون من المتخلفين الذين لا ماضي خيرا حفظوا، ولا حاضر جيدا استقبلوا، فعاشوا عبئا ثقيلا على المجتمع، ورمزا كاذبا لماضٍ ضيعوه، وحاضر لم يألفوه.

وقد دفعني إيماني بعظمة التراث الفكري الإسلامي وخوفي من الوقوع في المقت الوارد في قوله تعالى: يا أيها الذين آمنوا لم تقولون مالا تفعلون؟ كبر مقتا عند الله أن تقولوا مالا تفعلون (٢، ٣/الصف) إلى مشاركة المخلصين في هذا الميدان بعثا لذلك التراث العظيم من جهة، ودفاعا عنه من جهة ثانية، كي تكون مكتبتنا الإسلامية كافية للقارىء وللباحث على السواء.

وقد اخترت من بين ذلك التراث الإسلامي العظيم (التراث الإسلامي الزيدي) لأني وجدت أنه هو الذي يواجه اليوم الحراب، ويشنع على أصحابه الكثير من الكتاب إمّا جهلا لحقيقته، وإمّا تبريرا للعدوان على أصحابه، وإمّا لباعث من الأهواء والنزعات والطموحات التي وقف الفكر الزيدي لها بالمرصاد على مدى التاريخ لإيمانه بالأسس الإنسانية الإسلامية للحق والعدل والمساواة والحرية والشورى وغير ذلك من المبادىء والقيم والمثل التي تتضمنها المبادىء الآتية:

١ - الإيمان بوجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر - ولو بالثورة على الظالمين إن لزم الحال إلى ذلك. وقد ساق هذا الواجب الزيدية إلى بحوث دقيقة وشاملة لموضوع السلطة من حيث الأهلية والصلاحية، والطاعة وحدودها، واللاطاعة وموجباتها.

٢ - الإيمان بوجوب العدالة الإجتماعية والتوازن الإقتصادي بين الناس لئلا يكون المال دولة بين الأغنياء والأقوياء والمحتالين. والزيدية لهذا ولما هنالك من الأدلة الصحيحة يحرمون تملك المال الحرام، ويحرمون تملك المال بالوسائل الحرام، ويحرمون تملك الفرد أو الحزب أو نحوه للموارد العامة للمسلمين.

٣ - الإيمان بنظرية - الثواب والعقاب - وتطبيقها على كل تصرفات الناس بدون تفريق. ولهذا دخل في المحك والميزان: الأئمة والصحابة، والزعماء والقادة، وغيرهم.

ومهما كان فقد ابتليت الزيدية والزيديون بتلك الكتابات التي صعب معها على الباحث المتجرد معرفة الصواب.

لذلك فسوف أحاول قدر المستطاع أن اقرب للباحث عن حقيقة الفكر الزيدي ولطالبه وسائل معرفته نقلا من النصوص الموجودة في مؤلفات الزيدية تاركا بعد ذلك

للطالب وللباحث حريته في انتهاج ما يريد وفي الحكم بما يريد.

وأحاول مع ذلك أن أوضح للأجيال الصاعدة معالم الفكر الزيدي الإسلامي الذي به اقتنع أسلافهم فاعتنقوه عقيدة، ومارسوه سلوكا، وطبقوه نظاما، وحاربوا على مدى التأريخ الزيدي مناوئي الإسلام بالفكر والمال والدم، فخلدوا بذلك تأريخا ناصع الفكرة وعميقها، ورائع التضحية وشريفها.

ولسوف تعرف أجيالنا بهذا أو بغيره أن الفكر الزيدي ليس أسطورة من الأساطير، ولا خرافة من خرافات المهوسين، ولا كهانة من كهانات المرتزقة العاجزين.

وسوف تعرف أن ما قد ألصق به من الدعايات والإدعاءات لم تكن إلا لغرض تضليلهم ليعيشوا كما عاش الكثير ممن سبقهم، إمّا دمى في أيدي اللاعبين، وإما سلعا في أيدي المتاجرين، وإمّا آلات تحركها الدعايات وتشكلها كما تريد لها مراكز القوى من الطامعين والطامحين. (ولا تحسبن الله غافلا عمّا يعمل الظالمون) ٤٢/ سورة ابراهيم

مدخل البحث

في هذا المدخل يحسن الوقوف قليلا لنتعرف على الزيدية الطائفة قبل التعرف على الزيدية الفكر. فمن هي الزيدية الطائفة؟

يطلق هذا الإسم في عرف الزيدية على أئمة أهل البيت النبوي الشريف ومن تابعهم في العدل والتوحيد، والقول بإمامة زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضوان الله عليهم، ووجوب الخروج ـ الثورة ـ على الظلمة، واستحقاق الإمامة بالفضل والطلب لا بالوراثة، مع القول بتفضيل الإمام علي كرم الله وجهه، وأولويته بالإمامة، وقصرها من بعده في البطنين الحسني والحسيني[1]

ولا يوجد اليوم في اليمن من الفرق الزيدية إلا هذه الفرقة التابعة لأئمة أهل البيت النبوي الشريف ومن وافقهم من الفقهاء المجتهدين من غيرهم وسيأتي ذكر بعضهم في موضعه، أما بقية الفرق الزيدية كالجارودية والسليمانية والصالحية والبترية فلا توجد اليوم إلا في بطون الكتب والمؤلفات في الفرق الإسلامية كالملل والنحل ونحوها. ومعظمها إنما كان عائشا في العراق حيث ظهوره ومولده فيه.

ونسبة الزيدي إلى الزيدية تعني النسبة إلى الفكر الزيدي وهي نسبة إنتماء وإعتزاء وقد اعتقد بعضهم أن النسبة نسبة مذهبية إلى الإمام زيد بن علي رحمه الله كنسبة الشافعي أو الحنفي مثلا إلى الأئمة أبي حنيفة والشافعي رحمهم الله. واعتقد لذلك أن الزيدية مقلدون للإمام زيد في الفروع، وربما أعتقد أنهم مقلدون له في الأصول ولا يخرجون من قوله. وهذا الإعتقاد خطأ ومغلوط. لأن النسبة نسبة إنتماء وإعتزاء ولم تكن نسبة مذهبية على النحو المعروف في النسبة الشافعية أو الحنفية مثلا ـ وذلك لما يلي:

١ ـ لأن المذهب الزيدي يحرم التقليد على كل متمكن من أخذ الحكم من كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أو غيرهما من الأدلة الشرعية، ولا يبيحه في الفروع إلا لغير المتمكن من الإجتهاد. لقوله تعالى: فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون ٤٣/النحل.

(١) الملل والنحل للإمام المهدي أحمد بن يحيى بن المرتضى ج١، ص٤٠ من البحر الزخار.

٢ ـ لأن هذه النسبة لم يطلقها الإمام زيد على أتباعه، ولا أطلقها في البداية أتباعه على أنفسهم، وإنما أطلقها حكام بني أمية على كل ثائر عليهم بعد الإمام زيد من أهل البيت النبوي الشريف. كما أطلقت العباسية من بعدهم إسم العلوية وأحيانا الطالبية على أي ثائر عليهم من أهل البيت أيضا. وكثيرا ما ينسب الفريق المعارض إلى قائد المعارضة، أو إلى كبير أسرته، أو إلى صفة مميزة للجانب المعارض، كما يقال مثلا: زيديه، عباسية، أموية، عثمانية، ناصرية، بعثية... ولا يراد من وراء ذلك إلا التمييز للفريق المعارض أو لفكرة المعارضة. كما أطلق الإمام زيد رضوان الله عليه إسم الرافضة على الفريق المعارض له والرافض دخوله مع الإمام زيد في الثورة على هشام بن عبدالملك الأموي.

وإذاً فالتسمية هذه تسمية سياسية في الأصل ولا دخل لها فيما تعارف عليه الناس في النسبة المذهبية إلى أئمة المذاهب الإسلامية رحمهم الله.

ولكن الزيدية الطائفة قبلتها ورضيت بها لأنها شعار حرية وعزة وكرامة وجهاد وتضحية في سبيل الله والمستضعفين من عباد الله ثم صارت لديهم إسما لأئمة أهل البيت ومن تابعهم في الإعتقاد المذكور سابقا.

هذا رأي. ورأي آخر لشيخنا العلامة مجدالدين بن محمد المؤيدي دامت بركاته وهو: ان الذي أطلق إسم الزيدية على أتباع الإمام زيد رحمه الله هو الإمام زيد نفسه. مستدلاً بقول الإمام محمد بن عبدالله النفس الزكية رضوان الله عليهم: أما والله لقد أحيا زيد بن علي ما دثر من سنن المرسلين، وأقام عمود الدين إذا اعوج، ولن ننحو إلا أثره، ولن نقتبس إلا من نوره. ـ ولكنه لا يوجد في هذا القول ما يدل على التسمية وإنما يوجد فيه ما يدل بوضوح على اتباع أثره في الثورة على الظالمين إحياءً لما اندثر من السنن وإقامة لعمود الدين الذي قد اعوج في حينه. وقد فعل كسائر أمثاله من أئمة أهل البيت عليهم السلام السابق له منهم واللاحق. ولذا كان الإمام زيد عليه السلام علما من الأعلام المميزة للزيدية من سائر فرق الشيعة. كما قال عبدالله الكامل ابن الحسن رحمه الله: العلم بيننا وبين الناس علي بن أبي طالب، والعلم بيننا وبين الشيعة زيد بن علي رضوان الله عليهم جميعا.

٣ ـ لأن الزيدية لا تعتقد بأن الإمام زيد بن علي أولى بالتقليد من غيره كالإمام جعفر الصادق مثلا، ولا أنهما أولى بالتقليد من الإمام القاسم بن ابراهيم أو حفيده الهادي إلى الحـق يحيى بن الحسين، ولا أنهم جميعا أولى بالتقليد من ابائهم وأجدادهم. ولذا فالزيدية لا ينتسبون نسبة مذهبية إلى واحد بعينه منهم. وإنما يتمسكون بمذهب أهل البيت النبوي الشريف عموما للأحاديث الواردة في ذلك كحديث التمسك بالثقلين المروي في صحيح مسلم وغيره ثم ما أجمع عليه أهل البيت فهو حجة عند العالم منهم والجاهل. وهذا هو مذهب الكثير من العلماء ومنهم الشيخ إبن تيمية كما هو مذكور في فتاويه[1]. وما اختلفوا فيه ـ ولم يكن اختلافهم إلا في المسائل الفرعية فالعالم يعمل بما أدى اليه إجتهاده. والمقلد المميز يعمل بمذهب إمامه الذي قد ارتضاه لنفسه أو التزم باتباع أقواله. أما الجاهل الصرف فمذهبه مذهب أهل جهته، وفيما قد عمله معتقدا صحته ولم يخرق الإجماع فمذهبه فيه مذهب من وافق من الأئمة المتبوعين. ولا يجوز على كل حال تتبع الرخص والرغبات.

وتجدر الإشارة هنا إلى أن بعض المغرضين الحاقدين قد جعل من اختلاف أئمة أهل البيت عليهم السلام في بعض المسائل الفروعية مثار تشكيك للمقلدين، متناسيا أن مثل ذلك الإختلاف في فروع المسائل قد كان شائعا بين الصحابة والتابعين، وشاع كذلك بين الأئمة الأربعة ولهذا تميزت مذاهبهم بعضها عن بعض، بل لقد شاع بين علماء المذهب الواحد ولم ينكر أحد من العلماء والأئمة ولا أحد من الصحابة والتابعين. ولا يعول على ما يحدث من الجهال من استنكار أو تشنيع فسببه هو الجهل لا سوى. أمّا الخلاف في فروع المسائل بين الأئمة والعلماء فهو دليل حرية الرأي، وحرية التعبير عنه، وإذا كانت هذه الحرية من مفاخر هذا العصر كما يقولون فليعلم المستشرقون والمستغربون أنها قد ظهرت فينا شرعا ومارسها علماؤنا وأئمتنا دينا من قبلهم بأربعة عشر قرنا تقريبا.

وقد أجاب الإمام الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين عن سبب اختلاف أئمة أهل البيت في بعض المسائل الفروعية فأجاب عليه السلام بما يشفي العليل[2] وقال:

إن اختلاف آل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لم يقع إلا من وجهين:

---

(١) ج٢٨ـص٤٩٣ طبع مكتبة المعارف ـ الرباط ـ المغرب ولعلها الطبعة الأولى.

(٢) ذكره الإمام القاسم بن محمد في كتابه الإرشاد (خ) عن كتاب القياس (خ) للإمام الهادي عليه السلام.

أمّا أحدهما فمن طريق النسيان أو الغلط في الرواية وهذا قليل، والناسي والغالط يرجع إلى القول الثابت عند الملاقاة والمناظرة.

وثانيهما وهو أصعبهما: أن يكون من يؤثر عنه الخلاف قد تلقى علمه من غير أبائه فكان علمه كعلم من تعلم منهم، ويجب لذلك عند المخالفة الرجوع إلى الأصل المعتمد عند الجميع: وهو المحكم من كتاب الله، والسنة الصحيحة عن رسول الله، وهما اللذان جعلا لكل قول ميزانا، ولكل حق برهانا لا يضل من اتبعهما، ولا يغوى من قصدهما. فمن كان قوله بقولها وحكمه في كل نازلة بهما دون غيرهما فهو المصيب في قوله والمعتمد عليه في علمه. والواجب على جميع المسلمين من آل رسول الله وغيرهم أن يرجعوا إلى قوله ويتبعوا من كان كذلك في علمه... وهذا القول هو مذهب كل أئمة أهل البيت عليهم السلام.

ويظهر من قرائن الأحوال أن مثل هذه التساؤلات لا يكبر شأنها إلا في ظروف خاصة ولغرض غير نزيه. وهي مع ذلك واردة على كل مذهب من المذاهب الإسلامية.

والحقيقة هي: أن المذهب الفقهي المعروف بالمذهب الزيدي في اليمن،نسبة إلى الإمام زيد كما أسلفنا،أو المذهب الهادوي كما يروق للبعض اليوم أن يسميه وينسبه إلى الإمام الهادي يحيى بن الحسين - ولا فارق بين الإمامين إلا في مسائل يسيرة جدا نتيجة الإجتهاد المفتوح بابه في المذهب الزيدي حتى اليوم وإلى الأبد إن شاء الله - هذا المذهب لم يكن مذهب إمام معين،ولكنه خلاصة أبحاث عميقة ودراسات واسعة مخلصة في كل مجالات الفقه الإسلامي العظيم، وجهود مضنية أستمرت في البحث والتنقيب والتصفية أكثر من سبعة قرون. وقام بتلك الأبحاث والدراسات أئمة أعلام من أهل البيت النبوي الشريف ومن تابعهم من الفقهاء المجتهدين معتمدين في كل ذلك على المحكم من كتاب الله، والصحيح من سنة رسول الله، وعلى القياس، والإجماع، وأحيانا على الإستصحاب، والإستحسان، والمناسب المرسل - المصالح المرسلة - وهي التي تتفق مع المقاصد الشرعية فيما لا يوجد له نص في الكتاب أو السنة إثباتا أو نفيا كما سيأتي في موضعه إن شاء الله. وبسبب ذلك تصارع الأئمة وأتباعهم أزمانا عديدة مع دسائس الملحدين وأفكار المندسين، كما تعاركوا مع جبابرة الأهواء السياسية والأحقاد العنصرية، جاعلين الإخلاص رائدهم، والحق مقصدهم، ورضوان الله غايتهم.

أما أئمة المذاهب الإسلامية وأمثالهم فقد تعايشوا معهم، وتآزروا وتناصروا، غير مفرقين بين أحد منهم حنفيا كان أو شافعيا أو مالكيا أو حنبليا أو غير هؤلاء فالكل من رسول الله مقتبس. وكل مجتهد مصيب.

وقد قام الإمام المهدي أحمد بن يحي بن المرتضي بجمع ثمار تلك الأبحاث والدراسات في كتيب سمّاه متن الأزهار ـ وقام بشرحه والتعليق عليه الكثير من العلماء ولكل طريقته وأسلوبه[١] أما القاضي إبراهيم بن يحي السحولي رحمه الله فقد قام بنظم السلسلة الذهبية لرجال المذهب في أرجوزة عدد أبياتها ٣٠٨ أبيات وسماها (الطراز المذهب في إسناد المذهب)[٢]، كل ذلك الجهد الشاق النزيه من الأئمة وشيعتهم من مجتهدي الفقهاء الصالحين قد بلغ درجة من الإتقان والصحة يمكن القول معه: بأن المذهب الزيدي قد خلص من كل شائبه، وصفى معينه من كل كدر، وتقررت أصوله، وتأسست قواعده المستمدة من الأدلة الشرعية والعقلية وأصبح في حال من القدرة يتمكن معها على مسايرة أحداث العصر الحديث، والإنتفاع بأحسن ما فيه من حضارة وتقدم، وفي حال من القوة يعتصم بها عن مفاسد الحضارة وانحرافاتها وماديتها ـ كما يعرف ذلك كل مطلع عليه بوعي وإخلاص ونزاهة.

(١) متن الأزهار وشرحه متداول مشهور باليمن (ط) ١١١.

(٢) وجدتها ونسختها بخطي في المتحف البريطاني بلندن برقم ١٢٢٧ ـ فهرس ٨٤٦ والنسخة مخطوطة.

طبقات رجال المذهب الزيدي

وكما كان لكل مذهب من المذاهب الإسلامية أعلام فقد كان للمذهب الزيدي أعلام هداية لا تهدم، وألسنة حجج لا تفحم، ومن أولئك من كان في طبقة المؤسسين، وتساوى هذه الطبقة إمام المذهب في نظر المذاهب الأخرى ومن هذه الطبقة:

الإمام زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام مات شهيدا سنة ١٢٢هـ.

الإمام القاسم بن ابراهيم مات سنة ٢٤٢هـ

حفيده الإمام الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين بن القاسم بن ابراهيم وهو المؤسس للمذهب في اليمن مات سنة ٢٩٨هـ.

الإمام الناصر الأطروش الحسن بن علي بن الحسن بن علي بن عمر الأشرف بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم وهو المؤسس للمذهب الزيدي في خراسان مات سنة ٣٠٤هـ

الطبقة الثانية: طبقة المخرجين للمذهب وهم الذين استخرجوا من كلام الأئمة أو إحتجاجاتهم بواسطة القياس أو المفهوم أحكاما لا تتعارض مع الكتاب والسنة لا جملة ولا تفصيلا ومن رجال هذه الطبقة:

العلّامة محمد بن منصور المردي مات سنة ٢٠٠ ونيف وتسعين.
العلّامة أبو العباس أحمد بن ابراهيم مات سنة ٣٥٣هـ
العلّامة الإمام المؤيد بالله أحمد بن الحسين بن هارون الحسني مات سنة ٤١٦هـ
العلّامة الإمام أبو طالب يحيى بن الحسين بن هارون الحسني مات سنة ٤٢٤هـ
العلّامة علي بن بلال الأملي مولى الإمامين المؤيد بالله وأبي طالب.
العلّامة أحمد بن محمد الأزرقي الهدوي.

والطبقة الثالثة طبقة المحصلين: وهم الذين اهتموا بتحصيل أقوال الأئمة وما استخرج منها ونقلوها إلى تلامذتهم بطريق الرواية أو المناولة لمؤلفاتهم، ومن رجال هذه الطبقة:

العلّامة القاضي زيد بن محمد الكلاوي الجيلي الملقب بحافظ أقوال العترة وهو من أتباع المؤيد بالله.

العلّامة السيد علي بن العباس بن إبراهيم راوي إجماعات أهل البيت مات سنة ٣٤٠هـ تقريبا.

العلّامة القاضي الحسن بن محمد بن أبي طاهر الرصاص مات سنة ٥٨٤هـ

العلّامة الإمام الحسين بن بدر الدين مات سنة ٦٦٢هـ

العلّامة زيد بن علي بن الحسن بن علي البيهقي مات في تهامة في عهد الإمام أحمد بن سليمان وهو في طريقه إلى مكة المكرمة.

العلّامة القاضي جعفر بن أحمد بن عبدالسلام البهلولي مات سنة ٥٧٣هـ

العلّامة الإمام عبدالله بن حمزه مات سنة ٦١٤هـ

والطبقة الرابعة طبقة المذاكرين: وهم الذين راجعوا أقوال من تقدمهم وبلغتهم بالرواية وفحصوها سنداً ومتناً وعرضوها على أصول المذهب وقواعده المستمدة من صرائح الكتاب والسنة ثم أقروا ما توافق معها واعتبروه هو المذهب، وما لم يوافقها لم يعتبروه مذهبا للفرقة الزيدية، وكان في نظرهم رأيا خاصا بصاحبه غير معاب عليه لإعتبار أن كل مجتهد في الفروع مصيب. ومن رجال هذه الطبقة:

العلّامة القاضي محمد بن سليمان بن أبي الرجال الصعدي مات سنة ٧٣٠هـ

العلّامة القاضي عبدالله بن زيد العنسي مات سنة ٦٦٧هـ

العلّامة القاضي يحي بن حسن البحيبح وقد عاصر الإمام يحي بن حمزة

العلّامة الإمام يحي بن حمزة مات سنة ٧٤٩هـ

العلّامة الإمام عز الدين بن الحسن المؤيدي مات سنة ٩٠٠هـ

العلّامة القاضي محمد بن يحي حنش مات سنة ٧١٧هـ

العلّامة القاضي يوسف بن أحمد بن عثمان الثلاثي مات سنة ٨٣٢هـ

العلّامة الإمام أحمد بن يحي بن المرتضى مات شهيدا بالطاعون سنة ٨٤٠هـ

ومعظم رجال طبقات المذهب الزيدي من العلماء المجتهدين. ولذلك فلا يصدق عليهم القول بأنهم في مستوى طبقة مجتهدي المذهب لأن هذه الطبقة لا تظهر دائما إلا بين رجال المذاهب التي لا توجب الإجتهاد على المتمكن منه وليس كذلك المذهب الزيدي. وبالتجوز يمكن أن يوجد في طبقات المذهب من هو في درجة المجتهد المنتسب. أما الأكثر فهم في درجة المجتهد المطلق. وقد ظهر من هؤلاء بعد طبقة

المذاكرين الكثير ومنهم: الإمام يحيى شرف الدين مات سنة ٩٦٥هـ والإمام القاسم بن محمد مات سنة ١٠٢٩هـ والإمام محمد بن اسماعيل الأمير مات سنة ١١٨٢هـ. والإمام عبدالقادر بن أحمد بن عبدالقادر بن الناصر شرف الدين مات سنة ١٢٠٧هـ وغيرهم.

وكانت كل المؤلفات الزيدية لا تقتصر على ذكر القول المختار لديها، وإنما تجمع كل الأقوال المشهورة للأئمة والعلماء: أي انها مؤلفات أممية وموسوعات لما تؤلف فيه. لذلك فالقول المختار للمذهب إنما كان يؤخذ من أفواه المشائخ ويتناقل بالرواية ـ حتى جاء القاضي حسن بن أحمد الشبيبي رحمه الله مات سنة ١١٦٩هـ فوضع كلمة (مذهب) في كتابه شرح الأزهار على القول المختار للمذهب تمييزا له عن سائر أقوال الأئمة والعلماء الزاخر بها كتاب شرح الأزهار المعروف واستحسن هذه العلامة سائر العلماء في عصره. ولمكانته في العلم والتقوى تلقفها عنه الطلاب، وصارت نسخته من أهم المراجع في ذلك عند الطلاب. كما ذكره المؤلف المؤرخ السيد محمد زباره رحمه الله في ملحق البدر الطالع ص٦٨.

قواعد المذهب الفقهي الزيدي

من المعلوم أن تلك البحوث والدراسات التي قام بها الأئمة ومن إليهم في كل مجالات الفقه الإسلامي قد اعتمدت على قواعد وأصول عامة أستمدها الأئمة ومن إليهم من الأدلة الشرعية المبينة لمقاصد الشرع الشريف في كل أحكامه وقوانينه.

وقد قام بجمعها السيد العلامة أحمد بن محمد الشرفي تلميذ الإمام القاسم بن محمد وشارح كتاب الأساس، وهي مطبوعة في مقدمة شرح الأزهار[1]، ثم قام القاضي العلامة عبدالله بن حسين دلامة رحمه الله بإتمامها. وفي متن الأزهار السابق الذكر يوجد الكثير منها، وإلى هذه القواعد الإحالة بالقياس أو بالتخريج بالمفهوم. وبها لا يعتبر تخريج من خرج للمذهب بخلافها. ومن أراد الإطلاع فليرجع إلى ما ذكرت.

الزيدية والمعتزلة

من الأغلاط الشائعة نسبة الزيدية إلى المعتزلة ـ في أصول الدين والتوحيد ـ علم الكلام والقول بأن الإمام زيد بن علي قد تتلمذ على رئيس المعتزلة واصل بن عطا.

ولعل الشهرستاني المتوفي ٥٤٨هـ هو أول من سجل هذه الغلطة في كتابه (الملل والنحل) ثم تابعه أكثر من بحث الإعتزال والمعتزلة، إما لإهمالهم الفحص والتمحيص لما يروونه، وإما لأنه قد وافق ما يريدون قوله عن الزيدية والزيديين.

ولا أعتقد أن للشهرستاني أيَّ دليل قوي على قوله. وربما أنه جعل من التوافق بين الزيدية والمعتزلة في أكثر مسائل الأصول الدينية دليلاً على قوله ولكن هذا غير كاف قطعاً لإلحاق فرقة بأخرى. لانه لو اعتبر التوافق في رأي مَّا دليلاً على توحيد فرقة مع أخرى لما تميزت فيما بينها كل المذاهب الإسلامية المعروفة اليوم وقبل اليوم، لانها تتوافق في كثير من المسائل وبالأخص الفقهية الفرعية منها.

أو لم يكن مستند الجميع هو الكتاب والسنة والإجماع والعقل السليم في القياس ونحوه؟ ومع ذلك فقد تميزت المذاهب في الفروع والأصول، وظهر على وجه الأرض المذهب الزيدي، والحنفي، والمالكي، والشافعي، والحنبلي، والظاهري، وظهر المذهب العدلي، والمعتزلي، والجبري، والأشعري، وغير ذلك من المذاهب التي تميز بعضها عن

---

(١) ج ١ـ الطبعة الأولى.

بعض نتيجة إختلاف ائمتها وعلمائها في الفهم والإدراك والإستنباط من الدليل الذي يتمسكون به.

أما القول بأن الامام زيد قد تتلمذ لواصل بن عطا، ومن أجل أن يحصل على علم الأصول والفروع حتى يتحلى بالعلم كما يقول الشهرستاني ـ فهو أغرب وأعجب، ذلك لان المعلوم عند جميع المؤرخين والباحثين والعالمين ـ أن المدينة المنورة ـ وليس البصرة ـ هي معدن العلم ومدينته، كما قال الإمام أبو حنيفة رحمه الله لمن سأله عمن تلقى علمه فقال: كنت في معدن العلم ولزمت فقيها من فقائهم. وهو يعني الإمام جعفراً الصادق رحمه الله حيث لازمه عامين وكان يقول لولا السنتان لهلك النعمان [1]

فهل من المعقول أن يخرج الإمام زيد من معدن العلم وينبوعه ومدينته ليذهب إلى البصرة ليحصل على علم الفروع والأصول حتى يتحلى بالعلم كما قال الشهرستاني، إنه لأمر غريب وعجيب حقاً، وهو مع ذلك قول مخالف لما أجمع عليه المؤرخون فقد قالوا إن واصل ابن عطا هو الذي أخذ العلم من معدن العلم ومدينته ولازم أهل البيت النبوي الشريف الذي يعد من مشاهيره في عصره الامام زيد بن علي. وأجمعوا على أن واصل بن عطا كان مولى لآل محمد بن علي بن أبي طالب عليهم السلام ـ اي آل محمد بن الحنفية ـ وأخذ العلم عن إبنه أبي هاشم عبدالله بن محمد بن الحنفية. وانه بعد ٢١ عاماً من عمره سافر إلى البصرة سنة ١٠١هـ حيث التقى فيها بالزاهد عمرو بن عبيد فزامله في حلقة الحسن البصري حتى حدث الخلاف بين واصل وأستاذه الحسن البصري في تسمية مرتكب الكبيرة من المسلمين حيث قالت الخوارج هو كافر. وقالت المرجئة: هو مؤمن. فقال الحسن البصري: هو منافق. فقال واصل: هو فاسق. والفسق منزلة بين المنزلتين: منزلة الكفر والنفاق. ومنزلة الايمان وبعد أن رجع عمرو بن عبيد إلى قوله وفارقا حلقة الحسن أطلق عليهما لإعتزالهما الحلقة (إسم المعتزلة) ثم صار إسماً لمن تابعهم في مسائل علم الكلام، بل لقد نص المحققون من المعتزلة والزيدية على أن مسألة المنزلة بين المنزلتين هذه قد أخذها واصل بن عطاء من أستاذه ابي هاشم عبدالله بن محمد بن الحنفية [2].

وقد قال المستشرق الإيطالي (نلينو) إن إسم المعتزلة قد جاء في الأصل ممن اعتزل الصراع السياسي بين علي ومعاوية. وبين علي وأصحاب الجمل. وتابع هذا المستشرق

(١) أبو زهرة الإمام الصادق ص ٣٨

(٢) شرح الأصول الخمسة ص ١٣٧-١٣٨

بعض الباحثين المستغربين. وهذا القول غير صحيح قطعاً لان معتزلة الصراع السياسي كان ولاؤهم مع علي كرم الله وجهه فلم تكن لهم فكرة مستقلة يمتازون بها عن غيرهم كما كان لواصل ومن تابعه من المعتزلة، وقد فصّلت كتب التاريخ سبب إعتزالهم وفي شرح نهج البلاغة ج٣ ص ١١٥ الكفاية لمن أراد الأطلاع.

لما تقدم عن زيد وواصل فلم يكن زيد بن علي معتزلياً ولا أخذ العلم عن واصل وإنما أخذ العلم من معدنه وينبوعه ومدينته. أخذه عن أبيه زين العابدين، وعن أخيه محمد الباقر، وعن غيرهما من علماء أهل بيته وغيرهم.

وإذا كان لا بد من نسبته إلى فرقة من الفرق فينسب إلى الفرقة (العدلية) والعدلية كلمة تطلق على كل من يقول بالعدل والتوحيد وينفي الجبر والتشبيه والتجسيم لله، تعالى الله عن ذلك، ولهذا صح للقاضي عبد الجبار بن أحمد المتوفي ٣١٥هـ، وللإمام المهدي أحمد بن يحي بن المرتضي، أن يجعلا من رجال الطبقة الاولى للعدلية كل الخلفاء الراشدين وغيرهم من الصحابة ممن صرح بالعدل ونفى الجبر. وقد جعلا الإمام زيد بن علي وأبا هاشم عبدالله بن محمد بن الحنفية أستاذ واصل من رجال الطبقة الثالثة وجعلا واصل بن عطا وعمر بن عبيد من رجال الطبقة الرابعة.

وقد توهم البعض من المتأخرين أن الطبقات التي أشرت إليها هي طبقات المعتزلة. والصحيح غيره. لان البحث في طبقات القاضي وفي الملل والنحل للمهدي كان عن العدلية وليس عن المعتزلة، ولفظه في الملل والنحل[1] مسألة (له) اي قالت المعتزلة: وأجمعت العدلية على أن للعالم محدثاً قديماً قادراً عالماً حياً.. حتى قال: وقد رتب القاضي ـ اي عبد الجبار ـ طبقاتهم ونحن نشير إلى جملتها. ثم أشار في المسألة التي تلتها إلى طبقاتهم.

فالإمام المهدي حكى عن المعتزلة روايتهم لما أجمعت عليه العدلية. ثم رتب طبقاتهم كما فعل القاضي عبد الجبار مستدلاً بأقوالهم في العدل ونفي الجبر.

وللشهرستاني غرائب أخرى عن الإمام زيد بن علي: فقد حكى مناظرة قال: إنها حدثت بين الامام زيد بن علي والإمام جعفر الصادق حول الطريق إلى الامامة وواجبات الإمام ومسؤلياته ومنها الدعوة والخروج ـ الثورة ـ على الظالمين ـ وقال: إن الإمام جعفر قال لزيد: على مقتضى مذهبك والدك ليس بأمام.

---

(١) البحر ج١ـ ص ٤٤ ـ ٤٥ـ

ولكن هذه المناظرة لم يروها حسب ما أعلم أحد من محققي الزيدية ولا من المعتزلة ولا يمكن وقوعها لإتفاق الإمامين على الطريق إلى الإمامة وواجبات الإمام ومسؤلياته ولهذا عرض الإمام جعفر بيعته لكبير بني هاشم وعالمهم في عصره عبدالله الكامل بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب عليهم السلام في الإجتماع الذي عقده بنو هاشم بالمدينة للنظر فيمن يصلح للإمامة وللخروج ـ الثورة على الظالمين. واتفقوا أخيراً على مبايعة النفس الزكية محمد بن عبدالله بن الحسن وهذا يعني أن الإمام جعفراً لم يخالف سائر أهل البيت في المسألة هذه. وربما أن ما حكاه الشهرستاني كان مما حدث من مناظرات بين بعض المتأخرين من الإمامية والزيدية كما قال أبو زهرة[1] وخفي ذلك على الشهرستاني والله أعلم.

(١) في الإمام زيد ص ١٢٦.

مقاصد الشريعة الاسلامية

من المعلوم أن الله لم يشرع الشرائع لعباً ولهواً، ولا وضعها عبثاً واعتباطاً - وتعالى الله عن ذلك علواً كبيراً - وإنما شرعها لمقاصد عظيمة تعود على عباد الله أفراداً أو جماعات بمصالح في دنياهم وآخرتهم، بها يتحقق الخير، ويعم الرخاء ويسود الأمن والإستقرار كل القلوب وكل البيوت وكل الشعوب الخاضعة لشريعة الله.

ومصالح الدنيا على ضربين:

١ - مصالح ضرورية وهي أعلى المراتب للمقاصد الشرعية.

٢ - مصالح غير ضرورية ولكنها هامة غير مستغنى عنها.

والضروريات المتفق عليها في الشرائع كلها تنحصر في خمسة أشياء هي:

١ - حفظ الدين وهو علة لوجوب الجهاد إذا ما استهدف من قبل الأعداء ونحوهم.

٢ - حفظ النفس وهو علة وجوب القصاص، ومن المحافظة عليها حفظ كرامتها وحريتها.

٣ - حفظ العقل وهو علة لتحريم المسكرات ونحوها من المخدرات.

٤ - حفظ المال وهو علة لقطع يد السارق وتحريم الربا والرشوة ونحو ذلك .

٥ - حفظ النسل وهو علة لتحريم الزنا وتحريم القذف.

وقد نظم هذه الضروريات بعضهم فقال:

وروعـي فـأعلم ذاك في كـل ملـة ... مضت حفظ خمس في جميع الشرائـع

هي الدين ثم النفس والعقل ثـالـث ... مع النسل مال فاحشها في المسـامـع

والذرائع المخلة بهذه الضروريات أو المقوية لها تعتبر من مكملاتها أو المخلة بها وعملها أو إجتنابها واجب.

والضرب الثاني وهي المصالح التي لم تكن ضرورية على قسمين:

١ - حاجي: أي يحتاج إليه الناس لتيسير أعمالهم وتحسين معاشهم كالبيع والإجارة والمضاربة وغير ذلك ومن مكملاته الذرائع المؤدية إليه مثل إعتبار الكفاءة ومهر

المثل في حق الصغيرة لأنه يؤدي إلى دوام الزوجية وهو من المقاصد الشرعية.

٢ - تحسينيّ: وترجع الأمور التحسينية إلى الأخلاق والآداب وما يؤدي إلى المرؤة والسير على أفضل منهاج وخير سبيل.



مصادر التشريع الأسلامي

مصادر التشريع الإسلامي: هي في نظر الزيدية ثمانية مصادر:

١ ـ أولها وأعلاها ومرجعها كتاب الله.

٢ ـ سنة رسول الله.

٣ ـ الإجماع.

٤ ـ القياس ومنه المصالح المرسلة.

٥ ـ الإستصحاب[١].

٦ ـ الإستحسان.

٧ ـ شرع من قبلنا.

٨ ـ العقل.

ولا يؤخذ بالإستصحاب والإستحسان وشرع من قبلنا والعقل إلا بشروط ستذكر في مواضعها.

---

(١) الاستصحاب والاستحسان وشرع من قبلنا مما زاده بعض علماء الزيدية وبشروط سنشير إليها عند الكلام عليها ومثله المصالح المرسلة.


المجلس
الهدى
الإسلامي

كتاب الله القرآن العظيم

كتاب الله: هو هذا الكتاب المنزل على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم المعروف المشهور في العالم. وهو أصل الأدلة السمعية ومرجعها في نظر الزيدية لحديث العرض وهو قوله صلى الله عليه وآله وسلم: سيكذب عليَّ من بعدي كما كذب على الأنبياء من قبلي. فما أتاكم عني فاعرضوه على كتاب الله فإن وافق كتاب الله فهو مني وأنا قلته، وإن خالف كتاب الله فليس مني ولا أنا قلته[1]

وقد حاول بعضهم التشكيك في واقعية مدلول الحديث بحجة أن أكثر الأحكام الشرعية لم ترد في القرآن وإنما وردت بها السنة.

والأمر أهون من ذلك بكثير لأن ما أتت به السنة ولم يكن مخالفاً: أي معارضاً أو مناقضاً لأن هذا معنى المخالفة، ولم يكن في نفس الوقت موافقاً: أي مماثلاً ومشاكلاً لأن هذا معنى الموافقة فهو شيء غير الكتاب ـ أي أنه تشريع جديد بواسطة السنة، والعمل بمثله واجب لقوله تعالى: « وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا » (٧/ الحشر). ولقوله صلى الله عليه وآله وسلم: أعطيت الكتاب ومثله[2]. « وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى » (٤ / النجم).

وحديث العرض لم يمنع من الأخذ بغير ما جاء في القرآن عن رسول الله ولكنه منع مما عارض القرآن وناقضه. والكذب على الرسول واقع باجماع المسلمين، ولم يحفظ من الكذب ومن الزيادة والنقصان إلاّ القرآن. لذا فالرجوع إلى المقطوع بصحته حال المعارضة أو المناقضة لا يمنعه أي عاقل من عقلاء البشرية كلها. وحديث العرض من نعم الله على المؤمنين إذ به تمكنوا من تنزيه الله عن كل قبيح، وصانوا شريعته من الزيغ والتحريف، وهو مع ذلك لم يبطل إلا المعارض والمناقض، أما غيره من المروى عن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم فإن كان موافقا ومماثلاً لما في الكتاب فلا شك في العمل به لأنه مؤكد لما في الكتاب لا معارض ولا مناقض له.

وإن كان غير مماثل ولكنه مما يمكن حمله عليه فهو مبين لمجمله والعمل به واجب.

---

(١) رواه الإمام القاسم بن محمد في الأساس ص١٥١ ورواه الإمام الهادي في كتاب الرد على أهل الزيغ ص٣٢٦ من رسائل العدل والتوحيد والطبراني في الكبير عن سالم بن عبدالله بن عمر عن أبيه.

(٢) وفي رواية أوتيت القرآن ومثله معه رواه في المدخل في مذهب الإمام احمد ص٨٩ وفي إرشاد الفحول للشوكاني ص٣٣.

وإن كان مما يمكن الجمع بينه وبين الكتاب بالتعميم أو التخصيص أو الإطلاق أو التقييد على حسب التفصيل المذكور في هذه المواضع وما هذا حاله وجب العمل به كذلك[1]. وبعد هذا نعرف أن النوع المرفوض من المرويات هو المعارض والمناقض لكتاب الله تعالى فقط. ولا أظن أن أحداً يخالف في هذا. وسيأتي المزيد من المباحث المتعلقة بالكتاب في بحث النبوات إن شاء الله.

السنة النبوية الشريفة

المصدر الثاني: السنة النبوية الشريفة وتشمل:

قول الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وفعله، والتقرير منه، لأحدٍ على فعل أو تركٍ علم به ولم يتعارض مع شريعته. أما الفعل الواجب التأسي به فهو الذي يفعله لغرض التشريع والتأسي، وأما ما سوي ذلك من الأفعال كالضروريات أو كان مما علم إختصاصه به فليس فرعاً من فروع السنة الواجب العمل بها، وما كان منها فيجب التأسي به على الصفة التي علم عليها من وجوب وندب وإباحة. وأفعاله لا تتعارض. ومتى تعارض فعل وقول أو قولان، فإن علم التأريخ فالمتاخر ناسخ إن تراخى وقتاً يمكن العمل بالأول، أو مخصص إن لم يتراخى، فإن جهل فالترجيح بين القولين، وإذا تعارض قول وفعل فالقول أرجح على الصحيح.

وتنقسم السنة بحسب رواتها إلى متواتر وأحاد، فالمتواتر: هو خبر جماعة يمتنع عادة أن يتواطأ أفرادها على الكذب. ولا يشترط في رواته الإسلام، والعدالة، والإمام المعصوم، وغير ذلك مما يشترطه الآخرون، وهو قطعي الدلالة ويفيد العلم. ومثله في إفادة العلم الخبر الأحادي إذا أجمع على العمل بمقتضاه، ومثله المتلقى بالقبول بين الأمة والعترة النبوية لتضمنه الإجماع على الصحة. وقد يتواتر اللفظ والمعنى، وقد يتواتر المعنى دون اللفظ، وقد يتواتر اللفظ دون المعنى، والكل واجب العمل به في الأصول والفروع.

والخبر الأحادي: هو ما لم يبلغ حد التواتر. وينقسم الى مسند، وهو ما اتصل سند رواته إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم. ومرسل: وهو ما سقط فيه راوٍ أو أكثر. وله أقسام يفصلها كلها علم مصطلح لحديث. ودلالة الخبر الأحادي ظنية، ويجب العمل به في فروع المسائل، ولا يؤخذ به في مسائل أصول الدين، وأصول الفقه القطعية،

---

(١) فصل الخطاب مخطوط للمؤلف العلامة شيخنا مجدالدين المؤيدي دامت بركاته.

وأصول الشرائع إلا إذا وافقت مدلولاتها الأدلة القاطعة، أو كانت الأصول مشهورة فجاء الأحاد فأخبر بها كما جاء في حديث البدوي: وفيه أنه قال للنبي صلى الله عليه وآله وسلم: يا محمد أتانا رسولك فزعم أنك تزعم أن الله أرسلك. فقال: صدق. ثم أخذ يسأل النبي صلى الله عليه وآله وسلم بما حدثهم من صلاة وزكاة وغير ذلك وهو يقول: مثل ذلك. والنبي صلى الله عليه وآله وسلم يقول: صدق.[1]

شروط قبول الخبر الأحادي

يشترط في قبول الأخبار الأحادية: أن يكون راويها مكلفاً، وأن يكون عدلا. والعدالة هي:

محافظة دينية تحمل صاحبها على ملازمة التقوى والمرؤة ليس معها بدعة ـ وأن يكون ضابطاً لما يرويه في الأغلب، وأن يكون الخبر الذي يرويه غير مصادم دليلاً قاطعاً على وجه يتعذر معه التأويل إلا بتعسف، وأن لا يستلزم متعلق الخبر الأحادي الشهرة، وتصح رواية الخبر بالمعنى من عدل عارف ضابط. ولا تفرق الزيدية في هذه الشروط بين الزيدي وغيره فمن لم يكن عدلاً ضابطاً لا تقبل روايته مهما كان ومن أي فئة أو طائفة كان.

الإجماع

المصدر الثالث الإجماع: وهو في نظر الزيدية ومن وافقهم نوعان عام وخاص، فالعام هو: إتفاق المجتهدين العدول من أمة محمد صلى الله عليه وآله وسلم بعده في عصر على أمر. والخاص هو: إتفاق العترة النبوية كذلك، لدليل أية التطهير وحديث التمسك وغيره، وهو مذهب الشيخ إبن تيمية كما جاء في فتاويه[2]. وطريقنا إلى العلم به السماع أو المشاهدة أو النقل إلينا.

وقد خالف النظّام وبعض الرافضة في وقوع الإجماع. والجمهور على خلافهم. أما في هذا العصر الذي توفرت فيه وسائل المواصلات السريعة فقد أصبح من السهل إجماع عقلاء البشر جميعاً على أمر من الأمور. غير أنه لا يصح شرعاً الإجماع على حكم بعد

---

(١) أخرجه الستة عن أنس.

(٢) ج ٢٨ ـ ص ٤٩٣ ـ.

الإجماع على خلافه وإلا لزم بطلان الإجماع الأول ولا قائل به، ولا بد للإجماع من مستند شرعي. غير أنه بعد الإجماع لا يلزمنا البحث عن مستنده. ولا يشترط في إنعقاده إنقراض أهل العصر المجمعين. ولا يشترط أن لا يسبقه خلاف. ويجب العمل بالإجماع، ويفسق مخالفه، لقوله تعالى: «ويتبع غير سبيل المؤمنين».. (١١٥ / النساء).

القياس

المصدر الرابع القياس: وهو إلحاق معلوم بمعلوم في حكمه للأشتراك في العلة، والجمهور يوجب العمل بالقياس إذا عدم النص في الكتاب والسنة والإجماع. وخالف في ذلك الإمامية والظاهرية وبعض الخوارج. وهم محجوجون بإجماع الصحابة إذ كانوا بين قائس وساكت سكوت رضى والمسألة قطعية. وقد وقع في عهده صلى الله عليه وآله وسلم كما جاء في حديث معاذ بن جبل[١]: اجتهد رأيي. وأقره الرسول عليه. وفي رواية: أقيس الأمر بالأمر.

ولا يجري القياس في جميع الأحكام الشرعية إذ فيها ما لا تعقل علته، والقياس فرع تعقل العلة. وهو يجري في العقليات كمسائل العدل والتوحيد.

أقسام القياس

ينقسم القياس إلى جلي: وهو ما قطع فيه بنفي الفارق كالأمة والعبد في سراية العتق. وإلى خفي: وهو خلاف القياس الجلي.

وينقسم إلى قياس علة: وهو ما صرح الشارع فيه بالعلة كأن يقول: لأنه كذا، أو لأجل كذا، أو بأنه، أو فإنه، وهذه هي حروف التعليل في أصول الفقه.

والى قياس دلالة: وهو ما جمع فيه بين الأصل والفرع بما يلازم العلة ويدل عليها لا بنفسها مثل قياس قطع أيدي الجماعة بقطع يد الواحد إذا اشتركوا في قطع يده قياساً على قتلها به للأشتراك في وجوب الدية عليهم.

---

(١) أخرجه أحمد وأبو داود والترمذي وقيل إنه مما تلقى بالقبول.

وإلى قياس طرد: وهو إثبات مثل حكم الأصل في الفرع لاشتراكهما في العلة، وأكثر القياسات طردية.

وإلى قياس عكس: وهو ما ثبت فيه نقيض حكم الأصل بنقيض علته كقول النبي، صلى الله عليه وآله وسلم جواباً على من قال: أيأتي أحدنا شهوته في الحلال وله فيها أجر؟ فقال النبي ﷺ: أرأيتم لو وضعها في حرام أكان عليه وزر؟. فكأنهم قالوا: نعم. فقال: فكذلك لو وضعها في الحلال لكان له أجر.

أركان القياس

للقياس أربعة أركان هي:

الأصل والفرع، والحكم، والعلة، ولكل منها شروط.

فشروط الأصل: أن لا يكون حكمه منسوخاً، ولا معدولاً به عن سنن القياس كالشفعة مثلاً، ولا ثابتاً بقياس لأنه يؤدي إلى التسلسل،وما أدى إليه فهو باطل. وأن لا يثبت حكماً مصادماً لنص.

وشروط الفرع: مساواة أصله في العلة، وفي الحكم، وفي التخفيف، والتغليظ، ـ فلا يقاس التيمم على الوضوء في التثليث، لأن التيمم شرع لغرض التخفيف، وأن لا يتقدم شرعية حكمه على حكم الأصل ـ فلا يقاس الوضوء على التيمم في النية، وأن لا يرد فيه نص.

وشروط الحكم، الثابت بالقياس الشرعي، أن يكون شرعياً لا عقلياً ولا لغوياً.

وشروط العلة، أن لا تصادم نصاً ولا إجماعاً، وأن لا يكون في أوصافها ما لا تأثير له في الحكم كإثبات ضمان التالف من النورة مثلاً بعلّة كونه مثلي وبكونه ليس بلبن كلبن المصراة فعلّة كونه ليس بلبن مثل لبن المصراة لا تأثير لها في الحكم فلا تصح العلة، وأن لا تخالفه في التغليظ والتخفيف، وأن لا تكون العلة مجرد الإسم إذ لا تأثير له، وأن تكون العلة مطردة: أي يثبت الحكم عند ثبوتها في كل موضع، وأن تنعكس، أي ينعدم الحكم عند عدمها وهذا على رأي من منع التعليل بعلتين.

طرق معرفة العلة

وتعرف العلة بطرق وهي: بالإجماع على تعليل الحكم بعلة معينة، وبالنص الصريح بها مثل العلة كذا، أو لأن، أو بأن، أو فإن، أو لأجل كذا، ونحو ذلك.

وغير الصريح ما فهم منه التعليل لا على وجه التصريح بالعلة: ويسمى تنبيه النص وإيماء النص مثل: عليك الكفارة. جواباً لمن قال جامعت أهلي في نهار رمضان، أو وأنا صائم. وبالسبر ـ أي الاختبار ـ والتقسيم ويسمى حجة الإجماع: وهو حصر الأوصاف في الأصل ثم إبطال التعليل بها، إلا واحداً منها فتعين: مثل قياس الذرة على البر في تحريم التفاضل، فالأوصاف في الأصل هي: الطعم، أو القوت، أو الكيل، وهذا ما يصح التعليل به فيبطل مع ذلك التعليل بالباقي.

وتعرف العلة بالمناسبة وتسمى الإخالة وتخريج المناط: وهي تعيين العلة من ذات الوصف مثل الإسكار في تحريم الخمر، وكالجناية عمداً عدواناً في وجوب القصاص.

اقسام المناسب

والمناسب أربعة أقسام: مؤثر، وملائم، وغريب، ومرسل.

فالمؤثر: ما ثبت بنص أو إجماع أو غير ذلك، من طرق معرفة العلة إعتبار عينة في عين الحكم مثل تعليل ولاية المال في حق الصغير بالصغر الثابت بالإجماع، وتعليل وجوب الوضوء بالحدث الخارج من السبيلين.

والملائم: ما ثبت اعتباره بترتب الحكم على وفقه فقط لكنه قد ثبت بنص أو إجماع اعتبار عينة في جنس الحكم مثل ولاية الأب بنكاح ابنته الصغيرة قياساً على ولاية المال بجامع الصغر. أو ثبت كذلك اعتبار جنسه في عين الحكم كجواز الجمع في الحضر للمطر قياساً على السفر بجامع الحرج.

أو ثبت كذلك إعتبار جنسه في جنس الحكم كإثبات القصاص بالمثقل ـ أي غير الحاد ـ قياساً على المحدد بجامع كونها جناية عمد عدوان.

والغريب: ما ثبت اعتباره بمجرد ترتب الحكم على وفقه كتعليل تحريم النبيذ بالإسكار قياساً على الخمر.

والمناسب المرسل: ما لم يثبت إعتباره بشيء مما سبق وهو ثلاثة أقسام: ملائم، وغريب، وملغي.

فالملائم المرسل: هو الذي لم يشهد له أصل معين بالاعتبار، لكنه مطابق لبعض مقاصد الشرع الجملية كقتل المسلمين المتمرس بهم عند الضرورة، وتحريم النكاح على العاجز عن الوطء من تعصي لتركه وهذا هو المعروف بالمصالح المرسلة.

والمذهب الزيدي يعمل به وهو قول لمالك. واشترط الغزالي للعمل به كون المصلحة ضرورية كلية. واعتبره المذهب الزيدي نوعاً من القياس.

والغريب: هو ما لا نظير له في الشرع لكن العقل يستحسن الحكم لأجله كالحكم بالإرث لمن طلقها زوجها في مرضه المخوف خشية أن ترث وذلك معارضة لقصده. وهو غير معمول به بالإتفاق.

والملغي: هو ما صادم النص، وإن كان لجنسه نظير في الشرع، كإيجاب الصوم إبتداء على القادر المظاهر لزوجته على العتق. ولمصادمته للنص ألغي العمل به بالإتفاق.

الإستصحاب

المصدر الخامس الإستصحاب: وهو إثبات الحكم في وقت لثبوته في وقت آخر قبله، لفقدان ما يصلح للتغيير استصحاباً للحال الأولى، ولا يعمل بهذا في المذهب الزيدي إلا بشرط مساواة الحال الأولى للحال الثانية، ولم يظن طروء معارض يزيل العمل به. مثل من شك في حصول الزوجية إبتداء فإنه يحرم عليه الإستمتاع إستصحابا للحال الأولى وهي عدم الزوجية، ولو شك في دوام الزوجية جاز له الاستمتاع إستصحابا للحال الأولى، وهو دوام الزوجية. بخلاف المتيمم لو وجد الماء فإنه لا يستمر على التيمم استصحاباً للحال لعدم المساواة بين الحالين في المقتضي للحكم عدما ووجوداً.

الإستحسان

المصدر السادس الإستحسان: وهو عبارة عن دليل يقابل القياس الواضح. ويثبت بالأثر كما في خبر المصراه، وبالإجماع كأجرة دخول الحمام مثلاً، وبالضرورة كما في طهارة الحياض والابار.

شرع من قبلنا

المصدر السابع شرع من قبلنا: وهو معمول به إذا عدم الدليل، ولم يعارض ما جاء في شريعتنا، ولا كان مما نسخ بها، لقوله تعالى: (شرع لكم من الدين ما وصىّ به نوحاً) (١٣/ الشورى) وقوله تعالى: (أولئك الذين هداهم الله فبهداهم اقتده (٩٠/الأنعام) ونحو ذلك. والمرجع في صحة ما يسند إلى شرع من قبلنا هو القرآن أو السنة الصحيحة. ولا ثقة بما في كتبهم المتداولة بينهم لأن الله قد أخبرنا بأنهم: أي أهل

الكتاب من اليهود والنصارى قد حرفوا وبدلوا وكذبوا على رسلهم. لذلك فما نتعبد به من شرع من قبلنا مشروط بما تقدم ذكره.

العقل

المصدر الثامن العقل: ويعمل به في حالة عدم وجود الدليل السمعي. لإجماع العقلاء على أن كل ما ينتفع به من دون ضرر عاجل ولا آجل فحكمه الإباحة وسيأتي المزيد من الإيضاح في مباحث العدل إن شاء الله.

وقد بحث علماء أصول الفقه الزيدي كل ما يتعلق بالدليل السمعي - من حيث دلالة الكلمة، ودلالة صيغتها، ودلالة الأسلوب الذي صيغت به على المعنى المقصود للشارع، ثم ما يجب العمل به في حالة التعارض بينها، فتفرع هذا البحث إلى عدة أبواب هي: المنطوق والمفهوم، والحقيقة والمجاز، والأمر والنهي، والعموم والخصوص، والمطلق والمقيد، والمجمل والمبين، والظاهر والمأول، ثم الترجيح في حالة التعارض، كما بحثوا النسخ وما يتعلق به. وأشبعوا بحث كل باب من هذه الأبواب. وسوف أسجل من نصوصهم ما لا بد منه في ذلك، أمّا من أراد سعة الأطلاع فعليه بمؤلفاتهم في هذا الشأن: مثل الغاية وشرحها، والمعيار، وشرحه المنهاج، ونحوهما.

المنطوق والمفهوم

المنطوق: ما دل عليه اللفظ من أحوال وأحكام لمذكور فيه. فإن أفاد معنى لا يحتمل غيره فهو النص. ودلالته قطعية، وإن أفاد معنى يحتمل المقصود برجحان ويحتمل غيره بلا رجحان، فهو الظاهر. ودلالته ظنية.

والمنطوق إما أن يكون صريحاً، وهو ما وضع اللفظ له بخصوصه، وإمّا أن يكون غير صريح، وهو ما يدل عليه اللفظ بالإلتزام، فإن قصد وتوقف الصدق أو الصحة العقلية أو الشرعية عليه فدلالة إقتضاء مثل (واسألوا القرية).

وإن لم يتوقف كذلك واقترن بحكم، لو لم يكن لتعليله لكان بعيداً، فيمسى تنبيه نص وإيماء نص مثل: عليك الكفارة: جواباً لمن قال: جامعت أهلي في نهار رمضان. إنها ليست بسبع: جواباً على من استنكر دخوله صلى الله عليه وآله وسلم بيتاً فيه هرة.

وإن لم يقصد ذلك اللازم فدلالة إشارة مثل: (وحمله وفصاله ثلاثون شهراً) مع قوله تعالى: وفصاله في عامين فيشير بدلالة الإلتزام على أن أقل الحمل ستة شهور.

المفهوم: وهو نوعان مفهوم موافقة: أي أن المسكوت عنه موافق في الحكم للمذكور مثل قوله تعالى: (ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره)، فما فوق مثقال الذرة موافق في الحكم للمثقال المذكور.

ومفهوم مخالفة: أي أن المسكوت عنه مخالف للمنطوق به، ويسمى دليل الخطاب وهو أقسام: مفهوم اللقب، ولا يؤخذ به عند الجمهور. ومفهوم الصفة، ومفهوم الشرط، ومفهوم الغاية، ومفهوم العدد، ويؤخذ بهذه المفاهيم بشروط خلاصتها: أنه لا يؤخذ بها إلا إذا لم تظهر فائدة للقيد بشيء من الصفة، والشرط، والغاية، والعدد سوى التخصيص للمذكور بالحكم، وإلا فلا.

الحقيقة والمجاز

اللفظ قبل الاستعمال ليس بحقيقة ولا مجاز. أما بعد الاستعمال فالحقيقة هي: اللفظ المستعمل فيما وضع له.

والمجاز هو: اللفظ المستعمل في غير ما وضع له لعلاقة. والمجاز واقع في القرآن كوقوعه في اللغة. ومن قوله تعالى: واسألوا القرية (٨٢ / يوسف) وقوله تعالى: (واخفض لهما جناح الذل من الرحمة) (٢٤ / الأسرى).

والحقائق ثلاث:

لغوية: وهي ما استعمل في الوضع الأصلي.

وشرعية: وهي ما نقله الشارع الى معنى آخر وغلب عليه كالصلاة.

وعرفية: وهي ما نقله العرف وغلب عليه كلفظ الدابة والقارورة ونحوهما.

وقد تكون الحقيقة مشتركة بين معان مختلفة كالجون: يطلق على السواد والبياض، والقُرء: يطلق على الحيض والطهر، ويصح أن يريد المتكلم كلا معنييها أو كل معانيها.

الأمر والنهي

الأمر: هو قول القائل لغيره: إفعل، او نحوه، على جهة الإستعلاء مريداً لما تناوله، ويدل على الوجوب لغة وشرعاً، وقد يأتي مجازاً للإباحة والتعجيز والتهديد وغير ذلك.

والأمر بالشيء ليس نهياً عن ضده، والأمر بأشياء تخييراً كآية الكفارة مثلاً يوجبها جميعاً على التخيير، ولا يقتضي مطلق الأمر التكرار إلا لقرينة، ولا يدل على الفور،

ولا على التراخي، وإنما يرجع في ذلك إلى القرائن، والأمر المعلق على علة يتكرر بتكررها، والمقيد بالتأبيد: يقتضي الدوام إلا لقرينة، وما لا يتم الواجب إلا به ولم يرد الأمر مشروطاً به وجب كوجوبه، وما منع الواجب من وجوده فهو قبيح.

النهي

النهي: هو قول القائل لغيره: لا تفعل، أو نحوه، على جهة الإستعلاء، مع كراهة المنهي عنه، ويدل على التحريم حقيقة، وقد يأتي مجازاً للكراهة، والتحقير، والتهديد. وغير ذلك، ومطلق النهي يقتضي الدوام لا مقيده، ويدل على قبح المنهي عنه لا فساده.

العموم والخصوص

العام: هو اللفظ المستغرق لما يصلح له من دون تعيين مدلوله ولا عدده، والخاص بخلافه،

والتخصيص: هو إخراج ما يتناوله العام.

وألفاظ العموم هي: مَنْ - للعاقل، مَا - لغير العاقل، أي-لهما، أين ونحوها في المكان، متى ونحوها في الزمان، ما ونحوها في نفي النكرة، الجمع المضاف، الموصول الذي يراد به الجنس، والمعرّف بلام الجنس مفرداً أو جمعاً، والمتكلم يدخل في عموم خطابه أمراً ونهياً وخبراً ومجيء العام للمدح أو الذم لا يبطل عمومه، ويحرم العمل بالعام قبل البحث، وظن عدم وجود مخصصه، ولا يدخل في الخطاب الخاص بالذكور النساء ودخولهن في نحو(يا أيها الذين آمنوا): بنقل الشرع، أو بالتغليب، وذكر الحكم لجملة لا يخصصه ذكره مرة ثانية لبعضها، مثل قوله صلى الله عليه وآله وسلم: أيّما إهاب دبغ فقد طهر. وقوله صلى الله عليه وآله وسلم في شاة ميمونة دباغها طهورها، فتعم الطهارة كل إهاب ولا يخص الشاة. وكذا عود الضمير إلى بعض أفراد العام مثل قوله تعالى: والمطلقات يتربصن بأنفسهن ثلاثة قروء - وهذا عام للرجعيات والبوائن ثم قال: وبعولتهن أحق بردهن، وهذا الضمير يعود إلى الرجعيات فقط، فيبقى الأول على عمومه ولا يخصصه عود الضمير إلى البعض إذ لا تنافي بين ذلك.

المخصِّص

المخصص قسمان: متصل، ومنفصل. فالمتصل خمسة أقسام: الإستثناء، والشرط،

والصفة، والغاية: مثل (وأتموا الصيام إلى الليل)، وبدل البعض على رأي: مثل أكرم الناس قريشاً، والمختار أنه لا يصح تراخي الإستثناء بل لابد من الإتصال لفظاً إلا قدر تنفس أو بلع ريق ونحوهما، مما لا يعد معه منفصلا في العرف، ويصح إستثناء الأكثر مثل: (إن عبادي ليس لك عليهم سلطان إلا من اتبعك من الغاوين)(٤٢/ الحجر) وهم أكثر من غيرهم، والإستثناء من النفي، إثبات، ومن الإثبات نفي، والإستثناء بعد الجمل المتعاطفة يعود إلى جميعها إلا لقرينة مثل: (والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة، ولا تقبلوا لهم شهادة أبداً، وأولئك هم الفاسقون، إلا الذين تابوا)(٥٠٤/ النور).

وأما المخصص المنفصل فهو الكتاب والسنة، والإجماع والقياس والعقل والمفهوم على القول به، ويجوز تخصيص كل من الكتاب والسنة بمثله وبسائر تلك المخصصات بالتفصيل المذكور في الكتب المطولات، ولا يقصر العموم على سببه، ولا يخصصه مذهب راوية، ولا يخصص بالعادة، والعام بعد تخصيصه يصير مجازا فيما بقي على الأصح ويصح تخصيص الخبر كما يصح تخصيص الأمر والنهي، ولا تتعارض عمومات في حكم قطعي، وإذا تعارض العام والخاص فالعمل بالمتأخر منهما. وإن جهل التاريخ قيل أطرحا معا، وقيل يعمل بالخاص فيما تناوله بالعام فيما بقي.

وقد نظم السيد العلامة عبدالله بن علي الوزير صور بناء العام على الخاص فقال:

يبني العموم على الخصوص بأربع ... صور على القول الأجل فقل أجل
مع جهل تأريخ وعند تقارن ... وتفارق زمنا يضيق عن العمل
وكذا بمتسع يكون عمومه ... متأخراً والعكس نسخ لم يزل

المجمل والمبين

المجمل: ما لا يفهم المراد به تفصيلا.

والمبين: مقابله. ويصح البيان بكل واحد من الأدلة السمعية،ولا يلزم شهرة البيان كشهرة المبيّن، ولا إجمال في الجمع المنكر، مثل رجال إذ يحمل على الأقل. ولا في تحريم الأعيان: مثل (حرمت عليكم أمهاتكم)،إذ يحمل على المعتاد، ولا في نحو العام المخصّص، ولا في نحو لا صلاة إلا بطهور. ولا في نحو الأعمال بالنيات. ويجوز تأخير التبليغ إلى وقت الحاجة، إذ القصد المصلحة، ولا يجوز تأخير البيان ولا التخصيص عن وقت الحاجة. فأما عن وقت الخطاب الى وقت الحاجة فجائز في الأمر والنهي، وعلى السامع البحث ولا يجوز ذلك في الأخبار لأنه مخالف لفائدة الإخبار وهو التفهيم.

الظاهر والمؤوّل

قد يطلق الظاهر على ما يقابل النص. وحقيقته بهذا المعنى: ما أفاد معنى يحتمل غير المقصود بلا رجحان وقد تقدم، وقد يطلق على ما يقابل المجمل، وحقيقته بهذا المعنى ما يفهم المراد به تفصيلا وهذا هو المبيّن وقد تقدما.

والمؤوّل: ما يراد به خلاف ظاهره، والتأويل صرف اللفظ عن حقيقته الى مجازه، أو قصره على بعض مدلولاته لقرينـة أقتضتها.

والتأويل ثلاثة أقسام: قريب فيكفي فيه أدنى مرجح لقربه، وبعيد فيحتاج إلى مرجح أقوى، ومتعسف لا يحتمله اللفظ، وهذا القسم وحده هو الذي لا يقبل وهو الذي يجب رده كتأويل الباطنية ثعبان موسى بحجته. ونحو ذلك.

النسخ

النسخ: هو إزالة مثل الحكم الشرعي بطريق شرعي مع تراخ بينهما. وقد وقع بالإجماع إلا عن اليهود. ويجوز نسخ ما قيد بتأبيده: مثل (ولن يتمنوه أبداً)(٩٠/ البقرة) (ونادوا يا مالك ليقض علينا ربك)(٧٧/ الزخرف). ويجوز النسخ إلى غير بدل لجواز إنقضاء مصلحة الحكم الأول: كنسخ وجوب الإمساك بعد الإفطار، وقوله تعالى: (نأت بخير منها أو مثلها): متأول بأن المراد نأت بلفظ أية خير منها لا بحكم، ويجوز نسخ الأخف بالأشق كالعكس، ويجوز النسخ في الأخبار كالأوامر والنواهي، ويجوز نسخ التلاوة دون الحكم، والحكم دون التلاوة كنسخ آية السيف لآيات كثيرة، ولا يجوز نسخ الشيء قبل إمكان فعله وإلا لزم البدا، ويجوز نسخ الكتاب بالكتاب لقوله تعالى: (ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها)(١٠٦/ البقرة). ويجوز نسخ السنة بالسنة إجماعاً، ولا ينسخ الإجماع بالقياس إجماعاً. وينسخ الكتاب بالسنة المتواترة لقوله تعالى: (لتبين للناس)(٤٤/ النحل)، والنسخ نوع من البيان، ويجوز نسخ السنة بالكتاب لأنه الأقوى، ولا ينسخ متواتر بأحادي، ولا يصح النسخ بالقياس، ولا بالإجماع، ولا يقلد الصحابي بأن الحكم منسوخ إلا بدليل من رواية أو غيرها.

والطريق الى معرفة النسخ: إما النص منه صلى الله عليه وآله وسلم، أو من الأمة أو من العترة النبوبة. إما صريحاً نحو: نسخ هذا بهذا، أو معنوياً نحو: كنت نهيتكم عن زيارة القبور ألا فزوروها، أو إمارة نحو تعارض الخبرين من كل وجه وعلم المتأخر

بنقل صحابي، أو قرينة كنسبة إلى غزاة أو حالة متقدمة، ونقيضه في المتأخرة فيعمل بذلك في المظنون.

الترجيح

من المتفق عليه أن الأدلة القطعية لا تتعارض، ولا يتعارض القطعي مع الظني لأن الرجوع الى القطعي هو الأوجب. وإنما تتعارض الظنيات النقلية أو العقلية،وفي هذا الحال يرجع إلى الترجيح.

والترجيح هو: اقتران الدليل النقلي أو العقلي بما يترجح به على معارضه. والترجيح في الدليل النقلي قد يكون من جهة سنده، أو متنه ـ أي لفظه ـ أو مدلوله ـ اي معناه ـ أو من جهة أمر خارج عنه.

فترجح السند: بكثرة رواته العدول، أو بكون راويه ثقة، أو بكونه أعلم، أو أكثر ضبطاً، وإذا كان الحديث مرسلاً. فبكون راويه معروفاً بأنه لا يرسل إلا عن عدل، وبكون الراوي هو المباشر لما رواه، أو صاحب قصته، أو كان مشافِهاً، أو بكونه أقرب مكاناً أو كان من أكابر الصحابة، أو متقدم الإسلام. إلى غير ذلك من المرجحات المذكورة في المطولات.

ومن جهة متن الحديث ولفظه: فيترجح النهي على الأمر، والأمر على الأباحة، والأباحة بلفظها على النهي والأقل احتمالاً على الأكثر، والحقيقة على المجاز، والمجاز الأقرب على خلافه ـ إما لكثرته أو قوته أو رجحان دليله أو شهرة استعماله. ويرجح المجاز أيضاً على المشترك في الأصح، ويرجح مفهوم الموافقة على مفهوم المخالفة، وتخصيص العام على تأويل الخاص لكثرته، والخاص على العام ولو من وجه، والعام الذي لم يخصص على الذي خصص وغير ذلك.

ومن جهة مدلول الحديث ومعناه: يرجع الحضر على الإباحة وعلى الندب لأن دفع المفسدة أهم من جلب المنفعة، ويرجح الوجوب على الندب، والمثبت على النافي، والدارىء للحد على الموجب، وغير ذلك.

وأما الترجيح بأمر خارج عن الدليل: فلموافقته لدليل غيره، أو لأهل المدينة، أو للخلفاء أو للأعلم، وبتفسير الراوي، وبذكر السبب، وبقرينة أخرى كتأخر الإسلام، وغير ذلك.

والترجيح بين الأدلة العقلية: فإن كان قياساً رجح بأصله، أو فرعه، أو بمدلوله،

أو بأمر خارج عنه. فيرجح الأصل بكونه قطعياً، أو دليله أقوى، أو لم ينسخ باتفاق، أو بأنه جار على سنن القياس، وغير ذلك.

وترجح الضروريات على غيرها من المصالح، والمصالح الحاجيات على المصالح التحسينية، ويرجح الفرع بكونه ثابتاً بالنص في الجملة إلى غير ذلك من المرجحات المذكورة في كتب الأصول.

ذلك المتقدم هو الفكر الزيدي في أصول الفقه ومصادر التشريع في الإسلام. وهو أكبر شاهد على دقة فهم الزيدية لمقاصد الشريعة وأهدافها، وعلى نزاهة المقصد فيما أصّلوا وقعدوا، وأخيراً على صحة ما استنبطوه من أحكام، وعلى حسن ماقرروه منها في كل مجالات الفقه الإسلامي العظيم.

أما الفكر الزيدي في أصول الدين فسوف تعرفه إن شاء الله فيما يلي:

أصول الدين

في أصول الدين ـ أو كما يسمى كثيراً بعلم الكلام، لاعتماده على قوة حجة الكلمة في المنطق السليم ـ لا يُبْحث فيه عن الأدلة الشرعية ومقاصدها، وإنما يبحث فيه عن واضع الأدلة، ومشرِّع الشريعة، ومرتِّب مقاصدها ـ من حيث كونه إلٰهاً خالقاً قادراً عظيماً عليماً حكيماً عادلاً غفوراً رحيماً.. وما يتعلق بذلك ويتفرع عليه من مباحث فكرية وسياسية واجتماعية واقتصادية، وغير ذلك، وقد تركزت هذه المباحث على خمسة أصول هي:

التوحيد، والعدل، والوعد والوعيد، والنبوات، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

تمهيد

الدين والتدين

من الغرائز الفطرية في الانسان ـ التديّن ـ وتثيره فيه حاجاته إلى المنقذ في حالة الشدة، وأداؤه الشكر للمنعم عليه بأي صنف من أصناف النعم.

ومن أجل هذا فلو خلّي الإنسان وهذه الفطرة لأهتدى الى الايمان بالله بصفته المنقذ الأعظم، والمنعم الحقيقي الأول. قال تعالى: (فأقم وجهك للدين حنيفاً فطرة الله التي فطر الناس عليها) (٣٠/ الروم)، ولكن الانسان لم يترك وهذه الفطرة الصافية

فلقد أصبح عرضة للإضلال من قبل الشيطان، ومن قبل النفس الأمارة بالسوء، ومن قبل الهوى، وحب المال والجاه، وغير ذلك من الأوثان المعنوية والمادية، فلطف الله به وأنعم عليه بهدايتين: هما هداية العقل الذي كرمه الله به، وهداية الرسل الذين أصطفاهم لهداية الناس لئلا يكون على الله حجة بعد الرسل. (١٦٤/ النساء)، ومن هنا أصبح للمتدين أدلة عقلية، وشرعية بها يتوصل إلى المعرفة الصحيحة للإله الحق، ومعرفة وحدانيته، وعدله، وما يترتب على ذلك،ولن يضل معهما لو استخدمهما استخداماً سليماً.

الدليل

يطلق الدليل في اللغة على المرشد، وعلى العلامة التي بها الإرشاد. وفي اصطلاح علماء الكلام يطلق: على ما يمكن التوصل بصحيح النظر فيه إلى العلم بالغير.

وما يدرك بدليل العقل قسمان: بدهي، ونظري، ولا يحتاج لإدراك البدهيات إلى إعمال الفكر والنظر، وإنما يدركها العقل بكل يسر وسهولة، ولذلك تسمى - الضروريات -. أما النظرية فتحتاج إلى إعمال الفكر والنظر، ولذلك تسمى - الإستدلاليات - وما يدرك بالعقل: إن لم يترتب عليه حكم قيل له «تصور» لكونه مجرد تصور ذهني، وإن ترتب عليه حكم قيل له «تصديق»، ثم إن كان هذا الحكم التصديقي مطابقاً للواقع والاعتقاد الجازم قيل له «علم»، وإن كان مجرد إعتقاد غير جازم ومعه قرائن راجحة قيل له «ظن»، وإن عدم المرجح قيل له «وهم»، وإن استوى الحالين حال الظن وحال الوهم قيل له «شك».

والأدلة عند الزيدية وسائر العدلية نوعان هما:

دليل العقل، ودليل السمع «الكتاب والسنة» فما عرف من جهة العقل كمعرفة الله، وشكر المنعم، ونحو ذلك فهو العقلي وما عرف من جهة السمع كالصلاة والصيام ونحو ذلك فهو السمعي.

وجعلت الزيدية وسائر العدلية حجة العقل أصلاً لحجة السمع، لأن السمع عرف بالعقل ولم يعرف العقل بالسمع، وهذا لا يعني أنهم لا يستدلون بالسمع المثير لدفائن العقول الموجه الى مواضع الحجج والبراهين الناصعة على وجود الله ووحدانيته وعدله وحكمته ونعمه على خلقه - وإنما تعني فقط أن الدليل العقلي عند الخلاف والجدال

مقدم في الاستدلال على الدليل السمعي لإيمان الخصم به وهذا لا يعني إلغاء الدليل السمعي.

أما غير العدلية فقد جعل السمع هو الأصل حال الإستدلال، وإذا جاءت حجة العقل على لسانه فإنما جيء بها لغرض التأكيد على حجة السمع وليس غير ذلك.

وهذا الإتجاه المتهاون بالعقل لن يقنع كافراً ملحداً ولا طائشاً متعنتاً وهو مع ذلك سوف يؤدي إلى إضعاف قدرات العقل على الإقناع وعلى الإبداع والتجديد في مجالات الحياة إلى غير ذلك من المضار والمفاسد. والإتجاه العقلي في الاستدلال هو أحد الإتجاهين السائدين في هذا العصر. وثانيهما هو الإتجاه التجريبي الذي يعتمد في إثبات أي حقيقة على التجربة والمشاهدة الحسّية وهو اتجاه الاشتراكية العلمية، والرأسمالية الغربية، وقد جعلته الاشتراكية والشيوعية أساساً لفلسفتها الإجتماعية والإقتصادية والسياسية رابطة بين هذه الأحوال وبين الإنسان وحياته المادية بحبه لذاته ـ وإلى هنا تشترك الشيوعية والرأسمالية ـ ثم تفارق الشيوعية الرأسمالية بجعلها حب الذات ظاهرة غير طبيعية وغريزية في الإنسان، وزعمت أنها ظاهرة لوضع إجتماعي قائم على أساس الملكية الفردية، وهذه الحال في نظرها هي التي تكوّن المحتوى الروحي والنفسي للإنسان، وتخلق في الفرد حبه لمصالحه الخاصة. وتزعم الشيوعية أن الذي يخلص الفرد من هذا هو القضاء أولا على الكيان الإجتماعي القائم على ذلك الأساس لتحل محله الملكية الجماعية الإشتراكية والشيوعية ـ وحينذاك سوف ينعكس المحتوى الروحي والنفسي في الإنسان وتنقلب مشاعره الفردية إلى مشاعر جماعية وفقاً لقانون التوافق بين حالة الملكية الأساسية، ومجموع الظواهر الإجتماعية التي تتكيف بموجبها.

ويمكن الرد على ذلك بدليلين ماديين هما:

١ ـ تراجع الحكومة الروسية ومن وافقها عن تحريم الملكية الفردية، وإصدارها قانوناً يقضي بإباحة الملكية الخاصة للفرد، وهذا التراجع دليل على عدم قدرتها على محاربة حب الفرد لذاته وليس ذلك إلا لكونه غريزة طبيعية فيه، واستسلامهم دليل على أنهم يحسون به في قرارة أنفسهم كما تحس به الأفراد.

٢ ـ إن حرص الحكام على إدارة وسائل الإنتاج من قبل الجهاز الحاكم لا يمكن تفسيره إلا أنه بدافع الغريزة الطبيعية لحبهم لذواتهم حيث يصرون على جعل أنفسهم الحاكمين لا المحكومين في كل المجالات.

أما الرأسمالية فقد بالغت في طبيعة حب الإنسان لذاته حتى جعلتها أصلا ومرجعاً لكل تصرفاته في مجالات الحياة وما تعلق بها من القوانين.

طريقة الإستدلال العقلي

مَنْ أثبت حجية الدليل العقلي على وجود الله وقدرته وعدله وما يتعلق بذلك سلك في الإستدلال.

طريقة الاستدلال العقلي:

أولاً على حدوث الأجسام: وذلك بالنظر إلى حدوث أعراضها. ويسمى دليل الأعراض، وبالنظر الى أكوانها - أي الأحوال التي لا يمكن أن يكون الجسم على حالٍ غيرها: كأن يكون الجسم مجتمعاً أو مفترقاً، وفي أي الحالين إما أن يكون ساكناً أو متحركاً ولا حال غير ذلك - ويسمى هذا دليل الأكوان.

وحال الإستدلال يثبت المستدل أولاً تغيرها، ثم يستخلص من تغيرها دليل حدوثها، ثم يستدل بحدوثها على الفاعل المحْدث، ويستدل بإتقانها على أنها من صنع الله لكونه الفاعل المختار العليم القادر على الإتقان.

وهناك دليل سماه بعضهم دليل التمانع، وقد جاء في قوله تعالى:(لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا)(٢٢/ الأنبياء)، أي انه لوكان فيهما آلهة موصوفة بأنها غير الله لاختلفت في إرادتها ورغباتها، وبالتالي سوف تختلف على تنفيذ تلك الرغبات والإرادات - فيحصل التمانع في التنفيذ وبالتالي فساد الأرض والسماء.

أما الأدلة السمعية على وجود الله وما يتعلق بذلك فقد بلغت في القرآن حوالي خمسمائة آية. وما تركز منها على التفكر في الأنفس سمي دليل الأنفس، وما تركز منها على التفكر في الأفاق وما خلق الله فيها من المخلوقات سمي دليل الأفاق، أخذاً من قوله تعالى:(سنريهم آياتنا في الأفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق)(٥٣/ السجدة)، وما تركز منها على ما خلق الله من آيات ومعجزات سمى دليل المعجزات ومنه قوله تعالى:(رب أرني كيف تحيي الموتى)(٢٦٠/ البقرة) إلى غير ذلك من الآيات.

التوحيد

التوحيد: في إصطلاح المتكلمين هو: الايمان بوحدانية الله في ذاته، وصفاته، وتوحيده في عبادته، وطاعته ـ هذا من الجانب النظري ـ أما من الجانب التطبيقي فهو يعني الإيمان بحرية الإنسان، والعمل على تحريره من كل ألوان وأشكال العبودية لغير الله التي يفرضها مخلوق على مخلوق، أو يبررها بأي أنواع الدعايات والإغراءات.

من أجل هذا فالحرية الصحيحة مبدأ من المبادىء الإسلامية، أساسه الإيمان بالتوحيد وليست مجرد شعار يرفع للتضليل أو التغرير.

أول واجبات التوحيد

من الواقع المقطوع به أنه يوجد في عالمنا اليوم عدة ديانات وملل يعتنقها غالبية البشر، ويوجد فيه عدة أفكار اجتماعية، واقتصادية، وسياسية،يقوم الصراع من أجلها بين البشر، وفي خضم هذه الديانات المتعارضة والأفكار المتصارعة يعيش الإنسان. ولكن إلى أيها ينتمي؟ وفي ظل أيها يعيش، ثم إلى من يتجه بولائه، وحبه، وعبادته؟ إن الأمر يحتاج إلى تفكير ونظر، وهذا هو ما اعتبرته الزيدية واجباً، بل وأول الواجبات، ولم يخالفهم في ذلك إلا من أجاز التقليد، أو الذين زعموا بأن معرفة الخالق من المعارف الضرورية كمعرفة الإنسان بحال نفسه. والكل محجوج بالعقل والسمع: أما **العقل** فقول المقلدة يؤدي الى التصادم في الصفات وأحكام العدل والوعد والوعيد... وقول أصحاب المعارف الضرورية يكذبه الواقع فالشيوعية ونحوها لا تؤمن بالله. وأما **السمع** فقوله تعالى:(**شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولو العلم قائماً بالقسط**)(١٨/ آل عمران). وقوله تعالى:(فاعلم أنه لا إله إلا الله)(١٩/ محمد)، وقوله تعالى:(أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت)(٢٠/ الغاشية) وعشرات من الآيات غيرها.

ففي الآية الأولى: خص الله أولي العلم من الناس بالشهادة بوحدانيته، كما شهد وشهدت ملائكته بها، واختصاص العلماء بهذه الشهادة دليل على أن وحدانيته تعالى ونحوها لا تعرف إلا بالعلم،ولذلك أمر به في الآية الثانية: فاعلم أنه لا إله إلا الله...

أما في الآية الثالثة فقد دل العباد على أهم وسائل المعرفة والعلم، وهو النظر والتفكر، والمعارف والمعلومات منها ما هو ضروري كعلم الانسان بحال نفسه مثلاً،

وهذا لا يحتاج إلى إستدلال ونظر وتفكر والعالم والجاهل فيه على سوى. ومنها ما هو استدلالي يحتاج إلى نظر وتفكر، وها هنا محل ازدحام المناكب، واحتكاك الأفكار الذي تخوضه الزيدية وسائر العدلية معها. وبذلك قالت: إن أول الواجبات هو النظر والتفكر، لكونه شرطاً في حصول العلم المترتبة عليه الشهادة لله بالوحدانية كما قال تعالى: (إلا من شهد بالحق وهم يعلمون)(٨٦/ الزخرف)، ومن القواعد الأصولية الفقهية قولهم: ما لا يتم الواجب إلا به يجب كوجوبه.

من الفاعل الحقيقي لهذه المخلوقات؟

سبق القول بأن الإنسان لو خلي وفطرته لاهتدى إلى معرفة الفاعل الخالق للمخلوقات فوحّده، وأمن به، واعتمد في الحياة على مناهجه، وشرائعه ـ ولكنه لم يُخَلّ فاحتاج مع ذلك إلى الهداية، فأنعم الله عليه بهدايتين هما هداية العقل، وهداية الرسل، ومنحه الله بعد ذلك حرية الإرادة، والاختيار: (فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر)(٢٩/ الكهف)، وكما قال الله: (وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين)(١٠٣/ يوسف)، فلم يعرفوا الفاعل الخالق، ولا وحّدوه، ونسبوا الخلق تارة إلى الطبيعة، وأخرى إلى العلة، ونسب المغفلون منهم الخلق إلى الصدفة.

أما في عصرنا هذا ففيه من يقول:

إن فاعل المخلوقات هو المادة المتحركة، وهؤلاء هم أصحاب الفلسفة المادية التجريبية ـ دعاة الشيوعية والاشتراكية العلمية ـ ويقول (ستالين) وهو أحد زعمائهم: إن العالم بطبيعته مادي، وإن حوادث العالم المتعددة هي مظاهر مختلفة للمادة المتحركة، وإن العلاقات المتبادلة بين الحوادث وتكييف بعضها ببعض بصورة متبادلة هي قوانين ضرورية لتطور المادة المتحركة، وإن العالم متطور تبعاً لقوانين حركة المادة، وإنه ليس بحاجة لأي عقل كلي. (فلسفتنا ٢٠١) هذا في مجالات المادة أما المجالات الفكرية فيقول فيها (ماركس): ليست حركة الفكر إلا إنعكاسا لحركة الواقع منقولة ومحولة في مخ الإنسان. (فلسفتنا ٢٠٥).

فالفلسفة الشيوعية قد جعلت المادة الفاعل الحقيقي للوجود المحسوس، أما غير المحسوس فهو انعكاس لذلك الواقع في الفكر. وهذا القول يقرب إن لم يطابق من قول الطبائعيين الذين جعلوا العالم مؤلفاً من أربعة عناصر مادية هي: الماء، والهواء، والتراب، والنار، وقد أبلغها العلم الحديث ـ الفيزياء ـ إلى نحو مائة عنصر، كما

أثبت العلم الحديث أن كل عنصر منها مؤلف من ذرات، وكل ذرة منها تحتوي على نواة مركزية لها مؤلفة من (بروتونات)، وفي كل وحدة بروتونية شحنة كهربائية موجبة. ومن (نيوترونات) لا تحمل شيئاً من الشحنات الكهربائية، وتدور بسرعة هائلة حول هذه النواة المؤلفة من البروتون والنيوترون كهارب سالبة تسمى (الكترونات). وقال هؤلاء العلماء: إن أصل الوجود كله هو هذه الذرة لوجودها في التحليل النهائي أساساً لكل العناصر التي تألفت منها الأجسام.

وهذا القول نفسه هو ما يبطل إعتقاد الشيوعيين بأن الفاعل الحقيقي للمخلوقات هو المادة أي الذرة المذكورة ـ وذلك لأنه لو كانت هذه الذرة هي الفاعل الحقيقي للعالم لما اختلفت مظاهرها وتناقضت في العناصر والأجسام حيث يكون مظهرها ماء، ونوراً مرة، وتراباً حيناً، وحيناً آخر حيواناً أو حجراً... فاختلافها دليل على خضوعها لقدرة فاعل آخر مسيطر عليها وما مثلها عند ذلك الفاعل الحقيقي إلا مثل قطعة الخشب عند النجار حيث يجعل منها كرسياً مرة، وسريراً مرة، وصندوقاً مرة أخرى، فتتغير مظاهر القطعة الخشبية حسب رغباته وإرادته. ولكن مادتها ما تزال خشباً. ثم إن اتحاد كل العناصر في الذرة التي هي أساسها دليل. على قدرة الصانع الحكيم الذي خلق العالمين وسوّى، وقدّر فهدى من مادة الذرة وحدها وتبارك الله أحسن الخالقين. ومما تقدم نعرف أن اعتقاد الشيوعيين والماديين باطل ومجانب للحقيقة.

أما علماء الإسلام فقد أثبتوا بأدلة العقل والنقل أن الفاعل الحقيقي لخلق العالم كله هو الله وحده لا شريك له. وليست الطبيعة هي الفاعل ولا الصدفة لكون ذلك غير معقول، ولا هو العلة للزوم مقارنة المعلول لعلته، ويلزم لذلك أن يكون العالم كله قديماً بقدم علته. ولا الفاعل الذرة بتفاعلها لبطلان ذلك كما تقدم، ولا يمكن أن يكون الفاعل هو العدم لأن العدم لا يؤثر شيئاً. فلم يبق إلا القول بأن الله هو الفاعل الحقيقي للمخلوقات.

صفاتــــه

أجمع العقلاء على أن أي ذات لا تعرف ضرورة ، فالتوصل إلى معرفتها لا يكون إلا بأحد أمرين:

١ ـ إما بشيء صدر عنها.

٢ ـ وإما بفعل صدر ويصدر من قبلها.

لذلك فقد سلك الأكثر من العلماء في الاستدلال على وجود الله ووحدانيته في ذاته وصفاته وما إلى ذلك ـ مسلك النظر والتفكر في المخلوقات،لأنها أفعال صادرة من فاعل، ومنها عرفنا قدرته تعالى على الفعل. ولمّا كان الفعل متقناً محكماً عرفنا أنه عالم حكيم، لأن الجاهل لا يقدر على الفعل المتقن المحكم، وبأثباتنا العلم والقدرة له تعالى وجب إثبات الحياة، لأن الجماد لا علم له ولا قدرة، ولأن الفعل قد صدر من قبله عرفنا قدمه تعالى على خلقه. وبهذا المسلك نعرف كل صفات الله تعالى الذاتية والفعلية.

ولكن ماذا تعنى هذه الصفات؟ مع قوله تعالى؟ ليس كمثله شيء وهو السميع البصير (١١/ الشورى) لنعرف أولاً ماذا تعني كلمة الصفات؟.

الصفات: جمع صفة، ولفظ صفة: مصدر وصف، مثل عدة مصدر وعد، وهي بهذا المعنى المصدري: **قول الواصف** لغيره مدحاً: محمد صادق، أو ذماً: مسيلمة كاذب، ولا خلاف بين المسلمين في إضافة هذا النوع من الصفة إلى الله تعالى فيقال مثلا؟ الله حي خالق عدل...

وقد تطلق الصفة ويراد بها الحال والهيئة الحاصلة لذات الموصوف عند وجود ذلك مثل القادرية عند وجود القدرة والسوادية عند حصول السواد.

وقد تطلق الصفة ويراد بها العرض الحال في الذات مثل السمع والبصر، والقدرة في الإنسان وبها يكون قديراً سميعاً بصيراً. أي أن هذه الأعراض سبب للقدرة في الإنسان أو السمع أو البصر وهو بغيرها لا يكون قديراً ولا سميعاً ولا بصيراً. والصفة بهذه الإعتبارات الثلاثة يصح إطلاقها على الإنسان بلا خلاف.

أما إضافة الصفة الى الله باعتبارها عرضاً زائداً على الذات. أو حالاً وهيئة تحصل للذات عند حصولها. فقد افترق المسلمون من أجلها إلى فرق شتى:

فمنهم من منع إضافتها إلى الله مطلقاً، وهؤلاء هم المعطلة ومنهم الباطنية الإسماعيلية، محتجين بأن إضافة الصفة إلى الله يؤدي إلى التجسيم والتشبيه، ويجيزون إضافة صفة القدرة والعلم والخلق والعزة والكبرياء إلى ما سموه بالعقل الأول بصفته كما قالوا،أول مخلوق لله،وهو مصدر كل المخلوقات بعده، كما يجيزون إضافة تلك الصفات ونحوها لإمامهم المستور بصفته أشرف المخلوقات النامية. ولهم غير ذلك من

الشطحات الفلسفية التي لا يقرها عقل. وسوف يأتي الكلام عنها ضمن الكلام عن الإمام الهادي إلى الحق، يحيى بن الحسين بن القاسم، رضوان الله عليه، وما جرى بينه وبينهم من حروب.

ومنهم من أجاز إضافتها إلى الله مطلقاً، ومن هؤلاء المجسمة والمشبهة كهشام بن الحكم، وهشام الجواليقي، وداود الجواربي، وأمثالهم القائلين: إن الله جسم كجسم الإنسان وإنه خلق آدم على صورته، وإن له أعضاء، وغير ذلك من أقوالهم الخاطئة[1]. ولا شك أن هذه الفرق قد أخطأت خطأً فاحشاً وتقولت على الله بغير الحق تعالى عما يقولون علواً كبيراً. أما سائر الفرق الإسلامية الآتي ذكرها فهم جميعاً متفقون على تعظيم الله وتنزيهه عن النقائص وأنه المستحق لكل صفات الجمال والكمال، ولكنهم اختلفوا اختلافاً نظرياً في كيفية إستحقاقه لتلك الصفات، ومن المؤسف أن هذا الإختلاف قد كان سبباً لحروب طاحنة بين المسلمين زج بهم فيها المنافقون والمندسون في الماضي، والغزاة الطامعون والمستعمرون في الحاضر. وأعتقد أن مما يجب على المسلمين اليوم هو ألاّ يجعلوا ذلك الخلاف سبب صراع دام بينهم لأنهم، اليوم جميعاً يواجهون تيارات إلحادية مدعومة بالفكر والمال والسلاح، والله سبحانه وتعالى قد أمرهم بهذا بقوله: (واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا)(١٠٣/ آل عمران)، كما يقول: (ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات وأولئك لهم عذاب عظيم)(١٠٥/ آل عمران).

(١) شرح العقيدة الطحاوية ص ١٧٧.

الفرق المشار إليها في ما تقدم هي:

والفرق المشار إليها فيما تقدم هي:

الفرقة الأشعرية[1]: وهم القائلون في هذا الباب بأن لله صفات ذاتية وهي عبارة عن معان قديمة قائمة بذاته وليست إيّاه ولا بعضه ولا غيره. وقد جمع هذه المعاني بعضهم بقوله:

حيـــاة وعلم قـــــدرة وإرادة كلام وإبصار وسمع مـع البقـا

الفرقة السلفية: وتقول ما أثبت الله ورسوله من الصفات أثبتناه وما نفاه الله ورسوله نفيناه. وجعلوا من الصفات كل ما جاء في القرآن والسنة من أسماء الجوارح والأعضاء مثل اليد، والعين، والوجه، وغير ذلك. وقالوا: إنها كلها حقائق تليق بجلال الله تعالى[2].

الفرقة العدلية: ومنهم الزيدية وتقول: إن لله صفات ذاتية، وصفات فعلية، فمثل العليم القـديـر الحـي القيـوم ونحوها صفات ذاتية. والصفة الذاتية[3] هي التي متى علم موصوفها علم عليها أي أنها تعلم بمجرد العلم بالموصوف، فإذا سمع أحد المؤمنين كلمة (الله) علم بأن المقصود هو الواحد الأحد القيوم... بدون ذكر هذه الصفات أو نحوها، وهذا يعني أن إثباتها لله لا يحتاج إلى إثبات معان زائدة على الذات لتكون سبباً لوجود الصفة الذاتية على نحو ما قالت الأشعرية. لأن مقالة الأشعرية تبعث على التفكر في الذات المقدسة، والتفكر في الذات المقدسة حرام بإجماع المسلمين.

وقد جاء في الأثر: من تفكر في المخلوقات وحّد، ومن تفكر في الخالق ألحد. كما يؤدي إلى القول على الله بغير علم والله تعالى يقول:(يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم ولا تقولوا على الله إلا الحق)(١٧١/ النساء). والإمام علي كرم الله وجهه يقول: التوحيد : ألا تتوهمه. والعدل ألا تتهمه.

كما أنه يؤدي في آخر المطاف للمناظرة إلى القول بالتجسيم، وبتعدد القدماء، وقد لاحظت الأشعرية هذه النتيجة فتخلصت منها بقولها: إن تلك المعاني ليست هي الله، ولا غير الله ولا بعضه. فوقعت في التناقض المعيب والمبطل لقولهم المذكور في الصفات.

---

(١) أتباع أبي الحسن عمرو بن أبي بشر الأشعري وقيل علي بن موسى الأشعري.

(٢) شرح العقيدة الطحاوية ص ١٧٧.

(٣) رياضة الأفهام للإمام المهدي ج ١ - من البحر ص ١٥٨.

وقد لاحظت نفس الملاحظة السلفية عندما جعلت أسماء الجوارح المذكورة في القرآن حقائق منسوبة إلى الله فتخلصت من التجسيم بقولها: إنها حقائق تليق بجلال الله تعالى.

وقد نقل عن ابن الجوزي الخطيب والغزالي وهما من مشاهير السلفية نفي هذه المقالة ونفي أن تكون مذهب الإمام أحمد بن حنبل[1].

من أجل كل ما تقدم قالت الزيدية وسائر العدلية: إنه لا يحتاج في إثبات الصفات الذاتية لله إلى إثبات معان زائدة كما قالت الأشعرية، ولا إلى الإعتقاد بأن أسماء الجوارح كاليد والوجه والساق وغير ذلك حقائق تليق بجلال الله. ولا من دافع وموجب لذلك، لكون العلم بها وبالإيمان بانها صفات لله يحصل بالنظر والتفكر في المخلوقات، وهو يوصل إلى العلم بأنه لا بد للمخلوقات من خالق، قادر، لأن العدم لا يخلق، ولأن العاجز لا يقدر عليه، وكونها محكمة متقنة التنظيم يدل على أن خالقها عليم، حكيم... وبهذا النظر والتفكر يحصل العلم بأن الله متصف بصفات الكمال والجمال المطلق[2] ولا يحتاج لإثباتها إلى إثبات معان زائدة، ولا إلى الإعتقاد بأن أسماء الجوارح صفات حقائق تليق بجلال الله تعالى.

هذه هي طريقة الزيدية وسائر العدلية في إثبات الصفات الذاتية والفعلية لله تعالى أما ما سوى ذلك من الصفات أو ما جاء من ذكر الجوارح فقد رجعوا إلى التماس معانيها اللائقة بجلال الله وعظمته وقدسيته من محكم القرآن الكريم نفسه، ومن دلالاتها في اللغة العربية التي نَزَّل الله بلسانها القرآن العظيم تطبيقاً لقوله تعالى:(هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله. وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا وما يذّكر إلا أولو الألباب) (٧/ آل عمران).

المحكم والمتشابه

المحكم في اللغة: هو المتقن. **والمتشابه لغة:** هو ما يشبه بعضه بعضاً. وبهذا المعنى اللغوي يكون القرآن كله محكماً لإتقانه في بلاغته وحسن نظمه، ويكون متشابهاً لأنه

(١) تاريخ المذاهب الإسلامية لمحمد أبو زهرة ص ٢٣٤.

(٢) بعض العدلية يقول بأنه استحقها لذاته وبعضهم يقول استحقها لما هو عليه في ذاته وهذه الأقوال ترجع إلى ما ذكرناه.

يشبه بعضه بعضاً في البلاغة والأتقان.

أما المحكم في إصطلاح المتكلمين: فهو ما اتضح معناه فلم يخف.

والمتشابه: هو ما خفي معناه فلم يتضح إلا بقرينة. وقد وضح القرآن الكريم سبب وجود المتشابه بهذا المعنى الإصطلاحي في القرآن فقال جل وعلا :(فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله) وذلك باتباع ما يظهر منه التناقض في كلام الله لغرض الفتنة والتشكيك، وهو ما يؤول إليه ذلك الإتباع كاتباع آية (ليس كمثله شيء)وفي نفس الوقت يتبع آيات الجوارح فيشبه الله بالإنسان جل وتعالى عن ذلك علواً كبيراً، وبهذا الإعتقاد المتناقض تكون الفتنة التي يريدها الذين في قلوبهم زيغ. ولو أرجع هذا المتشابه إلى أم الكتاب المحكم لما حدثت الفتنة ولما كان الزيغ. فالمحكم في القرآن الخاص بصفات الله تعالى مثل: (ليس كمثله شيء)(١١/الشورى). لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير (١٠٣/ الأنعام)، فهاتان الآيتان ونحوهما واضحة معانيها كل الوضوح. فآية :(ليس كمثله شيء)، تنص على أن الله لا يشبه شيئاً من مخلوقاته لا جسماً ولا عرضاً. وإذا علمنا أن كل شيء في الوجود لا يخرج عن كونه جسماً أو عرضاً حتى على رأي الجاحدين الذين يقولون: بأن أصل الوجود الذرة وأن العالم خلق بتفاعلها فالذرة جسم وفيها عرض والله سبحانه وتعالى ليس كمثله شيء - فأي بحث عن الذات المقدسة لا يؤدي إلا إلى الوهم والجهل والتقول على الله بغير الحق، وأي اعتقاد لا يكون على أساس رد المتشابه إلى المحكم لا يؤدي إلا إلى الفتنة والضلال المبين بالتشبيه لله الخالق بالإنسان المخلوق أو بالتشبيه للانسان المخلوق بالله الخالق،أو بنحو ذلك،أعاذنا الله منه وهدانا الى الصراط المستقيم صراط الذين أنعم عليهم بالهداية فلم يكونوا من المغضوب عليهم ولا الضالين.

الآيات المتشابهة

الآيات المتشابهة في القرآن كثيرة فمنها قوله تعالى :(قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها)- سورة المجادلة - فهذه الآية وكثير من نحوها مثل(وهو السميع البصير) تثبت في الظاهر السمع كما تثبت الآية الثانية: السمع. والبصر.

والسمع في المخلوقات: هو ما به يعرف المسموع بواسطة آلة السمع كالآذان في الإنسان وما أشبهها في غيره. لهذا فالآيتان من الآيات المتشابهة التي يجب ردها إلى المحكم كما قال الله تعالى. لذا قالت الزيدية وسائر العدلية: إن معنى السمع والبصر

هو العلم، **أما السمع** فبدليل قوله تعالى:(أم يحسبون أنا لا نسمع سرهم ونجواهم، بلى ورسلنا لديهم يكتبون)(٨٠/ الزخرف). والسر هو: إضمار في القلب غير صوت فيسمع بدليل قوله تعالى:(فأسرها يوسف في نفسه)(٧٧/ يوسف). واذاً فالسمع في الآية معناه العلم لا غير وبذلك نكون قد رددنا المتشابه إلى المحكم كما هو واضح.

أما البصر فألته في الإنسان ونحوه هو العين، والله لا يحتاج إلى عين ولا إلى ما يشبهها ليبصر بها المخلوقات، وبالرجوع إلى القرآن: نجد أنه حينما يذكر العين لا يعني إلا العلم نحو قوله تعالى:(ولتصنع على عيني)(٣٩/ طه) وبالاتفاق أن الصنع لم يكن على العين. وقوله تعالى:(تجري بأعيننا)(١٤/ القمر)، إنما يعني بعلمنا. ثم إنه لا عيون كثيرة له تعالى عن ذلك بإتفاق المؤالف والمخالف.

والوجه: معناه الذات[1] المقدسة مجازاً مرسلاً في قوله تعالى:(كل شيء هالك إلا وجهه (٨٨/ القصص). وهذا متفق عليه.

واليمين: معناها القوة في قوله تعالى:(والسموات مطويات بيمينه)(٦٧/ الزمر). والعرب لا تفهم منها غير القوة في مثل هذا السياق ومنه قول الشاعر العربي الشماخ بن ضرار.

رأيت عـرابـة الأوسي يسمـو ... إلى العليـاء منقطـع القـريـن

إذا مـا رايـة رفعـت لمجـد ... تلقـاهـا عـرابـة بـاليمين

ـ كناية عن القوة.

والساق: معناه الشدة في قوله تعالى(يوم يكشف عن ساق)(٤٢/ القلم)، لأنه في سياق وصف هول يوم القيامة، والعرب تقول، قامت الحرب على ساقها: أي بلغت شدتها.

والمجيء في قوله تعالى:(وجاء ربك والملك صفا صفا)(٢٢/ الفجر). معناه جاء أمر ربك بدليل قوله تعالى:(إني ذاهب إلى ربي)(٩٩/ الصفات). أي إلى حيث امرني ربي.

والنظر: في قوله تعالى:(رب أرني أنظر إليك)(١٤٣/ آل عمران). وفي مثل قوله تعالى:(وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة)(٢٣/ القيامة). فالآية الأولى: سؤال من قبل موسى عليه السلام لما أكد عليه قومه في طلبهم رؤية الله ولم يقتنعوا بأي حجة من حججه عليهم تردهم عن هذا الطلب بل قالوا:(أرنا الله جهرة)(١٥٣/ النساء).

(١) والتعبير من باب المجاز حيث أطلق البعض وأراد الكل وهو وعكسه استعمال عربي مجازي شائع.

فأجاب الله على موسى بالمنع وقال:(لن تراني، وضرب مثلا مجسداً لإقناع قومه باستحالة رؤيته جل وعلا فقال:(ولكن انظر الى الجبل فإن استقر مكانه فسوف تراني فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا وخر موسى صعقاً) وسمّى سؤال قوم موسى ظلما فقال: (فأخذتهم الصاعقة بظلمهم) وهذا يعني صراحة بأن الله قد جعل سؤالهم تعدياً وتجاوزاً لحدودهم وظلماً لأنفسهم، وإذا كان مجرد السؤال ظلماً وتجاوزاً للحدود فإن اعتقاد إمكان الجواب يعد تجاوزاً للحدود في الفهم وسبحان الله عما يصفون.

والآية الثانية -(وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة.)فالنظر لا يؤدي معنى الرؤية البصرية لأنه لا توجد قرينة تدل عليه كما وجدت في الآية الأولى في طلب اليهود - أرنا الله جهرة - وسواء أقترن بالوجه أو عدي بحرف الجر - إلى - بدليل قوله تعالى: (وتراهم ينظرون اليك وهم لا يبصرون)(١٩٨/ الأعراف). فقد أثبت في الآية النظر المتعدي بحرف الجر - إلى - ونفى الرؤية البصرية فلو كان أحدهما بمعنى الآخر لتناقض الكلام، والتناقض معيب في كلام الناس وهو معيب أكثر إذا كان المتكلم قد تحداهم بأن يأتوا ببعض منه. إذاً فمعنى النظر في هذه الآية هو الإصغاء والإستماع بدون وعي لما يقال لهم.

ومعناه في قوله تعالى:(إلى ربها ناظرة)- يكون بمعنى منتظرة[١] حملاً للمتشابه على المحكم - لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار - وقد جاء هذا المعنى في قوله تعالى حكاية عن بلقيس: فناظرة بم يرجع المرسلون (٣٥/ النمل). أي منتظرة. وفي قوله تعالى:(فنظرة إلى ميسرة)(٢٨٠/ البقرة). أي انتظار إلى ميسرة.

وقد تمدح الله بكونه يدرك الأبصار ولا تدركه الأبصار. وهذا فيه معنى البينونة الكاملة للمخلوقات، ولولا هذا المعنى لما كان في الكلام تمدح ولا مدح. لأنه يوجد في المخلوقات من لا تدركه الأبصار وهو يدركها مثل الملائكة، والجن، ونحوهم من الشياطين.(إنه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم)(٢٦/ الأعراف).

ولملاحظة معنى البينونة للمخلوقات تمدح الله بكونه يُطْعِم المخلوقات ولا يطعمه أحد منهم فقال:(قل أغير الله أتخذ ولياً فاطر السموات والأرض وهو يطعم ولا يطعم)

---

(١) وفي تفسير الهادي عليه السلام ما يدل على أنه من المجاز في الكلام وإن العرب تقول عيني ناظرة إليك بمعنى إني أرجو فضلك وأنتظر منك الخير ومعنى هذا أن الراجي يكون ناظراً إلى المرجو فاستعمل النظر في الرجاء كما في دعاء علي عليه السلام اللهم إليك رفعت الأبصار. عن الأخ العلامة بدر الدين الحوثي حفظه الله.

(٦٤/ الأنعام). فلولا قصد المباينة والتفوق المطلق على المخلوقات لما كان فيه مدح ولا صح به تمدح لأنه يوجد من خلق الله كالملائكة من لا يأكل ولا يشرب ولا يطعم.

وقد روي حديث: إنكم ترون ربكم كما ترون القمر ليلة البدر. وفي رواية كما ترون الشمس في الظهيرة ليس دونها سحاب. ففي سندهما مقال معروف في كتب الحديث، وعلى فرض صحته فالرؤية بمعنى العلم لا بمعنى الرؤية البصرية كما جاء في قوله تعالى: ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل. أي ألم تعلم. وهذا التفسير أولى من تفسيره بالرؤية البصرية لبعده عن التجسيم، وعن الحصر للذات المقدسة في جهة الرائي وسبحان الله عما يصفون.

والكلام في قوله تعالى:(وكلم الله موسى تكليما)(١٦٣/ النساء). اختلف العلماء فيه وافترقوا على تسعة أقوال أهمها خمسة أقوال هي[١]:

١ ـ الكرامية[٢] تقول: هو حروف وأصوات تكلم الله بها بعد أن لم يكن متكلماً.
٢ ـ والأشعرية تقول: هو معنى واحد قائم بذات الله عبر عنه بالعربية فكان قرآناً.
٣ ـ والماتريدية[٣] تقول: هو معنى قائم بذاته وهو ما خلقه في غيره.
٤ ـ والسلفية تقول: إنه تعالى ما يزال متكلماً إذا شاء ومتى شاء وكيف شاء وهو يتكلم به بصوت يسمع، وإن نوع الكلام قديم وإن لم يكن الصوت المعيّن قديماً.
٥ ـ والزيدية وسائر العدلية تقول: إن التكلم والكلام صفة فعل وإنه مخلوق لله بدليل قوله تعالى:(وكلّم الله موسى تكليما.)وقوله تعالى:(ولما جاء موسى لميقاتنا وكلّمه ربه (١٤٣/ الأعراف). وقوله تعالى:(إن الذين يشترون بعهد الله وأيمانهم ثمناً قليلا أولئك لا خلاق لهم في الآخرة ولا يكلمهم الله ولا ينظر إليهم)(١٧٤/ البقرة). فعبر عن الكلام في هذه الآيات ونحوها بصيغة الفعل إثباتاً أو نفياً، وهذا دليل أنه من صفات الأفعال ولو كان صفة من صفات الذات لما نفاه تارة وأثبته أخرى.

ثم إنه تعالى وصف كلامه ـ القرآن ـ بالحدوث فقال:(الله نزل أحسن الحديث)

---

(١) ذكرت الأقوال كلها في شرح العقيدة الطحاوية ص ١١٧ ـ ١١٨.

(٢) أصحاب أبي عبدالله محمد بن كرام.

(٣) أصحاب أبي منصور الماتريدي.

(٢٣/ الزمر)، وقال تعالى: وما يأتيهم من ذكر من ربهم مُحْدَث إلا استمعوه وهم يلعبون (٢/ الأنبياء)، والذكر هو: القرآن بدليل قوله تعالى:(إنا نحن نزّلنا الذكر وإنا له لحافظون)(٩/ الحجر). وقد نص في هذه الآية على أنه تعالى هوالحافظ له، والحفظ فيه الإشعار بأنه مخلوق لأنه لو كان صفة ذاتية لما احتاج إلى حافظ يحفظه.

ومما يدل على خلقه من السنة قوله صلى الله عليه وآله وسلم: كان الله ولا شيء ثم خلق الذكر وما خلق الله من سماء ولا أرض أعظم من آية الكرسي[1].

والكرسي في قوله تعالى:(وسع كرسيه السموات والأرض)(٢٥٥/ البقرة): قيل: العلم ومنه سميت الكراسي لما يوضع عليها من كتب العلم. وقد يسمى العلماء: كراسي. وقيل: العرش. وقيل الملك والقدرة والسلطان.

والعرش في قوله تعالى (الرحمن على العرش استوى)(٥/ طه). معناه الملك بدليل قوله تعالى:(الله لا إله إلا هو رب العرش العظيم)[2]. ومنه قول الشاعر العربي:

تداركتما عبسا وقد ثل عرشها ... وذبيان إذ زلت بأقدامها النعل.

والاستواء المذكور في الآية: معناه الاستيلاء والاقتدار على الملك وتنفيذ حكمه فيه. ومنه قول الشاعر:

قد استوى بشر على العراق ... من غير حرب أو دم مهراق

وهنالك آيات أخرى متشابهة ولكنها كلها ترجع عند الزيدية وسائر العدلية الى ما يتناسب مع محكم القرآن، ويؤكد وحدانية الله المطلقة وتنزيهه المطلق عن كل قبيح، وعن كل صفة نقص، أو ما يوهم النقص، أو ما يجر إلى التجسيم أو التشبيه سواء أكان التشبيه تشبيهاً للخالق بالمخلوق أو تشبيهاً للمخلوق بالخالق.

بهذا المفهوم للتوحيد الذي يتوصل إليه بالنظر والتفكر لا بالتقليد والتلقين ـ يكون الموحّد قد تحصّن من كيد الشياطين ومزالق شبهات الجاحدين، وتحرر عقيدة وسلوكاً وممارسة من عبادة غير الله ومن الخضوع المطلق لغير الله، لكون هذا الغير مساوياً له في الخلق، ومشاركاً له في الحاجة الى الخالق،(إن كل من في السماوات والأرض إلا آتي الرحمن. عبداً، لقد أحصاهم وعدهم عدا، وكلهم آتية يوم القيامة فرداً)(٩٥/ مريم). صدق الله العظيم.

---

(١) رواه القاضي عبد الجبار ص ١٩٥ من رسائل العدل والتوحيد وفي شفاء العليل ص ٣٩ روي بلفظ: كان الله ولم يكن شيء غيره وكان عرشه على الماء وكتب في الذكر كل شيء.

(٢) المحكم والمتشابه للإمام الهادي رسائل العدل والتوحيد ص ١١٠.

العدل

العدل في اصطلاح علماء الكلام هو: الإيمان بأن الله عدل في أحكامه حكيم في أفعاله، فلا يظلم أحداً ولا يعمل القبيح أبداً. وقد جمع الإمام علي كرم الله وجهه هذه الحقيقة في قوله: والعدل ألا تتهمـــه. هذا ما يعنيه العدل من الجانب النظري. اما ما يعنيه من الجانب التطبيقي فهو: الإيمان بسيادة العدل والإنصاف بين الناس لأن الله كما حرم الظلم على نفسه حرمه على عباده ومن أجل ذلك شرعت الشرائع، وقننت القوانين، وحددت الحدود، وبين الحرام، وميز الحلال، ليكون المرء على بصيرة من أمره فيما يعمل أو يترك،فإن أحسن فلنفسه وإن أساء فعليها. وما ربك بظلام للعبيد (٤٦/ فصلت).

وبهذا المفهوم للعدل كان كل إنسان في عهد الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وفي عهد الخلفاء الراشدين رضوان الله عليهم ـ يؤمن بمسؤوليته عن عمله فإن أساء عوقب، وإن أحسن أثيب، ولم يحصن أحد عن هذه المسؤولية حتى الرسول صلى الله عليه وآله وسلم. ومن أجل ذلك عاتبه الله عندما أعرض وتلهى عن الأعمى ابن أم مكتوم ولم يكن عن كره له ولا احتقار وإنما لاشتغاله بإقناع بعض زعماء قريش بالإسلام مغتنماً فرصة تجمعهم لديه فقال الله له:(عبس وتولى أن جاءه الأعمى.)وعاتبه مرة أخرى على تحريمه على نفسه أكل العسل بعد أن قالت له عائشة وصفيه: ان رائحته رائحة مغافير وهي ريح كريهة. وقال له:(يا أيها النبي لم تحرم ما أحل الله لك تبتغي مرضاة أزواجك.)بل لقد أنذره وحذره. بقوله:(لئن أشركت ليحبطن عملك)(٦٥/ الزمر).

ثم جاء العهد الأموي، فظهر في الناس من تنصل من جريرة أعماله، وتبرأ من مسؤوليته عنها، ونسب أعماله السيئة إلى قضاء الله وقدره، تبريراً للمواقف المجانبة للحق، وفراراً من محاسبته عليها، والحكم عليه بموجبها..

وكان من السابقين الى هذه المضمار من رجال الحكم هو: معاوية بن أبي سفيان. وقد صرح نفسه بهذا لعائشة رضي الله عنها حينما أراد أن يأخذ البيعة بولاية العهد لأبنه يزيد بن معاوية، بطريق الترهيب تارة والترغيب أخرى، ولما وصل إلى المدينة لنفس الغرض عرج على عائشة لزيارتها، فعاتبته على قتله حجر بن عدي وأصحابه، ودعته إلى ترك حمل الناس على المبايعة لإبنه يزيد. فأجاب عليها بقوله: إن أمر يزيد

قضاء من القضاء وليس للعباد الخيرة من أمرهم[١] ومن حينه ظهر في الحكام من يحمل أعماله على مسؤولية القضاء والقدر. وأيدت السياسة الأموية هذا الاتجاه حتى أصبح القتل والصلب عقوبة لمن يقول ويثبت أن فاعل المعصية يأتيها بحريته واختياره وإرادته كما فعل الحجاج بمعبد الجهني[٢] عام ٨٠هـ تنفيذا لأمر عبد الملك بن مروان بحجة أن معبد الجهني قد كفر بالقضاء والقدر وكما فعل هشام بن عبد الملك بغيلان الدمشقي الذي استعان به الخليفة الراشد عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه لتصفية أموال بني أمية من المال الحرام المغتصب ونحوه.

ثم تطورت فكرة حمل المعاصي على عهده القضاء والقدر ـ إلى القول بأن الله جل وعلا هو خالق أفعال العباد حسنها وقبيحها طاعاتها ومعاصيها. وأول من قال بهذه القالة هو رئيس الجبرية جهم بن صفوان الذي قتل عام ١٢٨هـ لاشتراكه في الثورة على الأموية مع الحارث بن سريج التميمي[٣].

وقد تصدت الزيدية وسائر العدلية لدفع هذه التقولات التي لا مستند لها في الشرع ولا في العقل وشرحت لتوضيح ذلك شرحاً دقيقاً ومستفيضاً ـ الفعل ومعناه ومصدره وأقسامه. وغير ذلك مما له علاقة بالفعل. لتدحض بالدليل كل شبهات الجبرية التي تنسب معاصيها إلى الله وتدعي مع ذلك أنها تنزه الله. وسبحان الله عما يصفون.

الفعل

لا بد للفعل من فاعل ـ هذه هي القاعدة التي أجمع عليها كل العقلاء ـ وهي بحق ركيزة كل النظم في الحياة التي تترتب عليها كل المسؤوليات، وصارت الحافز الأكبر للإنسان على الإبداع والإتقان ليرتفع بين الناس ذكره، ويخلد فيهم مجده، ولولا هذا لما عمرت الحياة، ولما شيدت الحضارات وتقدمت الشعوب، ولعاش الإنسان كما تعيش (الغوريلا) في مجاهل الغابات ومتاهات الصحاري. ولما صدق عليه قول الله:(ولقد كرمنا بني آدم.)

والفعل في اصطلاح علماء الكلام هو: ما وجد من جهة الفاعل القادر عليه بواسطة أو بغير واسطة. ويقسمونه من حيث مصدرة إلى قسمين:

---

(١) الإمامة والسياسة لابن قتيبة ص ١٨٣.

(٢) هذا لم تقبله المعتزلة في صفوفها لقوله بالتجسيم وإن كان يقول بالإختيار أما غيلان الدمشقي فهو معتزلي من الطبقة الرابعة.

(٣) رسائل العدل والوحيد ص ٢٥٨.

١ ـ ما يكون من جهة الله وهو: ما ليس للإنسان فيه أي أثر في إيجاده ولا في عدم إيجاده ويصدق على نحو هذا الفعل بأنه قضاء من الله وقدر.

٢ ـ ما يكون من جهة الانسان ويقسمونه بالنظر إلى إحداثه إلى قسمينَ:

١ ـ فعل مباشر.

٢ ـ فعل متعدٍ.

ويقسمون المباشر الى قسمين:

١ ـ ما يوجد من جهة الفاعل القادر عليه في نفسه بـلا واسطة ويقال له: المبتدي. ويصدق عليه: الظن، والإرادة، والكراهة ونحو ذلك.

٢ ـ ما يوجد من جهة الفاعل القادر عليه في نفسه بواسطة. ويقال له: المتولد: ويصدق عليه الأفعال الصادرة من الجوارح مثل الجمع والتفريق لحصوله بواسطة تأليف بعضها مع بعض أو تفريقها. ونحو ذلك.

أما المتعدي: فهو ما يوجد من جهة الفاعل القادر عليه في غيره بواسطة. وأمثاله كثيرة، وبالنظر إلى وصف الفعل يقسمه علماء الكـلام الى قسميـن: حسـن، وقبيح. وإلى عقلي، وشرعي. والحسن يقسمونه إلى واجب، ومندوب. ومباح. والقبيح إلى مكروه، ومحرم، إلى غير ذلك من الأقسام المذكورة في كتب الأصول.

لماذا يقبح الفعل؟

اختلف العلماء في علة قبح الفعل. فقالت الزيدية ومن وافقها: إنما يقبح الفعل لوقوعه على وجه قبيح من ظلم أو نحوه، لأن الأصل في مطلق الأفعال الإباحة.

وقالت المعتزلة البغدادية وبعض الإمامية والفقهاء: إنما يقبح الفعل لعينه، لأن الأصل في مطلق الأفعال الحضر. ورد عليهم بأن الفعل الواحد قد يكون حسناً لوقوعه على وجه وقبيحاً لوقوعه على وجه آخر. مثل دخول الدار: فهو بإذن صاحبها حسن. وبغير إذنه قبيح..

وقالت الأشعرية وبعض الشافعية: إنما يقبح الفعل المنهي عنه. ورد بأن الفعل قد يقبح عند من لم يعلم النهي. وعند من لا يؤمن بالله تعالى.

وقال بعض المجبره: إنما يقبح الفعل من غير الله لكونه مربوباً. ولم يقبح ن الله لكونه رباً. ورد عليهم بأنه سيلزم قبح الأفعال كلها من المربوبين لأن نسبتهم إلى

الربوبية واحدة والفرق تحكم وقد يقبح الفعل عند من لم يعلم بأن الله رب ولم يعترف به إلهاً.

أما أفعال الله فقد اتفق المسلمون جميعاً بأنها حسنة كما اتفقوا على عدم جواز إطلاق القول بأن الله يفعل القبيح جل وعلا.

واختلفوا في قدرته على فعل القبيح. فقالت الزيدية وسائر العدلية: إن الله قادر على فعل كل شيء، لأن القادر على شيء قادر على ضده، إن كان له ضد، وانتفى المانع من فعله، ولكنه تنزه عن فعل القبيح لإستغنائه عنه، ولعلمه بذلك، ولعلمه بقبحه، ولذا تمدح الله بنفي الظلم عن نفسه فقال تعالى:(وما ربك بظلام للعبيد)(٤٦/ فصلت)،(إن الله لا يظلم مثقال ذرة)(٤٠/ النساء). ولا يظلم ربك أحدا)(٤٩/ الكهف)، ولا يحسن أن يتمدح بنفي الظلم عن نفسه وهو غير قادر عليه.

من الفاعل لأفعال العباد؟

منذ أن سلبت الجهمية حرية الإنسان وإرادته واختياره وتركته كالورقة في مهب الرياح تصارع الإنسان مع واقعه ومشاعره، ونتج عن ذلك هذا الصراع الفكري الخطير حول فاعل الفعل أهو الإنسان نفسه. أم هو الله خالق هذا الإنسان؟ وأصبحت مسألة خلق الأفعال هذه من أمهات المسائل الخلافية بين المسلمين. ولأنها في البداية من صنع الأهواء السياسية فقد انحشرت مع الأهواء الى كل جانب من جوانب الحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية وغير ذلك، وبها تشتت جمع المسلمين، وتمزقت وحدتهم، وصاروا أحزاباً، وكل حزب بما لديهم فرحون. وإنا لله وإنا اليه راجعون.

وللجواب على السؤال قالت الزيدية وسائر العدلية وبعض الإمامية والخوارج: إن العباد هم الفاعلون لأفعالهم، يحدثونها أحراراً بحسب دواعيهم ورغباتهم، ويتركونها أحراراً بحسب صوارفهم وعدم رغباتهم، ومن أجل هذا فهم الفاعلون، ووجهت إليهم لذلك الأوامر والنواهي، وحوسبوا على اعمالهم، وجوزوا عليها لقوله تعالى:(ومن يعمل مثقال ذرة خيراً يره)(٧/ الزلزلة)، ولو لم يكونوا هم الفاعلين لما أسند الله الفعل إليهم، وإسناد الفعل إلى فاعله مما يدركه كل ذي عقل حتى الأطفال فلو سئل الطفل عمن ضربه لقال: فلان. وحتى الحيوان الأعجم فهو يعرف فاعل الإحسان إليه فيألفه، ويعرف فاعل الإساءة فينفر عنه، وما ذلك إلا لمعرفته الفاعلين ولتمييزه بين العملين.

وقالت الجبرية[1]: لا فعل للانسان ولا حرية ولا إرادة،وكل أفعاله هي خلق لله. وما إضافتها إلى الله إلا من قبيل الحقيقة.

وقالت السلفية[2]: إن الله يريد الكفر من الكافر ويشاؤه كوناً ولا يرضاه ولا يحبه ديناً.

وقالت الأشعرية[3]: للعبد قدرة هي المؤثرة والموجبة للفعل وهي مقارنة له. والفعل خلق لله كسب للعبد.

وقد ردت الزيدية ومن وافقها على هذه الأقوال بما يلي[4]:

١ - من المتفق عليه أن الله في كتابه العزيز قد وجه أوامره ونواهيه إلى الإنسان المأمور بالفعل أو المنهي عنه. وصحة توجيه ذلك إليه دليل على أنه هو الفاعل، ولو كان غير الفاعل لاعتبر الأمر والنهي لغواً وتعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.

٢ - صحة تعلق المدح أو الذم والثواب أو العقاب على فعل الفاعل إيجاباً أو سلباً، فلو كان الإنسان غير فاعل حقيقي لما صح تعلق ذلك بفعله.

٣ - صحة اشتقاق اسم الله تعالى من فعله فيقال مثلا: رحيم لكونه راحماً، قدير لكونه قادراً، ولا يصح مثل هذا الإشتقاق من الضلال مثلا فلا يقال: إن الله مضل عباده لكونه على رأي الجبرية فاعل الضلال. وكل الفرق الإسلامية،حتى الجبرية متفقة على عدم صحة هذا الإشتقاق لأن الصفات المشتقة ستكون صفات ذم تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.

٤ - لو كان الله هو الفاعل الحقيقي لأفعال الإنسان كما تقول الجبرية لبطلت حكمة إرسال الرسل إلى عباده ولبطلت بالتالي حجة الله على الكافرين يوم الحساب.

وأجيب على القائلين بالكسب. بأنه إن كان مخلوقاً لله فقولهم كقول الجبرية. وإن كان من فعل الله والإنسان فعليهم أن يحددوا أيّاً من الفعل للإنسان وأيّاً منه لله. ومن أجل عجزهم عن هذا كان الكسب غير معقول. هذا الرد من الناحية العقلية.

أما الرد من الناحية السمعية: فإننا إذا تتبعنا التعبير القرآني عن الفاعل للفعل نجده قد أسند إلى الفاعل الإنسان كل أفعاله بأساليب كثيرة، وبعبارات مختلفة، ومنها

---

(١)، (٢)، (٣) شرح العقيدة الطحاوية ص ٢١٥.

(٤) شرح الأصول الخمسة. البحر الزخار. شرح المصباح. الأساس. بتصرف.

ما اصطلح عليها أهل هذا العلم من الفرق الإسلامية، فعبارة الفعل مثلا جاءت في آيات كثيرة منها قوله تعالى:(والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب إلا الله ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون) (١٣٥/ آل عمران). وعبارة الخلق جاءت في قوله تعالى: وإذا تخلق من الطين كهيئة الطير (١١٠/ المائدة). وفي قوله تعالي:(وتخلقون إفكا)(١٧/ العنكبوت). وعبارة العمل جاءت في قوله تعالى:(وما عملت من سوء تود لو أن بينها وبينه أمداً بعيداً (٣٠/ آل عمران). وعبارة الكسب جاءت في قوله تعالى:(ومن يكسب خطيئة أو إثماً ثم يرم به بريئاً فقد احتمل بهتاناً وإثماً مبينا)(١١٢/ النساء).

ثم إن الله تعالى قد كذب الذين يسندون معاصيهم إليه فقال:(وإذا فعلوا فاحشة قالوا: وجدنا عليها آباءنا، والله أمرنا بها. قل: إن الله لا يأمر بالفحشاء. أتقولون على الله ما لا تعلمون)(٢٤/ الأعراف). وقال:(سيقول الذين أشركوا: لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا ولا حرمنا من شيء. كذلك كذّب الذيّن من قبلهم حتى ذاقوا بأسنا. قل: (هل عندكم من علم فتخرجوه لنا، إن تتبعون إلا الظن وإن أنتم إلا تخرصون)(١٤٨/ الأنعام). والأدلة القرآنية على هذا كثيرة وجاءت بمختلف العبارات كما رأيت، كما جاءت بمختلف الأساليب التعبيرية في اللغة العربية. ومن ذلك أسلوب الإستفهام بمختلف أنواعه كقوله تعالى: كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتاً فأحياكم (٢٨/ البقرة). وقوله تعالى: وماذا عليهم لو آمنوا بالله واليوم الآخر (٧٩/ النساء). وقوله:(وما لكم لا تؤمنون)(٨/ الحديد). وقوله تعالى: فما لهم عن التذكرة معرضين (٤٩/ المدثر). ومن المعلوم عقلا وكما يقولون ذوقاً ومنطقاً أن الله لا يصح أن يمنعهم عن الإيمان ويجبرهم على الكفر ثم يقول كيف تكفرون؟ وما لكم لا تؤمنون؟ وماذا عليهم لو آمنوا؟ وبالإضافة الى ما تقدم نجد أن الله قد نص في كتابه الكريم على أنه لم يخلق العباد إلا للطاعة والعبادة فقال جل وعلا: وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون. وأجمع المسلمون على أن الكفر والعصيان ليسا طاعة ولا عبادة وهذا وحده كافٍ لإبطال قول المجبرة.

أدلة المجبرة

وقد أجابت المجبرة وقالت: إن الله قد نص على خلقه لكل شيء، والأفعال من الأشياء وذلك بقوله تعالى: (إنا كل شيء خلقناه بقدر) (٢٩/ القمر). وقوله تعالى:

وخلق كل شيء فقدره تقديرا)(٢/ الفرقان). وقوله تعالى:(والله خلقكم وما تعلمون) (٩٦/ الصفّات). كما استدلت بآيات المشيئة والإرادة مثل قوله تعالى:(ولو شاء ربك لآمن من في الأرض كلهم جميعاً)(٩٩/ يونس). وقوله تعالى:(فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقاً حرجاً كأنما يصعد في السماء)(١٢٥/ الأنعام). ونحو ذلك.

وردت الزيدية وسائر العدلية عليهم بما يلي:

١ - إن الأدلة العامة أو المجملة لا يقتنع الخصم في مقام الاستدلال عليه بموجبها لكونها صالحة للإستدلال بها من قبل الفريقين المتخاصمين كل على معتقده. فمثلاً آية:(إنا كل شيء خلقناه بقدر) ونحوها. صالحة بسبب عمومها للاستدلال من قبل العدلي على خلق القرآن، وصالحة للاستدلال بها من قبل الجبري على خلق الأفعال. ومن أجل هذا فالاستدلال بالعموميات غير كاف في محل النزاع ولا صالح فيه.

٢ - إن لفظة خلق من الألفاظ المشتركة بين معنى التقدير ومعنى الإيجاد. وكثيراً ما تأتي في القرآن ويراد بها التقدير وهذا هو ما يفيده قوله تعالى: وخلق كل شيء فقدره تقديرا. وهي على كلا المعنيين لا تصدق على الأفعال وإنما تصدق على إيجاد الذوات، لهذا فلا يقال: خلق فلان القيام، أو الصلاة، وإنما يقال: فعل. ولما فعل عيسى عليه السلام من الطين ما يشبه الطير وقدره على نحوه قال الله له: (وإذ تخلق من الطين كهيئة الطير) ولم يكن طيراً حقيقياً إلا بأذن الله، تمييزاً لفعل الله عن فعل المخلوق. وعلى هذا فلا حجة لهم في الآيات على خلق الأفعال.

٣ - كل الآيات الواردة في الاستدلال على خلق الأفعال إنما وردت مورد التمدح بقدرته تعالى على خلق كل شيء وبعظمته في تقديره لكل شيء خلقه، ولذا أسند الفعل إلى نفسه فقال: خلق، خلقناه، ومن أجل هذا فلا يصح أن تكون أفعال العباد من ضمن ما تمدح الله به لبيان قدرته وعظمته، لأنها أفعالهم ومنسوبة إليهم، ولأن منها ما يخجل أن يتمدح به فاعلها منهم كالفسق، والفجور، والكفر، والظلم، ونحو ذلك، لهذا فالعموم المستفاد من عبارة كل شيء متعلق بخلقه هو، وفعله هو، لا خلق غيره ولا فعله، وحينئذ فلا شاهد فيها للجبرية.

أما قوله تعالى: (والله خلقكم وما تعلمون.) فمعناه والذي تعملون منه الأصنام التي تعبدونها، ويوضح هذا المعنى الآية التي قبلها وهي قوله تعالى: أتعبدون ما تنحتون، والله خلقكم وما تعملون.

٤ - **عبارة (كل شيء) في الآية إمّا أن تكون من باب العام المخصوص بالأدلة العقلية والنقلية الدالة على تنزيه الله عن فعل القبيح، أو نسبة فعل القبيح إليه كمعاصي العباد.**

وإما أن تكون من باب العام الذي أريد به الخصوص مثل قوله تعالى: (وأوتيت من كل شيء)(٢٣/ النمل)، وقوله تعالى: (يجبى إليه ثمرات كل شيء) (٥٧/ القصص)، وقوله تعالى: (تدمر كل شيء بأمر ربها)(٢٥/ الأحقاف)، وذلك لأن العقل والحس المشاهد يخصص عموم لفظ (كل شيء) إلى ما يصلح له في كل هذه الآيات، ومن أجل هذا لم تستدل الزيدية وسائر العدلية على خلق القرآن بظاهر عموم (وخلق كل شيء) ونحوها، لأنها من قبيل العام الذي يطلق ويراد به ما يصلح له ويصدق عليه، وحينئذ فلا شاهد فيها للجبرية.

وقد استدلت المجبرة إلى جانب تلك العمومات بآيات المشيئة والإرادة والقضاء والقدر والهدى والضلال وغير ذلك وهي كما يلي:

الإرادة والمشيئة

أتفق المسلمون على أن الله تعالى يريد ويشاء ويحب ويرضى ويكره ويبغض ولكنهم اختلفوا في تفسير ذلك بما يليق بجلال الله تعالى.

فأثبتت المجبرة ومن إليها هذه الأشياء لله وفسرتها بنحو ما فسرت صفاته الذاتية والفعلية السالف ذكرها في التوحيد.

وأثبت جمهور المعتزلة ومن وافقهم إرادة لله محدثة لا في محل. وردّ عنيهم بأن هذا القول يستلزم ثبوت عرض لا في محل وهو محال.

أما جمهور الزيدية فقد فرقوا بين إرادة الله وإرادة المخلوق فقالوا في إرادة المخلوق: إنها: هي الأمر الذي يقع به فعل الفاعل المختار على وجه من الوجوه.

وأما إرادة الله فإرادته لفعله هي: إدراكه بعلمه اشتمال الفعل على مصلحة، وكراهيته هي: إدراكه بعلمه اشتمال الفعل على مفسدة، وإرادته لفعل عبده هي: أمره

به، وكراهيته له هي: نهيه عنه، ولذا يقال: الإرادة هي نفس المراد.

والله سبحانه وتعالى لا يريد لعباده دائماً وأبداً إلا الخير قال تعالى: (يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر) ١٨٥/ آل عمران، ونزه نفسه عن إرادة الظلم فقال (وما الله يريد ظلماً للعباد) ٣١/ غافر، والظلم فساد في الأرض: (والله لا يحب الفساد) ٢٠/ البقرة، والفساد سببه الكفر بالنعم أو بخالق النعم والله تعالى: (لا يرضى لعباده الكفر) ٧/ الزمر، وانما رضي لهم ويرضى بالإيمان، والطاعة، والعبادة للخالق الديان ولذلك خلقهم قال تعالى: (وما خلقت الجن والإنس الا ليعبدون) ٥٦/ الذاريات.

وقضت حكمته، وهو العليم الحكيم، ألا يجبـر أحداً على فعل الطاعة ولا على فعل المعصية فقال: (وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر) ٢٩/ الكهف، فمن آمن من العباد فبمشيئته وحريته، ومن كفر فبمشيئته وحريته كما قال تعالى.

وليس في هذا شيء من المغالبة لإرادة الله ومشيئته لأن الله هو الذي أراد وشاء بعلمه وحكمته أن تكون أفعال العباد بإرادتهم وبحسب دواعيهم إليها أو صوارفهم عنها، ولذلك فلم تغلب، كما قالوا مشيئة الكافر مشيئة الله كما توهمت الجبرية[١] لأنه لم يكن في الميدان صراع بين إرادتين إحداهما إرادة الله، ولو كان ثم صراع ومغالبة لغلبت مشيئة الله وارادته كل مشيئة وإرادة بلا شك ولا ريب. لأنها مشيئة وإرادة فعال لما يريد، ولكن الله أراد بعلمه وحكمته أن يترك الإنسان وحريته فيما يعمل أو يترك، فمن شاء فليؤمن، ومن شاء فليكفر، وجعل ذلك سنة وناموساً لعبده الإنسان، كما جعل الخضوع المطلق لإرادته ومشيئته سنة وناموسا لسماواته وأرضه وما بينهما ولذا: (قالتا أتينا طائعين) (١١ / فصلت)[٢].

وقد زعم المشركون أنهم خاضعون لمثل هذه الإرادة القاهرة والمشيئة الغالبة وقالوا: لو شاء الله ما أشركنا ولا أباؤنا ولا حرمنا من دونه من شيء. فكذبهم الله بقوله: (كذلك كذب الذين من قبلهم حتى ذاقوا باسنا. قل هل عندكم من علم فتخرجوه لنا؟ إن تتبعون إلا الظن وإن أنتم إلا تخرصـون). ثم قال: (قـل فلله الحجة البالغة فلو شاء لهداكم أجمعين) ١٤٩/ الأنعام: أي لو شاء إخضاعكم لمشيئته القاهرة لهداكم وماكفرتم، لأنه لا يرضى لعباده الكفر، ولو كان الأمر كما زعم المشركون لما كان الإنسان مسؤولاً عن عمله ولا محاسباً عليه، ولما كان بالتالي محتاجاً إلى أنبياء ولا إلى رسل

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية ص ٢١٥

(٢) وهذا هو معنى قول أئمة أهل البيت عليهم السلام: لا جبر ولا تفويض.

للهداية والإنذار، ولبطل مع ذلك الثواب والعقاب والأمر والنهي، ولما كانت محمدة من الله لمحسن ولا مذمة من الله لمسيء، ولما كان المحسن بثواب الإحسان أولى من المسيء، ولما كان المسيء بعقاب الذنب أولى من المحسن... إلى آخر كلام الإمام علي كرم الله وجهه في سياق ذمه للقدرية. ومراد الله نوعان:

١ ـ مراد لذاته ٢ ـ ومراد لغيره

فمن الأول نعم الله المتفضل بها على عباده رحمة وإحساناً وهي كثيرة لا تحصى قال تعالى:(وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها)٣٤/ ابراهيم.

ومن النوع الثاني: الأمراض والآلام والمصائب ونحوها فهذه في الظاهر شر لا خير، وهي لهذا غير مرادة لذاتها، وإنما هي مرادة لغيرها، وهو ما يترتب عليها من خير وصلاح وعظة وعبرة ونحو ذلك، قال تعالى:(وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم) ٢١٦/ البقرة، وقال:(فعسى ان تكرهوا شيئاً ويجعل الله فيه خيراً كثيراً)١٩/ النساء، ومن الخير التنبيه إلى التوبة والرجوع إلى الصراط المستقيم قال تعالى: (أوَلا يرون أنهم يفتنون في كل عام مرة أو مرتين ثم لا يتوبون ولا هم يذكرون)١٢٦/ التوبة، أو العظة والعبرة، أو التطهير من الذنوب، وكسب الأجر والثواب مع الصبر لقوله تعالى: (ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس والثمرات وبشر الصابرين الذين اذا أصابتهم مصيبة قالوا: إنا لله وإنا اليه راجعون أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون)٥٧/ البقرة.

أما السلفية[1] فقد أخذت فيما تقدم ما رأته حقاً كما قال ابن القيم في كتابه شفاء العليل ص ٥١ـ من أقوال المجبرة ومن أقوال القدرية ـ المعتزلة ـ، فمن الجبرية أخذت إثبات قدرة الرب على أفعال العباد ومشيئته، وأنه لا خالق غيره، وأنه على كل شيء قدير، وقالوا: إن الله قد تفرد بخلق أعمال العباد كما تفرد بخلق ذواتهم وصفاتهم[2] وأخذت من القدرية ـ المعتزلة ـ إثبات قدرة العبد على أفعاله، وكونه مريداً فاعلاً بمشيئته وقدرته، وأنه هو الفاعل حقيقة، وأفعاله قائمة به، وأن العباد فاعلون لأفعالهم باختيارهم غير مضطرين ولا مجبورين... وقال إبن القيم: إن السلفية يثبتون قدرة الله على كل الموجودات من الأعيان والأفعال، وينزهون الله عن أن يكون في ملكه مالا يقدر عليه، وأن العباد يعملون على ما قدره الله وقضاه وفرغ منه، وقال: إنهم يؤمنون

(١) شفاء العليل ص ٥١

(٢) نفس المصدر ص ١٠٩

أن من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأن الله هو الذي يجعل المسلم مسلماً والكافر كافراً والمصلي مصلياً والمتحرك متحركاً[1] وقال ابن القيم: إنهم متفقون على أن الفعل غير المفعول، كما حكاه عنهم البغوي وغيره، فحركاتهم واعتقاداتهم أفعال لهم حقيقة وهي مفعولة لله سبحانه مخلوقة له حقيقة، والذي قام بالرب علمه وقدرته ومشيئته وتكوينه والذي قام بهم هو فعلهم وكسبهم وحركاتهم وسكناتهم.

ولعل الحامل على هذا الجمع بين القولين المتناقضين هو التمسك بظواهر العمومات وحرفية الدليل. وقد ساق هذا الجمع ابن القيم إلى القول: بأن لله إرادتين، وقضائين، وتحريمين وبعثين، وإرسالين، وغير ذلك[2] أحدهما كوني وهو ما يتعلق بخلق الله وقضائه وقدره، ولا خروج لأحد من هذا الكوني. والآخر ديني وهو ما يتعلق بأمر الله وتشريعه، وقد يخرج من هذا الكافر والفاسق والعاصي: وهذا يعني عندهم: أن كفر الكافر أمر كوني خلقي لله، ولا يقدر الكافر أن يخرج منه، وأن أمر الله له بالايمان أمر ديني وشرعي وفي إمكانه العصيان وعدم الإمتثال.

وقال ابن القيم: إن القضاء والقدر مراتب أربع:

١ - مرتبة علم الله بالأشياء قبل كونها

٢ - ومرتبة كتابتها قبل كونها.

٣ - ومرتبة مشيئته لها

٤ - ومرتبة خلقه تعالى لها.

ومن أجل هذا قالوا: إن معصية العبد بقضاء من الله وقدر لأن الله قد علمها وكتبها وشاءها وخلقها.

والمتأمل لهذا التقسيم الكوني والديني والترتيب لمراتب القضاء والقدر يجد أنه أمر اصطلاحي دفع ابن القيم إليه محض التخلص من التناقض الذي وقع فيه نتيجة جمعه بين القولين المتناقضين للجبرية وللمعتزلة مع اتحاد الجهة.

وفي مناظرة ابن القيم بين من سماه بالقدري والسني[3] لم يثبت إبن القيم اختلاف الجهة لصحة الأخذ بالقولين المتناقضين، وذلك لعدم منازعة المعتزلي في علم الله، ولا في شموله لأعمال عباده، ولا في قدرة الله على فعل ما يشاء، ولا في وقوع ما يشاء خلقاً

---

(١) نفس المصدر ص ٥٢

(٢) نفس المصدر ص ٢٨٠-٢٨٣

(٣) شفاء العليل ص ١٥٢ - ١٧٨

وتقديراً متى شاء تعالى. وإنما نزاع المعتزلي للجبري هو في فعل الإنسان وفاعله الحقيقي، أهو الإنسان بإرادته واختياره، أم الفاعل الحقيقي هو الله؟ فإسناد الفعل إلى الإنسان هو قول المعتزلي وسائر العدلية، وإسناده إلى الله هو قول الجبري، وكل على انفراده قد عابه ابن القيم، فالأخذ بالكل أخذ بالمعيبين عنده المتناقضين، ومن الثابت عقلاً وشرعاً وعرفاً استحالة الجمع بين المتناقضين واستحالة رفعهما بثالث مع اتحاد الجهة وعدم اختلافها، وفي بحث التكليف سيأتي الكلام عن العلم وأثره في المعلوم بحول الله.

القضاء والقدر

والقضاء والقدر من الألفاظ المشتركة بين معان كثيرة، وعند الكثير من محققي علم الأصول أن اللفظ المشترك يصح حمله على معنييه أو معانيه مالم يحصل التنافي فإذا حصل التنافي فلا يحمل إلا على ما يصح لغة أو شرعاً أو عرفاً.

وقد استدل مثبتو خلق الله لأفعال العباد بالقضاء والقدر لحملهم لفظها على معنى الخلق استدلالاً بآية: (إناخلقنا كل شيء بقدر) ونحوها. وقد تقدم الرد عليهم. وزيادة على ذلك تقول العدلية: إنه إذا كان معنى القضاء والقدر: الخلق، فإنه يجب الإيمان بهما والرضى بهما مطلقاً، وهذا مخالف لقوله تعالى: (ولا يرضى لعباده الكفر)٧/ الزمر، ولم تفرق الآية بين الكفر الكوني وبين الكفر الديني كما يقولون.

وإذا كان القضاء والقدر صفة من صفات الله فيلزم من يقول بأن الكفر قضاء وقدر الرضى به وهذا مخالف للآية المتقدمة، أو الكفر بهما لأن الصفة تتبع الموصوف كما يقول النحويون وهذا مخالف لمعتقدهم.

وقد جاء القضاء بمعنى الخلق في غير هذا الموضوع نحو قوله تعالى: (فقضاهن سبع سماوات في يومين)١٢٠/ فصلت، أي خلقهن، وجاء بمعنى الإتمام للشيء كقوله تعالى: (فلما **قضى** موسى الأجل) ٢٩/ القصص، وبمعنى الإيجاب والإلزام كقوله تعالى: (وقضى ربك أن لا تعبدوا إلا إياه) ٢٣/ الإسرى، وبمعنى الإخبار والإعلام كقوله تعالى: (وقضينا إلى بني إسرائيل في الكتاب لتفسدن في الأرض مرتين وَلَتعلنّ علواً كبيراً) ٤/ الإسرى.

والقدر: قد جاء بمعنى الخلق كقوله تعالى: (وقدر فيها أقواتها)، أي خلق بتقدير محكم، وبمعنى التقدير كقوله تعالى: (وسالت أودية بقدرها)١٩/ الرعد، وبمعنى الحتم كقوله

تعالى:(وكان أمره قدراً مقدوراً)٣٨/ الأحزاب، أي محتوما، وبمعنى القدرة كقوله تعالى: إنا خلقنا كل شي بقدر ٥٩/ القمر، أي بقدرة محكمة، وبمعنى التساوي كقوله تعالى:(وخلق كل شيء فقدره تقديراً)،٢/ الفرقان، أي ساوى بين مواده وعناصره بحسب ما يقتضيه علمه وحكمته، وهذا هو ما يصلح حمله عليه في الآيتين لاعلى ما حملته المجبرة.. ومن هاتين الآيتين نعرف أن الله بقدرته وعلمه وبحكمته خلق الوجود بقضاء وقدر فتنظم أحسن تنظيم، وارتبط بقوانين لا تتبدل وبسنن لا تتحول، وترتبت فيه المسببات بأسبابها، والمعلولات بعللها، صنع الله الذي أتقن كل شيء فلم يخلق شيئاً عبثاً ولا خلق السماوات والأرضين وما بينهما لهواً ولعباً (وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما باطلاً ذلك ظن الذين كفروا فويل للذين كفروا من النار)٢٧/ ص.

الضلال والهدى

واستدلت الجبرية على خلق الله لأفعال العباد بآيات الضلال والهدى كقوله تعالى: (فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام، ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقاً حرجاً كأنما يصعد في السماء)١٢٥/ الأنعام.

وقد ردت العدلية عليهم بأن الضلال والهدى من الألفاظ المشتركة بين معان كثيرة فلا يصح حمل الضلال والهدى في الآية إلا على ما يصح حملها عليه، فمن معاني الضلال: الهلاك كقوله تعالى:(وقالوا إذا ضللنا في الأرض)١٠/ السجدة، وبمعنى العذاب كقوله تعالى: (إن المجرمين في ضلال وسعر)٤٧/ القمر، وبمعنى الغواية عن واضح السبيل كقوله تعالى:(وأضل فرعون قومه وما هدى)٧٩/ طه، وبمعنى الحكم والتسمية ومنه قول الشاعر:

ما زال يهدي قومه ويضلنا جهراً وينسبنا إلى الفجار

والذي يصح إطلاقه منها على الله تعالى هو ما سوى الغواية والإضلال، وهذا ما بينه الله بقوله:(وما يضل به إلا الفاسقين)٢٦/ البقرة،(ويضل الله الظالمين) ٢٧/ ابراهيم، أي يهلكهم أو يعذبهم أو يحكم عليهم، ونفاه عن الذين لا يستحقون ذلك فقال تعالى: (وما كان الله ليضل قوماً بعد إذ هداهم)١١٥/ التوبة، وقوله تعالى: (فمن اتبع هداي فلا يضل)١٧١/ طه. وما أثبت الله الإضلال بمعنى الغواية إلا للشيطان فقال: (ويريد الشيطان أن يضلهم)٥٩/ النساء، وحكى عن الشيطان قوله: (ولأضلنهم

ولأمنينهم)١١٨/ النساء، كما أثبته لأتباع الشيطان كفرعون(وأضل فرعون قومه وما هدى)٧٩/ طه ولمن يريد لنفسه الضلال.(وما يضلون إلا أنفسهم)١١٢/ النساء، أو إضلال غيره:(إن تذرهم يضلوا عبادك)٢٧/ الجن.

الهـــدى

وللهدى معان كثيرة منها الدلالة على الخير والدعاء إليه، ومنه قوله تعالى:(وأما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى) ١٣/ فصلت، ومنها التنوير وزيادة البصيرة كقوله تعالى: (والذين اهتدوا زادهم هدى)١٧/ محمد، ومنها الثواب كقوله تعالى: (يهديهم ربهم بإيمانهم) ٩/ يونس، وبمعنى التسمية والحكم ومنه قول الشاعر:

ما زال يهدي قــومــه ويضلنـــا   جهــراً وينسبنـــا إلى الفجـــار.

وكل هذه المعاني ما خلا زيادة البصيرة، والإثابة تكون من فعل الله ومن فعل غير الله، ولهذا أثبتها للرسول ﷺ بقوله:(وإنك لتهدي إلى صراط مستقيم)٥٢/ الشورى، أمّا الهداية التي تعني التنوير وزيادة البصيرة فهي مما أختص الله به ولهذا نفاها عن رسول الله ﷺ وآله وسلم بقوله:(إنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء) ٥٦/ القصص، وبين في آيات آخر من يستحق هذه الهداية فقال تعالى:(والذين اهتدوا زادهم هدى)١٧/ محمد، ونفاها عن الظالم بقوله تعالى:(إن الله لا يهدي القوم الظالمين) ٢٥٨/ البقرة، وعن المسرف والكاذب بقوله تعالى:(إن الله لا يهدي من هو مسرف كذاب)٢٩/ غافر، ونفاها عن الكافر بقوله:(إن الله لا يهدي من هو كاذب كفار) ٣/ الزمر. أما الهداية التي بمعنى الدلالة والدعوة إلى الخير فقد هدى الله كل العباد بهداية العقل وبهداية الرسل: (وما كنا معذبين حتى نبعث رسولاً)١٥/ الإسرى،(وإن من أمة إلا خلا فيها نذير) ٢٤/ فاطر.

الفتنـــة

ونسبت الجبرية إلى الله الفتنة استدلالا بقوله تعالى:(ومن يرد الله فتنته فلن تملك له من الله شيئاً ٤١/ المائدة، وجعلت الفتنة بمعنى الإضلال تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً. وردت الزيدية وسائر العدلية عليهم بأن حمل الفتنة على معنى الإضلال ينافي عدل الله وحكمته، لذا فلا تحمل في الآية إلا على معنى الإختبار وقد جاء في قوله تعالى:(ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا) ٣/ العنكبوت،أو بمعنى

المحنة كما في قوله تعالى: ونبلوكم بالشر والخير فتنة ٣٥/ النساء، أو العذاب كقوله تعالى: (يوم هم على النار يفتنون) ١٢/ الذاريات.

الختم والطبع ونحوهما

ولمخالفة عدل الله وحكمته لا يحمل على حقيقته الختم والطبع والغشاوة والوقر والأكنة، وإنما تحمل على المجاز والتشبيه لحال الكافرين حيث لم ينتفعوا بما سمعوا وأبصروا بحالة من ختم على قلبه، ومن في أذنيه وقر، وعلى بصره غشاوة، وهو ما يعنيه قوله تعالى: (ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشاوة) ٧/ البقرة، (وقالوا قلوبنا في أكنة مما تدعونا إليه، وفي أذاننا وقر، ومن بيننا وبينك حجاب فاعمل إننا عاملون) ٥/ السجدة.

الأرزاق

المسلمون جميعاً متفقون على أن الله هو الرزاق ذو القوة المتين. ولكنهم اختلفوا في تعريف الرزق. فقالت الزيدية وسائر العدلية: هو الحلال من المنافع والملاذ. وقالت الجبرية: هو ما ينتفع به من المنافع والملاذ. فالحرام في نظر الجبرية رزق من أرزاق الله فيصح تملكه والإنتفاع به ولا يسأل من هو في يده بسؤال العدالة (من أين لك)؟ ولكن الحرام في نظر الزيدية ومن وافقهم ليس برزق من أرزاق الله فلا يصح تملكه ولا الانتفاع به ويسأل من هو في يده بسؤال العدالة المشهور (من أين لك)؟

ذلك لأن الله سبحانه وتعالى نسب فعل الرزق إلى نفسه فقال: (ومما رزقناهم ينفقون) ٣/ البقرة ونحوها والله سبحانه وتعالى لا يفعل إلا النافع الحسن الحلال.

ولتطبيق هذه النظرية تقول الزيدية: إن على من هو في يده التخلي عنه ثم ان كان صاحبه معروفاً أرجعه إليه وإن كان غير معروف أرجعه إلى بيت مال المسلمين[1] وعلى ذلك فما تملكه الظلمة والطغاة وتجار الحروب بطريقة الغصب أو النهب أو السرق أو الغش أو الرشوة أو الربى أو الاحتكار أو غير ذلك من الطرق التي لم يشرعها الله لا يصح تملكه ولا يجوز الانتفاع به. وللإمام الحق في مساطرته وإرجاعه إلى بيت مال المسلمين أو إلى أصحابه إن ظهر له أصحاب ملكوه بطريقة الحلال.

---

(١) ويجوز أن يصرفه في مصالح المسلمين العامة كالعلماء والمتعلمين والطرق ونحوها.

وهذه النظرية الاقتصادية الهامة قد دفعت علماء الزيدية إلى أبحاث اقتصادية هامة في البيع والشراء والشفعة والإجارة والشركة والمزارعة وغيرها من المباحث الفقهية الاقتصادية التي استهدفت تحقيق العدالة الاجتماعية والتوازن الاقتصادي بين الناس، ومنعت الرأسمالية الظالمة من السيطرة عليهم. وألجمت الجشعين والانتهازيين عن ابتلاع الأموال الحرام، وصدت تجار الحروب ونحوهم عن الثراء والغنى على حساب أرواح الجماهير ودمائهم وأموالهم وجهدهم إلى غير ذلك من المفاسد الاقتصادية التي تتعارض مع هذه النظرية الاقتصادية الاسلامية.

الآجـــال

الأجل: في قوله تعالى:(إذا جاء أجلهم فلا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون)٤٩/ يونس. هو وقت ذهاب الحياة من الحيوان الإنسان وغيره. وهذا ما يعنيه علماء الكلام في الأجل. ثم إن كان ذهاب الحياة ـ أي الموت ـ بأحد الأسباب الإلهية فهو من فعل الله ولا خلاف فيه. وإن كان بغير سبب إلهي كالقتل أو الإنتحار أو نحو ذلك فقد اختلف فيه:

فالجبرية تقول: هو من فعل الله استدلالاً بالآية السابقة ونحوها. ومعظم الزيدية ومن وافقهم يقولون: القتل ونحوه من فعل الإنسان، ومن أجل ذلك نهاه الله عنه بقوله: (ولاتقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق)١٥١/ الأنعام، وأوجب على القاتل القصاص بقوله:(النفس بالنفس والجروح قصاص)٤٥/ المائدة.(ومن قتل مظلوماً فقد جعلنا لوليه سلطاناً فلا يسرف في القتل إنه كان منصورا)٣٣/ الإسرى، وفرق الله تعالى بين ما هو من فعله وبين ما هو من فعل غيره فقال:(فلئن قتلتم في سبيل الله أو متم لمغفرة من الله ورحمة خير مما يجمعون)١٥٧/ آل عمران، فكان القتل من عباده فعلا، والموت منه عز وجل حتماً، لهذا فالقتل خرم للأجل المسمى.

والأجل المسمى هو: الذي لو سلم صاحبه من القتل لعاش قطعاً حتى يبلغه ويموت فيه بدليل قوله تعالى:(ولكم في القصاص حياة)١٧٩/ البقرة، وقوله تعالى في قصة نوح عليه السلام:(ويؤخركم إلى أجل مسمى إن أجل الله إذا جاء لا يؤخر)٤/ نوح، فالمعنى أنه يؤخرهم إذا أطاعوا نوحاً إلى أجل مسمى وهو الموت المحتوم الذي إذا جاء لا يؤخر، وإذا عصوه اخترم الأجل وأهلكوا بالغرق، وهذا يعني أنهم لو أمنوا لما أغرقوا أما قوله تعالى:(قل لو كنتم في بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتل إلى مضاجعهم)

فمعناه، لو كنتم أيها المنافقون في بيوتكم متخلفين لما تخلف مثلكم من يقتل من المؤمنين ابتغاء الشهادة بدليل قوله تعالى: (لو كان لنا من الأمر شيء ما قتلنا ها هنا) ١٥٤/ آل عمران، حكاية لقول المنافقين.

من أجل ذلك حرم الله القتل وحمل القاتل مسؤولية القتل ظلماً أو خطأ، وحرم الإنتحار وحرم كل ذريعة تؤدي إليه كالإلقاء بالنفس إلى التهلكة، ومنه الخضوع للظالمين والكافرين والتقاعس عن جهادهم بأي وسائل الجهاد وفي أي ميادينه، ومن الإلقاء بالنفس إلى التهلكة التعرض للأوبئة والأمراض الفتاكة وعدم الاحتماء منها بأي وسائل الحماية الكافية، كما حرم السعي في الأرض بالفساد لما فيه من زلزلة قواعد الأمن والسلام، وما يتبع ذلك أو يجر إليه من سلب للأموال، وإرهاق للأرواح، وإشعال لنيران الحروب إلى غير ذلك من الأعمال والذرائع التي تتعارض مع التطبيق لنظرية الآجال، وقد أباح الله القتال لإعلاء كلمته أو لنصرة الحق، والدفاع عن النفس، أو المال، أو العرض، ونحو ذلك، (فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره، ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره)/ الزلزلة ولقوله تعالى: أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا.. ٢٩/ الحج.

التكليــــف

ساق العلماء اختلافهم في الفعل والفاعل وغير ذلك من الأبحاث السابقة المتعلقة بعدل الله وحكمته ساقهم ذلك إلى بحث التكليف وثمرته، ومن المكلِّف؟ ومن المكلَّف؟ وبماذا كُلِّف؟ وما يتعلق بذلك، فالتكليف لغة: هو تحميل الغير ما يشق عليه.

وفي اصطلاح المتكلمين: هو إعلام الغير بأن يعمل شيئاً ممكناً أو يتركه مع مشقة محتملة تلحقه بذلك.

وفي الشرع: هو تحميل المكلف الأحكام الشرعية المفهومة من خطاب الشارع المتعلق بأفعال المكلفين، إقتضاء، أو تخييرا، أو وضعاً، أو المدرك عقلاً حسنها أو قبحها ولا معارض من الشرع.

ففي قيد الإقتضاء: دخل ما يقتضيه النص الشرعي: وجوباً، وحرمة، وندباً، وكراهة.

وفي قيد التخيير: دخل المباح، وهذه هي الأحكام الشرعية الخمسة التي كلف الله بها عباده.

وفي قيد الوضع: دخل السبب: وهو ما يلزم من وجوده وجود الحكم، ومن عدمه عدم الحكم مثل الإسكار فهو سبب تحريم المسكر وانتفائه إذا عدم.

والشرط: وهو ما يلزم من عدمه عدم المشروط ولا يلزم من وجوده وجود ،ولا عدم لذاته مثل شرط الحول في وجوب الزكاة للذهب والفضة.

والمانع: وهو ما يلزم من وجوده عدم وجود الحكم. مثل الأبوة فهي مانعه من إجراء حكم القصاص على الأب إذا قتل إبنه.

والتكليف: في رأي الزيدية ومن وافقهم: هو تفضل من الله لغرض تعريض المكلف لدرجة من المنافع لا ينالها إلا بالتكليف. وهذا هو ثمرة التكليف.

وقد قال بعض المعتزلة: بأن التكليف واجب لأنه الأصلح للعباد. ولكن هذا القول غير صحيح

المكلِّف: لا خلاف أن مكلِّف العباد بالتكاليف ـ أي الاحكام الشرعية ـ بعد بعثة الأنبياء والرسل: هو الله تعالى بشريعته المنزلة على رسله. أما قبل البعثة فالاشعرية ومتابعها تقول: بأنه لا تكليف قبل البعثة، ولذا فلا يحرم كفر، ولا يجب إيمان.

وقالت الزيدية ومن وافقها: إن الله مكلف عباده قبل البعثة بما تدركه عقولهم من قبح الفعل أو حسنه، ولذا فتتعلق بأفعالهم أحكام الحسن والقبح.

المكلَّف: هو البالغ العاقل[١] ولذا رفع القلم عن ثلاثة الصبي حتى يبلغ، والنائم حتى يستيقظ، والمجنون حتى يفيق، وكلف بالأحكام المتعلقة بفعله أو اعتقاده شرعاً أو عقلاً.

ويشترط في الفعل المكلَّف به أن يكون ممكناً يطيقه المكلف، وذلك لقبح التكليف بما لا يطاق والله تعالى يقول: (لا يكلف الله نفساً إلا وسعها) ٢٨٦/ البقرة.

وقد أنكرت الأشعرية ومن وافقها هذا الشرط وجوزت التكليف بما لا يطاق مستدلة بقوله تعالى للملائكة: (أنبؤني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين) ٣١/ البقرة، وبتكليف الله الكافر بالإيمان مع علمه بأنه لا يؤمن، وجعلوا علم الله مانعاً للكافر من الايمان لئلا يلزم الجهل على الله واذاً فهو لا يطيقه عندهم.

وردت الزيدية ومن وافقها عليهم: بأن الله أمر الملائكة أن ينبئوه بالأسماء تعجيزاً

(١) زاد بعضهم: القادر الفاهم من خطاب الشارع القدر الذي يتوقف عليه الإمتثال وجوباً أو حراماً أو غير ذلك من الأحكام الشرعية أو العقلية.

لهم فالأمر أمر تعجيز ولا تكليف بمثله ومثله قوله تعالى: (كونوا حجارة أو حديداً) ٥٠/ الإسرى. أما الكفر والإيمان فمما يطيقهما العباد ولذلك جعلهما تحت الإختيار وقال: (فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر).

وعلم الله تعالى لا يؤثر في المعلوم ولا هو سائق إليه حتماً، ولهذا صح التكليف إجماعاً بما علم الله أنه لا يقع، مثل تكليف الكفار بالشرعيات لدخولهم في عموم قوله تعالى: (يا أيها الناس اعبدوا ربكم)٢١/ البقرة وأخبر بأنه معذبهم بقوله: وويل للمشركين الذين لا يؤتون الزكاة ٧/ فصلت، وبقوله تعالى: (ما سلككم في سقر قالوا لم نكن من المصلين)٤٢/ المدثر، فلو كان لعلمه أثر أو كان سائقاً إلى المعلوم لكان تكليف الكفار بالشرعيات تكليفاً بالمحال، والله لعدله وحكمته منزه عن التكليف بالمحال، ولو كلفهم بالمحال لعد ظلما، (وما ربك بظلام للعبيد) ٤٦/ فصلت (ولا يظلم ربك أحداً) ٤٩/ الكهف.

الوعد والوعيد

الوعد: في اصطلاح المتكلمين: هو الخبر الذي يفيد إيصال النفع أو نحوه من جهة الواعد إلى الموعود في المستقبل على جهة الاستحقاق. وهو من الله إخبار بالثواب.

والوعيد: هو الخبر الذي يفيد إيصال الضرر أو نحوه من المتوعَّد إلى المتوعِّد في المستقبل على جهة الاستحقاق. وهو من الله إخبار بالعقاب. ويقال للمبلغ بالوعد بشير وبالوعيد نذير والمقصود بهذا الأصل من الجانب النظري هو الإيمان بأن الله سوف يجازي المحسن على إحسانه كما وعد، وسوف يعاقب المسيء على إساءته كما توعد، مالم يمت المحسن عاصياً لقوله تعالى: (أن تحبط أعمالكم وأنتم لا تشعرون). ويموت المسيء تائباً لقوله تعالى: (ومن يعمل سوءا أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفوراً رحيما) ١١٠/ النساء وقوله تعالى: (إن الحسنات يذهبن السيئات) ١١٤/ هود، والله لا يخلف الميعاد في كل ذلك.

هذه هي نظرية الثواب والعقاب من الجانب النظري. أما من الجانب التطبيقي فهي تعني الإيمان بوجوب المساواة أمام القضاء بين الناس بدون تفريق لا من جهة الجنس ولا اللون ولا المكانة الإجتماعية أو الإقتصادية أو السياسية أو العسكرية أو غير ذلك فكلٌّ آت الرحمن عبدا، وكذلك يجب ان يكونوا أمام القضاء الشرعي في الحياة، وكذلك فهمه الرسول ﷺ يوم قال في حديث المخزومية: والله لو سرقت فاطمة بنت

محمد لقطعت يدها[1] وتعني المساواة كذلك في حق الأجر والجزاء، على حسب العمل والجهد والإنتاج، لأن الله تعالى قد جعل بعلمه وبحكمته وعدله ما وعد به المؤمنين وما توعد به الكافرين، مبنياً على حسب أعمالهم(فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره) ٨/ الزلزلة، في حين أنه لم يكلف أحداً إلا على حسب طاقته وكفاءته العقلية والبدنية وأحياناً المالية معهما، ومن أجل هذا رفع عن الصبيان والمجانين ونحوهم أعباء التكاليف، وأعفى الفقير من تكاليف الحج والزكاة، ولم يكلف بالصلاة المرأة الحائض أو النفساء، وأسقط عن المريض الأحكام التي تضاعف من مرضه، إلى غير ذلك من المسؤوليات المعفـوة عمـن لا تتوفر فيه الطاقة والكفاءة في القيام بها.(لا يكلف الله نفساً إلا وسعها) ٢٨٦/ البقرة.

ومن هذا التشريع الإلهي وأمثاله يستوحي المسلم المفهوم الإسلامي لمبدأ المساواة في الحياة الحرة الكريمة، وفي حق العمل وفي غير ذلك من المجالات المشروعة.

والمفهوم الإسلامي لمبدأ المساواة هو مفهوم يتماشى مع واقع الحياة ولا يتعارض مع قوانينها الأزلية في الإنسان، لذلك فالمساواة الإسلامية قد بنت في الإنسان القيم وشيدت في مجتمعه الأخلاق وأسعدت من استظل بظلالها وملأت كل أرجاء حياته أمناً وسلاما ورخاء، وليس كذلك مساواة الحضارتين الغربية والشرقية كما هو مشاهد وملموس[2].

بداية الخلاف في هذا الأصل

عندما فقدت نظرية الوعد والوعيد أو الثواب والعقاب جانبها التطبيقي في العهد الأموي، ساد الظلم أنحاء المعمورة الإسلامية، وانتشر الفساد بين الناس، وتحكم في مشاعرهم ومصائرهم الهوى وحب المال. وحينذاك بدأ الحكماء والعلماء يتناقشون حول أعمال الظالمين ومرتكبي الكبائر، ليتبينوا أدواءهم فيعالجوها مستمدين الرشد من كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ. وأدرك الحكام وأتباعهم ما يعنيه النقاش حول أعمالهم بل وتجسدت لهم النهاية التي انتهى إليها الخليفة عثمان بن عفـان بالرغم من بعد الشقة التي بينه وبينهم رشداً وصلاحاً. فهبوا لإثارة الشبه المبررة لأعمالهم عند الناس، وتبرع بالتالي المبررون لكل ظلم وفساد بأدلة التبرير من عمومات الكتاب والسنة وهبوا لشرحها وفلسفتها، وهنا ظهر الخلاف جلياً بين علماء الحق وبين غيرهم في مسألة الظلم

(١) رواه البخاري ومسلم والترمذي وأبو داود والنسائي.

(٢) راجع بحث المساواة في بحث عناصر الدولة ومرتكزاتها في الأصل الخامس من هذا الكتاب.

وفاعله وفي عقابه وجزائه. وقد تقدم خلاصة ما قالوه عن الظلم وفاعله، وجاء دور الكلام عن جزائه وعقابه أو ثوابه وعقابه وما إلى ذلك من أبحاث.

أصحاب الجنة وأصحاب السعير

من المعلومات الضرورية في الإسلام أن النبي ﷺ كان يعد المؤمنين بالجنة ويتوعد الكافرين والعاصين بالنار، واتفق المسلمون على أن من مات مؤمناً بالله وبرسوله وما جاء به من عند الله، واعتقد ذلك بقلبه،وأقر به بلسانه وعمل به بجوارحه فهو من أصحاب الجنة، خالداً فيها أبدا، وأن من مات كافراً بالله وبرسوله وشريعته فهو من أصحاب السعير خالداً فيها، وكان هذا الأمر مسلماً به ومفروغاً منه حتى نبتت الجبرية فظهر القول بعدم ذلك، بحجة أن الله يفعل بخلقه ما يشاء، وقالوا: إنه لا خلود في العذاب[1] إما لأن من دخل النار سوف يكون فيها كالزبانية الموكلين بالنار،وهذا هو قول الجهمية، وإما لأن النار نفسها سوف تفنى وتنتهي وينتهي بذلك العذاب وهذا هو قول ابن القيم، وإما لأنهم سيخرجون منها استدلالاً بآية (إلا ما شاء ربك)وهذا هو قول الكرامية.

أما الزيدية وسائر العدلية فقالوا: من مات مؤمناً فهو من أصحاب الجنة خالدا فيها أبدا، ومن مات كافراً أو عاصياً لم يتب فهو من أصحاب السعير خالدا فيها أبدا، لقوله تعالى (ومن يعص الله ورسوله فإن له نار جهنم خالدين فيها أبدا)٢٣/ الجن، وقوله تعالى: (وان الفجار لفي جحيم يصلونها يوم الدين وما هم عنها بغائبين)١٦/ الإنفطار، وقوله تعالى(بلى من كسب سيئة وأحاطت به خطيئته فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون)٨١/ البقرة، وقوله تعالى:(ما يبدل القول لدي وما أنا بظلام العبيد) ٢٩/ ق.

ونفت المرجئة جميعاً تخليد أصحاب الكبائر الذين ماتوا بها غير تائبين،استدلالا بقوله تعالى:(يوم يأت لا تكلم نفس إلا بإذنه فمنهم شقي وسعيد فأما الذين شقوا ففي النار لهم فيها زفير وشهيق خالدين فيها ما دامت السموات والأرض إلا ما شاء ربك إن ربك فعال لما يريد. وأما الذين سعدوا ففي الجنة خالدين فيها ما دامت السموات والأرض إلا ما شاء ربك عطاء غير مجذوذ)١٠٣/ هود.

---

(١) شفا العليل ص ٢٥٨

وقوله تعالى:(إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء)٤٨/ النساء،ونحو هذه الآيات.

وقد ردت العدلية عليهم بأن آية فمنهم شقي وسعيد، إخبار عن حال الناس يوم القيامة وإذاً فقوله ما دامت السموات والأرض يراد به إستبعاد خروجهم من النار ومن الجنة، ولا يراد بذلك التوقيت حتى يقال إن لعذابهم نهاية، ومثلها مَثَل قوله تعالى: (حتى يلج الجمل في سم الخياط)٤٠/ الأعراف، والمراد الاستبعاد لاستحالة ولوج الجمل في سم الخياط، ومثل هذا التعبير شائع في لسان العرب كقولهم: لا أفارقك ما لاح نجم، وما هبت الرياح، ونحو ذلك من استعمالاتهم النثرية والشعرية.

وإن كان المراد هي سماوات يوم القيامة وأرضها لكون الآية إخبار عن ذلك اليوم فهذه دائمة أبداً، ويؤكد هذا إجماع العلماء بأن الإستثناء من آية الخلود في الجنة غير معتبر فيلزم أن يكون كذلك الإستثناء من آية النار،والفرق تحكم.

وأحسن من هذا كله هو أن ندعو الله جميعاً أن يجنبنا النار وأن يدخلنا الجنة برحمته اللهم أمين. أما آيات الغفران وغيرها من آيات الرجاء فهي مجملة وقد بينتها آية: (وإني لغفار لمن تاب وأمن وعمل صالحاً ثم اهتدى)٨٣/ طه، وآية:(ومن يعمل سوءاً أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفوراً رحيما)١١٠/ النساء، ويجب حمل المجمل على المبين كما هو مقرر في الأصول، ولهذا يصبح معنى ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء مقيداً بآيات التوبة، والله يشاء التوبة للتائب بلا خلاف ولا شك ولا ريب.

ثم إن آيات الوعيد قطعية الدلالة، والمقرر في الأصول: أن العام الذي لا يتعلق به عمل ويطلب به الإعتقاد يكون قطعي الدلالة على كل أفراده،ولذلك ولعدم وجود المخصص فدلالتها قطعية، ولو فرض وجود المخصص لهذا العموم فالدلالة لما يبقى قطعية على أصح الأقوال، ومثلها آية الرحمة لقوله تعالى:(فسأكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة والذين هم بآياتنا يؤمنون)الأعراف ١٥٦ فالتخصيص لا ينافي الدلالة القطعية لما يبقى.

الشفاعـــــة

واستدلت المرجئة على خروج اهل الكبائر من النار بأحاديث الشفاعة، ولا شك أن شفاعة الرسول ﷺ ثابتة يوم القيامة ومقبولة عند الله، ولم يخالف في ثبوتها إلا

المطرفية[1] واختلف المسلمون فيمن يستحقها فقالت المرجئة يستحقها أهل الكبائر لإخراجهم من النار، لحديث شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي. وردت العدلية عليهم بأن هذا الحديث قد روي عن الحسن البصري بلفظ شفاعتي ليست لأهل الكبائر من أمتي. والقرآن قد صرح بعدم استحقاقهم للشفاعة فقال:(ما للظالمين من حميم ولا شفيع يطاع) ١٨/ غافر، وقال تعالى:(ليس بأمانيكم ولا أماني أهل الكتاب من يعمل سوءاً يجز به ولا يجد له من دون الله ولياً ولا نصيرا) ١٢٣/ النساء.

ثم إن السنة قد جاءت بتخليد أصحاب الكبائر مثل حديث: من قتل نفسه بحديدة فحديدته في يده يجاء بها بطنه في نار جهنم خالداً أبدا. وحديث من يحتسي سما يحتسي به في نار جهنم خالداً أبدا. وروى هذين الخبرين البخاري والترمذي والنسائي وغيرهم.

وأحاديث الشفاعة تدل على أنه ﷺ سوف يسألها لأهل المحشر قبل الحساب ليفصل الله بينهم ليرتاحوا من هول المحشر، ويسألها لمن قلت درجاته في الجنة فيرفع الله بها درجاته، ويسألها لمن استوت حسناته وسيئاته ليدخله الله الجنة بفضله وكرمه ورحمته، وكل هذه الشفاعات يوم الحساب، ولم يصح أن الرسول ﷺ سيسألها لأهل النار بعد دخولهم النار والله أعلم.

التوبـــــة

التوبة: هي الندم على ما كان من الذنوب، وتركها، والاستغفار منها، وترك الإصرار عليها، والعـزم على ألا يعود أبداً إليها، قال تعالى:(قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعا إنه هو الغفور الرحيم)٥٣/ الزمر، هكذا أخبر الله عباده بأنه يغفر جميع الذنوب للعاصين مشركهم وكافرهم ومنافقهم وفاسقهم وغيرهم من العصاة،ولكنه قيد حدوث المغفرة بحدوث التوبة فقال: (وإني لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحاً ثم اهتدى)٨٢/ طه. ووعد وهو لا يخلف الميعاد بأنه يقبل توبة كل تائب بقوله جل وعلا:(استغفروا ربكم ثم توبوا إليه إن ربي قريب مجيب)٥٢/ هود. ومن رحمته وفضله وجوده أن جعل باب التوبة مفتوحاً مدة حياة المذنب المكلف فيها، فلو كان عمر المذنب ثمانين عاماً لكان باب التوبة مفتوحاً له مدة ثمانين عاماً إلا خمسة عشر عاماً هي مدة الطفولة المرفوع عنه فيها القلم، فمن لم

(١) فرقة منقرضة من الباطنية وكانوا أتباع مطرف بن شهاب عاش في عهد الحاكم الفاطمي في اليمن وقرأ مع علي محمد الصليحي الباطني على يد سليمان بن عبدالله الزواجي ذكره في بلوغ المرام للعرشي

يتب في مدة خمسة وستين عاماً مثلا حتى قبيل موته قبيل ان يغرغر بالموت، فحجته على نفسه ولم يبق له حجة على الله لقوله تعالى:(وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى إذا حضر أحدهم الموت قال إني تبت الآن ولا الذين يموتون وهم كفار أولئك اعتدنا لهم عذاباً اليما)١٨/ النساء، والحاذق الكيّس هو الذي يحدث لكل ذنب توبة حتى لا يفاجأ بالموت قبل توبته، ويكون دائماً وابداً مستعداً للقاء الله قبل أن يندم وتقول نفسه:(يا حسرتا على ما فرطت في جنب الله وإن كنت لمن الساخرين)٥٦/ الزمر، أو تقول: لو أن الله هداني لكنت من المتقين ٥٧/ الزمر، أو تقول حين ترى العذاب لو أن لي كرة فأكون من المحسنين ٥٨/ الزمر، اللهم وفقنا واجعلنا من عبادك المؤمنين المتقين برحمتك يا أرحم الراحمين.

والحاذق الكيس كذلك هو الذي لا ييأس من روح الله، ولا يؤخر التوبة مهما وسعه الوقت فالله تواب غفور رحيم.

ولقد ندبنا الله إلى التوبة وشجعنا عليها، تارة بتبديل السيئات إلى حسنات فقال:(إلا من تاب وأمن وعمل صالحاً فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات وكان الله غفوراً رحيما) ٧٠/ الفرقان، وتارة بوعده تعالى للتائب برفعه إلى درجة المحبوبين لديه فقال:(إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين)٢٢٢/ البقرة.

أنواع التوبة

والتوبة أنواع: فإن كان الذنب مما لا يتعلق به حقوق المخلوقين، كشرب الخمر ونحوه فالتوبة منه تكون بالندم والاستغفار والعزم على ألا يعود.

وإن كان الذنب مما يتعلق به حق من حقوق المخلوقين مسلماً أو كافراً ذمياً كغصب أموالهم أو سرقتها أو أخذها بطريق الربى أو الغش أو الرشوة أو وصلت إليه من يد ظالم أو غاصب، وهو يعلم ذلك فالتوبة من هذا النوع تكون بارجاع كل حق إلى صاحبه، فإن كان صاحب الحق قد مات فليرجعه إلى ورثته. فإن كانوا قد انقرضوا أو كان غير عارف لأصحاب ذلك، أرجعه إلى بيت مال المسلمين.

وإن كان الذنب هو القتل أو الجرح والجناية فالتوبة من ذلك تكون بالإعتراف وتسليم النفس للقصاص إن كان عمداً، أو تسليم الدية إن كان خطأ، وبتسليم أرش الجنايات كما هو موضح في كتب الفقه، وإن كان الذنب من غير ذلك وإنما هو من

حقوق الله عليه كترك الصلاة أو الصيام أو الزكاة أو الحج،أو غير ذلك مما أوجب الله قضاءه أو فرض له كفارة ككفارة اليمين أو كفارة الظهار مثلا فالتوبة منه تكون بقضاء الواجب المؤقت إن كان معلوماً فبحسبه وإن كان غير معلوم فحتى يغلب عليه ظنه بأنه قد أداه، وفيما له كفارة تكون التوبة بأدائها أو الإيصاء بها من تركته. وفي كتب الفقه الإسلامي التفصيل الكافي لكل ما تقدم فمن تاب من ذنوبه كما تقدم تاب الله عليه، ولو كانت كفراً أو شركاً، وكان الله غفوراً رحيما.

وقد اتفق الجمهور من العلماء على أن التوبة تمحو المعصية وتمحو عقابها، واختلفوا في المعصية هل تمحو الطاعة؟ او تمحو ثوابها؟ فلو فرض أن رجلاً عمل صالحاً وآخر سيئاً ثم تاب، فهل بتوبته يعود له ثواب طاعاته يوم تنصب الموازين في يوم الحساب أولا ؟.

فقيل: لا يعود له من ثوابها شيء بدليل قوله تعالى:(وقدمنا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا)٢٣/ الفرقان، وقوله تعالى:(لئن أشركت ليحطبن عملك)٦٥/ الزمر ونحوها. وهذا رأي أبي علي الجبائي من العدلية وجمهور البصريين والإمام القاسم بن محمد.

وقيل يعود له الثواب كله لأن المعصية لا تمحو الطاعة وإنما تحبطها، وهذا هو رأي بشر بن المعتصم وأبي القاسم البلخي والبخاري من البهشمية.

وقيل: لا يعود له ما منعت الكبيرة من وقت فعلها إلى وقت التوبة، ولا ما كان قد اجتمع قبل فعل المعصية الكبيرة، ويعود له ما يتجدد من ثواب الطاعة المتقدمة في المستقبل، وهذا هو قول البهشمية والإمام المهدي وغيره. وهذا هو الموافق لعدل الله وحكمته. وإلا لزم التساوي بين من قطع عمره في طاعة الله وعبادته ثم فعل كبيرة وتاب عنها قبل موته، وبين من قطع عمره في عصيان الله والكفر به ثم تاب قبل موته، والفرق بينهما بلا شك كبير.

المنزلة بين المنزلتين

هذا أصل من الأصول الخمسة عند المعتزلة وحدهم. أما الزيدية فيدخله أكثرها في أصل الوعد والوعيد لتعلقه بمرتكب الكبيرة. والخلاف بين العلماء فيه من حيث التسمية: فالخوارج قالوا: يسمى كافراً. والإباضية منها تقول بأنه كفر نعمة لا غير.

والحسن البصري سماه منافقاً بحجة قوله تعالى: (إن المنافقين هم الفاسقون) ٦٧/ التوبة. وقالت المرجئة يسمى مؤمناً.

وقالت الزيدية يسمى فاسقاً: للاجماع على تسميته بفاسق، وليس بكافر لقوله تعالى: (وكره إليكم الكفر والفسوق) ٧/ الحجرات، والعطف يقتضي التغاير، وليس بمنافق لأن الله قال: إن المنافقين هم الفاسقون، ولم يقل إن الفاسقين هم المنافقون، وليس بمؤمن لخروجه من حدود الإيمان فهو فاسق بدليل قوله تعالى: (والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة ولا تقبلوا لهم شهادة ابداً أولئك هم الفاسقون) ٤/ النور. وقيس عليه كل مرتكب كبيرة غير الكفر والشرك بالله والنفاق.

النبوات

هذا الأصل من الأصول الخمسة عند الزيدية. وهو من أبحاث الأصل الثاني عند المعتزلة وهو يعني الإيمان والتصديق بمن اصطفاه الله من خلقه، وكرمه برسالته لهداية البشر وإنقاذهم من الضلال بشريعة أوحاها إليه وأيده بالمعجزة لتصديق نبوته.

هذا ما يعنيه هذا الأصل من الجانب النظري. أما ما يعنيه من الجانب التطبيقي فهو: إيماننا بأن كل ما ينفعنا أو يضرنا مما لم تدركه عقولنا ولم تهتد إليه أفكارنا في كل مجالات حياتنا الإجتماعية والإقتصادية والسياسية وما إلى ذلك من المجالات قد جاءنا تفصيله من عند الله العليم بأحوالنا والخبير بمصالحنا على يد المخبر الصادق الخاتم للأنبياء محمد بن عبدالله بن عبد المطلب بن هاشم عليه وعلى أله أفضل الصلاة والسلام مصداقاً لقوله تعالى: (اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا) ٣/ المائدة، ومن أجل هذا فدستورنا وقوانيننا هي ما جاءت به شريعة الله أو ما يستمد من شريعة الله، ووجب علينا لذلك أن نخضع كل القوانين والدساتير التي يتواضع عليها البشر لتنظيم مجالات حياتهم إلى موازين شريعة الله فما وافقها قبل، وما خالفها رفض، ذلك حكم الله ومن أحسن من الله حكما. ومن المعلوم أن الدساتير والقوانين المعروفة اليوم في الغرب والشرق إنما كانت نتيجة صراعٍ دامٍ بين الحكام والشعوب. استعر أواره في أوروبا وأمريكا وفي فرنسا بالذات في القرن الخامس عشر الميلادي واستمر حتى القرن الثامن عشر وأوائل القرن التاسع عشر الميلادي حيث شمل روسيا القيصرية.

واستهدف هذا الصراع القضاء على دكتاتورية الحكام للتخلص من استبدادهم

وللحد من سلطانهم المطلق على شعوبهم، وبعد معاناة طويلة وتضحيات جسيمة توصلوا إلى تلك الدساتير والقوانين التي يحكمون بها اليوم في ظل النظام الملكي أو النظام الجمهوري، بقيادة ملك كما في بريطانيا مثلا، أو إتحاد دول كما في أمريكا، أو هيئات ومجالس كما في فرنسا، أو حزب واحد كما في روسيا. والواضع لتلك الدساتير والقوانين إما هيئة مختارة من أعضاء الدولة كما هو الحال في أكثر الدول، وإما بوضع العرف العام المقر من قبل الحكام أو أوامرهم، أو تصريحاتهم، ومواثيقهم السياسية، واستمر العمل عليها بعد ذلك كما هو الحال في بريطانيا، ويسمى مثل هذا الدستور البريطاني الدستور العرفي لأنه لم يوضع بواسطة هيئة ولم يكتب في كتيب كما كتبت الدساتير المعروفة في الشرق والغرب.

وبالرغم من تلك الفترة الطويلة والشاقة فلم تكتمل تلك الدساتير والقوانين،وما تزال لذلك عرضة للتغيير والتبديل، وليس ذلك إلا لكونها من وضع البشر الضعيف.

أما دستورنا الإسلامي وشريعتنا الربانية فقد جاء كاملاً وكافيا من بداية نزوله على نبينا ﷺ حتى اليوم ،وحتى آخر الدهر إن شاء الله، ذلك لأنه تنزيل وتشريع من العليم الحكيم الخلاق، ولهذه المميزات قلنا إنه يجب إخضاع كل القوانين والدساتير الوضعية لموازين شريعة الله ودستور الله فما وافقها قبل وما خالفها رفض.

بعثة الأنبياء

من لطف الله بعباده أن بعث إليهم رسلا من أنفسهم لينقذوهم من الضلال وليهدوهم إلى الرشاد وحتى لا يكون للناس حجة على الله يوم الحساب.

والبعث للأنبياء مستحسن عند كل عقلاء البشرية ولم يخالف في ذلك إلا الشيوعية لجحودهم بالله: وإلا البراهمة، والباطنية، والمطرفية.

فالبراهمة تقول: إن العقل كافٍ لمعرفة القبيح والحسن فلا حاجة لذلك إلى الرسل، والعقل الذي اعتمدوا عليه يكذبهم بنفسه، لأن العقل يؤمن بأن دفع الضرر واجب عقلا، فلو منع الطبيب أحداً عن أكل البيض مثلا لوجب عقلا الإمتناع عن أكله دفعاً للضرر مع أنه مما لا يقبح العقل أكله إلا لنحو هذا السبب المعروف من قبل الطبيب وحده، فإذا جاز ذلك عقلا إمتثالاً للطبيب فالأنبياء أكثر خبرة وأوسع علما، واحتياج البشر إليهم أكثر من إحتياجهم للأطباء بلا شك ولا ريب.

وأما الباطنية فتقول: إن الحياة مقسمة إلى أدوار سبعة، وكل دور يبتدي بما يسمى: بالإمام المقيم وهو في الدور السابع أبو طالب بن عبد المطلب، وهو كما يزعمون الذي يقيم الرسول ويعلمه ويربيه، ثم الرسول الناطق: وهو الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، ثم الإمام الأساس: وهو علي كرم الله وجهه وهو مرافق الناطق ومساعده وأمين سره إلى غير ذلك من الخرافات، وسوف نأتي على شيء منها عند الكلام على الإمام الهادي إلى الحق رضوان الله عليه بحول الله.

وأما المطرفية فتقول: إن النبوة ليست من عند الله وإنما هي نتيجة جهد الإنسان نفسه في العلم والصلاح ومنهم من قال: هي جزاء على العمل. ومنهم من قال: هي حكم وتسمية. وكلا المطرفية والباطنية قد نهلا من منهل واحد كما سيأتي بيانه عند الكلام عليهم إن شاء الله.

والعقل في نظر الزيدية هو الذي جوز بعثة الأنبياء، لأن في شؤون الحياة وأمورها مالا يدرك بالعقل ولا يتوصل إليها بالبراهين كعالم البرزخ وما فيه من أحوال، ويوم القيامة وما فيه من أهوال، ثم الجنة وما فيها من النعيم، والجحيم وما فيها من العذاب العظيم، وأقرب الينا من كل ذلك هذه النفس البشرية التي نحملها ما هي؟ وكيف هي؟ مع ما هي عليه من أحوال مختلفة ونزعات متباينة، وعليها ترتكز كل مجريات حياتنا، ومنها تشع الآمال فنسعد بها حيناً، ثم ترتكس فنشقى بها حيناً آخر. وقل كذلك في أمثالها التي اعترف العقل بعجزه أمامها، واعترف بأنه لا بد من هداية غير هدايته: إنها هداية الأنبياء وحدهم لأنها القادرة على تنظيم الحياة، وعلى هداية الناس فيها، ولذلك فما من أمة إلا خلا فيها نذير، لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل.

العصمة

العصمة، على أصح الأقوال، هي اللطف الذي تترك لأجله المعصية بلا محالة[1] ولهذا لا يوصف بها إلا الأنبياء أو من يجري مجراهم.

وكل رسول يوحى إليه بشريعة جديدة أو مجددة لما قبلها من الشرائع لا بد أن يكون معصوماً بتوفيق الله ولطفه عن ارتكاب الكبائر والفواحش من المعاصي قبل البعثة وبعدها، ومعصوما كذلك من الصغائر التي تسيء إلى مقام النبوة وتثير الشبه حولها، وهذا هو رأي الزيدية ومن وافقهم.

---

(١) زاد بعضهم: مع التمكن من الفعل ولم يبلغ حد الإلجاء.

أما الحشوية فترى جواز أن الأنبياء يعصون الله قبل النبوة عند بعضهم، وقبلها وبعدها عند البعض الآخر، وكلا الرأيين غير صحيح. لأن الأنبياء قدوة للأمم إلى مكارم الأخلاق وشيمها فتولى الله لذلك تربيتهم وتأديبهم على حب المكارم، ورفيع الأخلاق وأسمى الآداب ليكونوا خير قدوة وأفضل أسوة، ولو لم يكونوا كذلك لبطلت حجة الإتباع لهم، ولألتبس الصادق بالكاذب في دعوى النبوة، والله أرحم بعباده من أن يوقعهم في اللبس ويركسهم في الحيرة وصدق الله القائل: (ألله أعلم حيث يجعل رسالته) ١٢٤/ الأنعام، (الله يصطفي من الملائكة رسلا ومَن الناس إن الله سميع بصير) ٧٥/ الحج.

المعجــزة

المعجز هو الفعل الخارق للعادة، الذي يدل على صدق المدعي للنبوة. ولا بد لكل رسول من معجزة. ولا بد وأن يكون المعجز من أمر الله ويتعذر علينا فعله، ولو دخل جنسه في جنس مقدورنا، وأن يكون واقعاً عقب دعوى المدعي للنبوة، وأن يكون مطابقاً لدعواه، أمّا ما يتقدم الدعوى من أفعال خارقة فهي من باب الإرهاصات، ومنها قصة الفيل، وتظليل الرسول بالغمامة في سفره إلى الشام قبل البعثة.

معجزة الرسول صلى الله عليه وأله وسلم

للرسول صلى الله عليه وأله وسلم معجزات كثيرة وأجلها معجزة القرآن، ووجه إعجازه فصاحته وبلاغته، لأن العرب في حينه كانوا قد بلغوا القمة في فصاحة الكلمة وبلاغة التعبير، فأيده الله بمعجزة الكلمة من حيث الفصاحة والبلاغة لكونها من جنس مقدور العرب، وكلماتها مؤلفة من ألف باء العرب، تصديقاً لدَعْوَاهُ النبوة والرسولية. ولذا تحداهم على الإتيان بمثله، ثم بعشر سور من مثله، ثم بسورة واحدة من مثله. وهذا يعني أنه قد تحداهم أن يأتوا بثلاث آيات أو أربع آيات مماثلة للقرآن في الفصاحة والبلاغة، ولما عجزوا حكَّموا السيف والقوة ليطفئوا نور الله، (ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون) ٣٢/ التوبة، وإعجاز القرآن خالد بخلوده، ولذا فهو في كل عصر معجزة وهو الآن معجز بفصاحته وبلاغته، ومعجز بما اشتمل عليه من حقائق العلوم التي يفسر العلم الحديث بعض أسرارها، وسوف يستمر إعجازه وإن بلغ العلم ما بلغ من تقدم لأنه كلام الله العليم بكل شيء ولا يحيطون به علماً.

القرآن

معنى القرآن لغة: المجموع والمضموم بعضه إلى بعض، وسمي كذلك لأنه قد جمع أصول كل الشرائع السماوية، وأصول كل النظم الإجتماعية والإقتصادية وغيرها من متطلبات الإنسان في الحياة.

وقد نزل على الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وهو في الأربعين من عمره الشريف واستمر نزوله عليه على حسب الدواعي والحاجات مدة ثلاثة وعشرين عاماً هي مدة حياته في النبوة، وكان ذلك كذلك لطفاً من الله بالعرب حتى لا تثقل عليهم تكاليفه، وليسهل عليهم حفظه لكون الغالب في العرب هو الجهل بالقراءة والكتابة، وليثبت به قلب الرسول صلى الله عليه وآله وسلم قال تعالى: (وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة كذلك لنثبت به فؤادك ورتلناه ترتيلا) ٣٢/ الفرقان، ومع طوله وكثرة سوره فقد سلم من التناقض، ومن رتابة الكلمة، وسلم من الأخطاء، وبحفظ الله له سلم من الزيادة والنقصان على مر العصُور، رغم كثرة الحاقدين والكافرين والمكذبين، قال تعالى: (إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون) ٩/ الحجر.

معاني القرآن

كل معاني القرآن واضحة ومفهومة لأن المقصود به هو التفهيم للناس ما لهم وما عليهم لله ولأنفسهم في الحياة، وكل خطاب يقصد به التفهيم لا بد وأن يكون واضحاً ومفهوماً وإلا فهو لغز وتعمية، ولما تحدى الله العرب أن يأتوا بمثله أو بعشر سور أو بسورة واحدة من مثله عجزوا عن الإتيان بمثله، ولما عجزوا لجأوا إلى السيف وإعلان الحرب، فلو كان فيه ما لا يفهم معناه لاحتجوا على النبي به: ولكان هذا أسهل وأخف من السيف والحرب، ولكان أقوى حجة لهم على تكذيبه.

وقد اختلف الناس في فهم معانيه لإختلافهم في الفهم والعلم، وهذا غير معيب، واختلفوا في تأويله: أي تفسيره وهذا غير معيب كذلك. واختلفوا في فهم وتفسير المتشابه منه، فأما الذين ردوا متشابهه إلى محكمه فقد عملوا بتوجيه القرآن المذكور في قوله تعالى: (هو الذي نزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب) ٧/ آل عمران، وأما الذين لم يسلكوا هذا المسلك ولم يتوجهوا بتوجيه القرآن، فعسى الله أن لا يكون أولئك من الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه، وقد تقدم الكلام على

المحكم والمتشابه في بحث الكلام عن الصفات. (التوحيد)

أما معاني فواتح السور مثل: ألم، ص، ن... فأقوى ما قيل فيها: أن الله أراد بها التنبيه للعرب بأن هذا القرآن الذي أعجزهم هو مؤلف من ألف بائهم، ونازل على لغتهم في أساليب التعبير، فعجزهم دليل على أنه ليس من كلام البشر وإنما هو من كلام خالق البشر ويدل على صحة هذا القول ذكر القرآن بعدها مثل: ألم ذلك الكتاب لا ريب فيه، يس والقرآن الحكيم.

القرآن ناسخ ومصدق

والقرآن بما اشتمل عليه من أحكام وقوانين وغير ذلك هو مصدق لما في الكتب السماوية الأولى فيما جاء فيها من أصول الشرائع وأمهات الأخلاق، وهو ناسخ لما عدا ذلك من التفريعات التي قد انتهت مهمتها، وانقضى زمنها الذي كانت صالحة فيه بمجيء زمن العقل والعلم، زمن القرآن الذي صدرت آياته وسوره بالدعوة إلى العلم فقال تعالى: (اقرأ باسم ربك الذي خلق، خلق الإنسان من علق، اقرأ وربك الأكرم الذي علم بالقلم، علم الإنسان ما لم يعلم) ٢/ العلق.. وكانت هذه الآيات هي عنوان رسالة الإسلام لذا جعل الله القرآن مصدقاً لما بين يديه من أصول شرائع وأمهات أخلاق ومهيمنا على ما بين يديه في التفريعات والتفصيلات[١] ثم قال الله لنبيه: (فاحكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهوائهم عما جاءك من الحق لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا) ٤٨/ المائدة.

وإنما قصر الله الحكم على القرآن، لأن سائر الكتب المقدسة قد دخلها التحريف والتبديل والإخفاء والنسيان، قال تعالى عن اليهود: (فبما نقضهم ميثاقهم لعناهم وجعلنا قلوبهم قاسية يحرفون الكلم عن مواضعه ونسوا حظاً مما ذكروا به) ١٣/ المائدة.

وقال تعالى عن النصارى: (ومن الذين قالوا: إنا نصارى، أخذنا ميثاقهم فنسوا حظا مما ذكروا به) ١٤/ المائدة، صدق الله العظيم.

تدوين القرآن

كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يأمر بتدوين القرآن، ويحدد لهم مواضع الآيات التي كانت تنزل عليه لمناسبة مّا فيما قد نزل عليه من السور، لذلك فكل ما

(١) قال تعالى: وأنزلنا إليك الكتاب بالحق مصدقاً لما بين يديه من الكتاب ومهيمنا عليه ٤٨/ المائدة.

يوجد اليوم من آيات في المصاحف الشريفة هو نفس ما سمع ونقل عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، سمعه جيل عن جيل، ونقله التابعون عن الصحابة، وهكذا حتى وصل الينا متواتراً، وسيكون أمره حتى آخر الدهر كذلك، ولا يضر اختلاف القراءات السبع فهي كذلك رويت متواترة عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وما عدا السبع القراءات فقد اختلف فيها.

وأول من جمعه في مصحف واحد هو الإمام علي كرم الله وجهه بعد موت الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، ثم جمع في عهد أبي بكر بعد حروب الردة وقتل الكثير من القراء فيها، ثم جمع في عهد عثمان ووزع على الأقطار الإسلامية في حينه.

الوحـــي

أمّا كيف كان يتلقى الرسول صلى الله عليه وآله وسلم الوحي بالقرآن فقد بينه الله تعالى بقوله: (وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحيا، أو من وراء حجاب، أو يرسل رسولاً فيوحي بإذنه ما يشاء إنه عليم حكيم) ٥١/ الشورى.

ويدخل في الوحي: الرؤيا الصادقة، وهي أول ما بدىء به الوحي، والنفث في الروع: أي النفس، وهو يشبه ما يسمى بالإلهام، غير أن صاحب النفث في الروع يتيقن أن مصدره من عند الله وليس كذلك الملهم، وأحيانا كان يأتيه الوحي مثل صلصلة الجرس، وكان أشده على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

هذا هو الأصل الخامس من الأصول الخمسة في نظر الزيدية ومعظم العدلية. وقد اهتمت الزيدية بهذا الأصل أكثر من غيرها، لأنه من أهم الواجبات التي ترتكز عليها قواعد الأمن والسلام للفرد وللجماعة في الأسرة وفي المجتمع، وتنبني عليها دولة الأمن والإيمان والعلم والسلام، والحق، والعدل، والحرية، والمساواة، بكل معانيها الإنسانية السليمة. لذلك فالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يعني نظرياً: التصديق بالقلب واللسان والجارحة بالمعروف، والإذعان له، والأمر به، والدعوة إليه، لكونه معروفاً، والتجنب والابتعاد عما نهانا الله عنه، والدعوة إلى تجنبه والإبتعاد عنه لكونه منكراً.

ومن لازم هذا معرفة المعروف والمنكر ليتمكن الآمر والناهي من الأمر بالمعروف ومن النهي عن المنكر بدون لبس ولا خلط، ليتميز بذلك الحق من الباطل، ولتعلو

كلمة الله، وليتم نوره ولو كره الكافرون.

أما ما يعنيه هذا الأصل من الجانب التطبيقي فهو الإيمان بوجوب نصرة الحق، وخذلان الباطل، والعمل على تحقيق العزة لله ولرسوله وللمؤمنين بالقول، أو الفعل، أو القلب وهو أضعف الإيمان، ويعني بالتالي الإيمان بوجوب حرية القول النزيه، والنقد الباني، والنصيحة المخلصة لحكام المسلمين وعامتهم، ولا فرق في هذا الواجب بين الفرد وبين الجماعة، ولا فرق في أدائه بالكلمة المسموعة أو المقروءة، أو الفعل الحازم والحاسم من أهله اذا لزم الحال لذلك لقوله تعالى: (وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما) - وهذا هو دور الكلمة النزيهة البانية - فإن بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء إلى أمر الله - وهذا هو دور الفعل الحازم والحاسم، أو كما تسميه الزيدية الخروج - الثورة - على الظالمين.

ولذلك يشترط للقيام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر خمسة شروط هي:

١ - أن يعلم الآمر والناهي حسن ما أمر به وقبح ما نهى عنه.

٢ - أن يعلم أو يظن أن لأمره أو نهيه تأثيراً.

٣ - أن يعلم أو يظن أنه إن لم يأمر أو لم ينه وقع المنكر.

٤ - أن يكون أمره أو نهيه بالحكمة والموعظة الحسنة.

٥ - ألا يخشى على نفسه أو عضو منه أو ماله المجحف إلا أن يعلم أن في أمره أو نهيه إعزازاً للدين وتقوية لشوكة المسلمين، فحينذاك يجب عليه الأمر بالمعروف أو النهي عن المنكر بالقول أو الفعل وإن أدى ذلك إلى الإضرار بنفسه أو ماله[١]، أخذا بعزيمة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لقوله تعالى: (وأمر بالمعروف وأنه عن المنكر واصبر على ما أصابك) ١٧/ لقمان، وقوله تعالى: (لعن الذين كفروا من بني إسرائيل على لسان داوود وعيسى بن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه) ٧٩/ المائدة، وقوله تعالى: (ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر) ١٠٤/ آل عمران، وقوله صلى الله عليه وآله وسلم ما من رجل يكون في قوم يعمل فيهم بالمعاصي يقدرون على أن يغيروا عليه ولا يغيرون إلا أصابهم الله منه بعذاب قبل أن يموتوا. أخرجه أبو داود عن جرير بن عبدالله.

---

(١) كما فعل أبو الأحرار والثوار السبط الإمام الحسين بن علي عليهما السلام.

ومن هذا ونحوه أخذت الزيدية مبدأ الخروج ـ الثورة ـ على الظالمين، ولا خلاف في وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إجمالاً بين جميع المسلمين. ولكنهم اختلفوا في كيفية أداء هذا الواجب، فمنهم من قال بالطرق السلمية مطلقاً[١] ومنهم من قال بالطرق الحازمة والحاسمة مطلقاً[٢] ومنهم من قال بالطرق السلمية أولاً، فإن لم تنجح ووجد من ينصره على الظالمين لسيادة الحق والعدل بين الناس فبطريقة الفعل الحازم والحاسم أي الخروج ـ الثورة ـ على الظالمين، وهذا هو رأي الزيدية لقوله تعالى: (ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة) فإن لم تنفع ووجد الناصر عملت بالحزم وأوجبت الثورة[٣] ونحاول الآن أن نفهم ماذا تعني الثورة؟ وماذا يعني التمرد والانقلاب؟ لكثرة استعمال هذه الأسماء اليوم بين الناس، وأكثرهم لا يعرفون ما تعني على الوجه الصحيح.

الثورة أو الحركة الإصلاحية هي التي تقوم على مبادىء ترتكز عليها ضمن عقيدة أو كما يقال أيديولوجية توحد الصفوف وتجمع الشمل وتدفع إلى العمل وتشمل في نفس الوقت إرادة الشعب في أهدافها ومبادئها. فإن خلت الثورة أو الحركة من مثل تلك المبادىء والأهداف الممثلة لإرادة شعوبها فهي في العرف السياسي لا تسمى ثورة. وإنما تسمى تمرداً وإنقلاباً.

والتاريخ البشري مفعم بأخبار الثورات والإنقلابات، وفي التاريخ الإسلامي الكثير منها غير أن الثورات والحركات الإصلاحية التي قام بها دعاة الإسلام وحملة رسالته في كل عصور الإسلام وفي معظم أقطار المسلمين ـ قد تميزت بأن باعثها هو الإيمان بوجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، نصرة للمظلومين، وإنقاذاً للمستضعفين، وتحقيقاً لإرادة شعوبهم ومتطلبات أممهم، من حق، وعدل، وحرية، ومساواة ضمن العقيدة الإسلامية المباركة، وعلى أرضية من المحبة الإنسانية، والأخوة الإسلامية. لذلك فثوراتهم هي الثورة بمفهومها السياسي المعاصر، وأهدافها ومبادئها، محددة وواضحة في إطار هذا الأصل ـ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

ولذلك فقد تنزهت ثوراتهم عن الأهواء والأحقاد، وعن العنصرية والعرقية، والطائفية، والقومية، والإقليمية، وغير ذلك من الشعارات الجاهلية والنعرات الترابية

---

(١) وهو رأي المرجئة لحديث عبادة بن الصامت وفيه: وأن لا تنازعوا الأمر أهله، إلا أن تروا كفرا بواحا عندكم فيه من الله برهان، متفق عليه.

(٢) وهو رأي الخليفة عمر بن الخطاب وسيأتي في بحث العدالة. ولحديث ثوبان وفيه: ثم بيد واخضراءهم وسيأتي.

(٣) لنحو حديث ثوبان الآتي في بحث واجبات الإمام ومسؤولياته.

ونحوها، كما تنزهت عن المبادىء المادية التي كثيراً ما تحلت بها الإنقلابات المغرضة والحاقدة والأحزاب الرأسمالية والإشتراكية وغيرها من الأحزاب الدائرة في فلكها، التي تتصارع اليوم على المصالح المادية وتسوق بصراعاتهاالعالم إلى الهلاك والدمار.

وقد تميزت كذلك كل الثورات والحركات الإصلاحية بكل مستوياتها، بخروجها من إطارات الفردية إلى الإطارات الجماعية للزيادة في قوتها ولضمان نجاحها، ولتطبيق أمر الله القائل: (ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر) ١٠٤/ آل عمران. وكل جماعة لا بد لها من قيادة وقد قيل:

لا يصلح الناس فوضى لاسراة لهم ولاسراة اذا جهالهم سادوا.

وكثيراً ما أرشد الله رسوله لتكوين القيادة في حضر أو سفر، وفي سلم أو حرب، وليس ذلك إلا لتقود الجماعة أو الأمة أو الأمم إلى الرشاد، وتحميها من التشتت والفساد، وهذه القيادة تسمى في لغة القرآن والسنة ـ بالإمامة والخلافة ـ وأحب أن أؤكد لأولئك الذين يقدسون هذا الإسم، أو يتشاءمون منه ومن ذكره، حتى في مجال البحث العلمي النزيه للفكر الزيدي أو الفكر الإسلامي العظيم ـ أحب أن اؤكد لأولئك جميعاً أن هذه التسمية لا تعني أي شيء من معاني التقديس والتبجيل والتعظيم الذاتي لشخص الإمام والخليفة، كما لا تعنى كذلك أي معنى من معاني الكهنوت أو الرهبوت أو الظلم أو الطاغوت، وإنما تعني الذي تعنيه اللغة العربية التي نزل القرآن بها. والعمل هو الذي يرفع الشخص أو يضعه. فالإمام في اللغة العربية هو من يؤتم به في الخير أو الشر، والضلالة أو الهدى وقد استعمل القرآن هذين المعنيين فقال في أئمة الهدى: (وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا) ٧٣/ الأنبياء، وقال في أئمة الكفر: (فقاتلوا أئمة الكفر إنهم لا أيمان لهم لعلهم ينتهون) ١٢/ التوبة.

فالتسمية إذاً لا تعني إلا ما تعنيه اللغة ولا فرق في هذا بين إسم إمام ـ خليفة ـ ملك ـ رئيس، إنما الفارق معتبر في الأنظمة وما ارتبط بها من الأسماء ذوات المفاهيم المخالفة للمفاهيم الإسلامية، بدليل قوله تعالى: (يا أيها الذين أمنوا لا تقولوا راعنا وقولوا انظرنا واسمعوا وللكافرين عذاب أليم) ١٠٤/ البقرة، وإنما نهى الله عن قول (راعنا) لأن اليهود كانوا يقولونها للنبي صلى الله عليه وآله وسلم ويقصدون بها الذم، فلما اختلف مفهومها العربي نهى الله عن التلفظ بها، وأباح لهم التلفظ بما يرادفها عند مخاطبة ومطالبة الرسول عليه وعلى آله الصلاة والسلام[1].

---

(١) وسيأتي في بحث المقارنة بين النظرية الإسلامية في نظام الحكم وبين غيرها من النظريات للأنظمة الحديثة المزيد من الإيضاح.

وهذا هو ما تفهمه الزيدية من التسمية بلفظ إمام أو غيره. وترى أنه إن كان عمل الإمام صالحاً وسلوكه إسلامياً بجلته وعظمته وانقادت له إنقياد المؤمنين لأئمة وأمراء المؤمنين تطبيقاً لقوله تعالى: (اطيعوا الله وأطيعوا الرسول واولي الأمر منكم) ٥٩/ النساء.

وإن كان فاسداً وسلوكه فسوقاً رفضته وعصته بل وحاربته وثارت عليه حتى ينعزل أو يقتل تطبيقاً لنحو قوله تعالى: (لعن الذين كفروا من بني إسرائيل على لسان داوود وعيسى ابن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون) ٧٩/ المائدة، ولما تلا الرسول هذه الآية على أصحابه وكان متكئاً جلس وقال: لا والذي نفسي بيده حتى تأخذوا على يد الظالم فتأطروه على الحق أطرا. رواه بهذا اللفظ الإمام المؤيد بالله في شرح التجريد كتاب السير (خ): وروى نحوه أحمد وأبو داود.

والحديث: استقيموا لقريش ما استقاموا لكم فإن لم يستقيموا لكم فضعوا سيوفكم على عواتقكم ثم بيدوا خضراءهم. رواه في الجامع الكافي من طريق محمد بن منصور عن ثوبان ورواه أحمد والخطيب عن ثوبان والطبراني في الكبير عن النعمان بن بشير وحسنه الحافظ السيوطي، الروض النضير ج ٥ ص ١٥، ١٦، وهو ما رآه عمر بن الخطاب كما سيأتي في بحث العدالة ونحو ذلك مما سيأتي في بحث واجبات الإمام ومسؤلياته.

من أجل هذا فليس لفظ الإمام والخليفة كهنوتا فنحذر منها، وليست بعبعا فنخافها، ولا هي في القداسة عندنا كلفظة البابا عند النصاري فنتمسك بقداستها، هي اسم للقائد الأعلى للدولة الذي يؤتم به فيها، أما صلاحه أو فساده، وبره بأمته أو عقوقه بها، فذلك راجع إلى عمله وسلوكه ومعتقده.

ولولا ذلك لما أقرت الزيدية مبدأ الخروج والثورة عليه إذا خان أو ظلم أو فسق وغير ذلك من موجبات عزله الآتي ذكرها في بحث واجبات الإمام ومسؤولياته.

صحيح أن لفظة إمام وخليفة وسلطان ونحو ذلك قد أحيطت في عصور الظلام بهالة فخمة من القداسة والتبجيل والتعظيم، لغرض أن تخضع للولاة مشاعر الناس، وتستكين لهم قلوبهم، وقد استغل هذه الهالة المستشرقون فزادوها تألقاً، وخلعوا عليها لغرض التضليل والتشويه كل معاني البابوية التي يعتقدونها في شخص البابا، بل لقد فسر الحكم الإسلامي بمفاهيم الحكم البابوي المنقرض ـ ذلك المستشرق (دافيد دي سانتيلا)

فقال في كتاب القانون والمجتمع: إن الإسلام هو دولة الله المباشرة، هو حكم الله الذي يرعى شعبه بعينه، ويكلؤه بحسن تدبيره، إلى أن يقول: وعلى هذا يكون بيت المال هو بيت الله والجند هم جند الله، والعمال هم عمال الله، إلى آخر ما ذكره في ص ٤٠٩ من الكتاب المذكور، طبعة بيروت.

واعتقد أنه لعدم الإطلاع على الفكر الزيـدي في هذا الموضوع، وربما لغرض إبعاد الناس عن هذا الفهم الخاطىء للفظة (الإمام والخليفة) قام البعض وفي مقدمتهم الأستاذ علي عبدالرزاق في كتابه (الإسلام وأصول الحكم) بالدعوة إلى فصل الخلافة عن الدين، بل لقد بالغ هذا الاستاذ فيما انساق اليه حتى أتهم الصحابة بنحو ذلك الفهم الخاطىء للخلافة والإمامة فقال: وكذلك نشأ بين المسلمين منذ الصدر الأول الزعم بأن الخلافة مقام ديني ونيابة عن صاحب الشريعة عليه السلام ص ١٠١ - الإسلام وأصول الحكم - وتناسى قول سلمان لعمر بن الخطاب: لا نسمع ولا نطيع، ولما استفسره عن السبب قال: لأن عليك ثوبين وعلى الناس ثوباً واحداً. والقصة معروفة، ولم يقل سلمان هكذا إلا لأن لفظ (الإمام والخليفة) لا تعني عنده إلا القيادة العليا للدولة الإسلامية، ولا يفهم منها من قريب ولا من بعيد أن للإمام والخليفة حق التشريع الديني كما كان للرسول، ولا أن له حق الإلغاء والنسخ للحكم الشرعي كما كان للرسول، إذا أوحي إليه بذلك.

صحيح أن له كما لكل عالم مجتهد حق الإجتهاد والإشتراع اذا كان معتمداً على الأدلة الشرعية، ومع ذلك فإجتهاده واشتراعه قابل للنقض والإبطال. وسيأتي في موضعه المزيد من التفصيل لما له أو عليه إن شاء الله.

لهذا كله فالتسمية لا ترفع أحداً ولا تضع أحداً، وإنما العمل هو الذي يرفع أو يضع وهذا هو ما أحببت التأكيد عليه. وأؤكد أن هذا البحث لا يتعدى مجاله العلمي ومع ذلك فهو يستلزم أن نذكر الإمام والإمامة والخلافة كسلطة عليا للدولة الإسلامية التي عرفها التاريخ بعد العهد النبوي الشريف مباشرة. وكان أبو بكر الصديق رضي الله عنه اول قائم بأمر هذه السلطة بعد الرسول صلى الله عليه وآله وسلم - لنعرف هل كانت هذه السلطة تشريعاً إسلاميا كسائر التشريعات الإسلامية، كما يقول علماء الإسلام؟ واتفق عليها كل أئمة المذاهب الإسلامية في كل مكان من العالم الإسلامي، وأوجب إقامتها كل عالم من علماء الإسلام، بعضهم بدليل العقل والسمع، وبعضهم

بدليل السمع، وبعضهم بدليل العقل، وقالوا: التظالم واقع ولا يتم دفعه إلا برئيس ودفع التظالم واجب عقلا فوجب إقامة رئيس لذلك.

ومن أوجبها بالشرع استدل بقوله تعالى: (إني جاعلك للناس إماماً قال: ومن ذريتي قال: لا ينال عهدي الظالمين) ١٢٤/ البقرة، فأوجبها في الصالح من ذريته ونفاها عن الظالمين منهم، وبقوله صلى الله عليه وآله وسلم: الأئمة من قريش، ونحو ذلك مما سيأتي ضمن خبر السقيفة مما يدل على أن هذه السلطة كانت تشريعاً إسلامياً، وقد ظهر أخيراً القول بأنها ليست كذلك كما يقوله المستشرقون ومن تابعهم، ووجب لذلك الرجوع إلى العهد النبوي المبارك لنعرف منه وحده الحقيقة في هذا الموضوع.

عهد النبوة

قد كان للنبوة عهد مكي: وهو عهد التأسيس للعقيدة. وعهد مدني: وهو عهد التأسيس للدولة، وتميز العهد المكي بالدعوة إلى توحيد الله تحريراً للإنسان من عبودية الأوثان والأهواء والطواغيت، وتخليصاً له من تخرصات الكهان وضلالات الأحبار والرهبان.

كما تميز بتطهير القلوب من الشرور، وتدريبها على الخير، وإرشادها إلى البر، وتوجيهها إلى الحق وإلى إله الحق الواحد الأحد الفرد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد.

وقد استمر هذا العهد ثلاثة عشر عاماً، بعدها خرج صلى الله عليه وآله وسلم مهاجراً إلى المدينة المنورة، وابتدأ هناك العهد المدني.

وفي العهد المدني خرجت الدعوة النبوية إلى منطلقها الفسيح وفيه بدأ الرسول بتأسيس الدولة، ومجتمع الدولة، حيث بدأه صلى الله عليه وآله وسلم بوضع أول قاعدة في الأساس هي المؤاخاة فدعا إليها أصحابه وقال: تآخوا في الله أخوين أخوين، وطبقها أولا على نفسه فأخذ بيد علي كرم الله وجهه وقال: هذا أخي[1].

وإذا كانت هذه البداية الطيبة تعني شيئاً فهي تعني أن الدولة الإسلامية لا تقوم على القهر والقوة، والظلم والاستبداد، وإنما تقوم على التآخي والمحبة، وما يوصل إليه

---

(١) بهجة المحافل للقاضي العامري اليمني ج ١ ـ ص ١٦٨ وقد أخرجه غير واحد من علماء الحديث راجع الروض النضير للقاضي السياغي ج ٥ ـ ص ٢٥٠، ٢٥١.

التآخي والمحبة من خير ورخاء وأمن وسلام وتقدم وازدهار.

ولا شك أن المؤاخاة من أهم القواعد التي قام عليها بناء الدولة الإسلامية العظيم، وبها انصهر المؤمنون جميعاً في بوتقة الإسلام، وارتبطوا بأقوى وأشرف رباط متين.

ثم وضع الرسول صلى الله عليه وآله وسلم القاعدة الثانية وهي قاعدة التضامن بين المواطنين ووضع أول ميثاق في ذلك اشتمل على الحقوق والواجبات لكل المواطنين مهاجرين وأنصاراً ويهودا، ولولا خيانة اليهود ونقضهم لهذا الميثاق لعاشوا في ظله أحراراً في معتقداتهم أمنين على أنفسهم وأموالهم وأعراضهم، وبعد هذا الميثاق[1] تتابع التأسيس وتواصل البناء مدة عشرة أعوام فيها أكمل كل قواعد وأسس الحقوق والواجبات لمجتمع الدولة الإسلامية وقيادتها السياسية في ظل الدستور القرآني والصحيح من السنة. وكتب التفسير والحديث، وكتب الفقه شاملة لذلك بحمد الله.

والجدير بالذكر أن مؤسس هذه الدولة الإسلامية وبانيها هو محمد الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، وإنما أسسها وبناها بأمر الله وبحسب تشريعه إذ (لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى) ٤/ النجم، لذا فالدولة الإسلامية هي جزء لا يتجزأ من الدين، ونظمها وقوانينها هي كذلك، ولها كل ما للدين مما سواها من الكمال المطلق والصلاحية العامة والإستمرارية الدائمة تصديقاً لقوله تعالى: (اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا) ٣/ المائدة، وحينئذ فلا يجوز في أي حال من الأحوال الفصل بين الدين والدولة، ولا يجوز بالتالي تبديل نظمها وقوانينها وشعاراتها بنظم وقوانين وشعارات أخرى لا تتماشى مع الدين ولا تحقق مصالح المسلمين وكل المواطنين.

ولا تصير الدولة الإسلامية بهذا المعنى دولة (ثيوقراطية) كما يزعمون لما سيأتي إن شاء الله في بحث الشورى، وقد حاول المستشرقون الحط من هذه الدولة الإسلامية والتقليل من شأنها زاعمين بأنها حكومة بدائية قامت على الحب والتقدير الشخصي لمحمد الرسول، أو على التقاليد القبلية المتعارف عليها بينهم، ولم تقم على أسس (ديمقراطية) كما تقوم عليها دول اليوم. إلى غير هذه التقولات والتخرصات.

وقد انجرف وراء هذه الأقاويل الكثير من المؤرخين المعاصرين، فمثلاً يقول سيد أمير علي في كتاب مختصر تاريخ العرب ترجمة عفيف البعلكي: لقد سبق أن أشار محمد

---

(١) ممن رواه بكامله القاضي محمد الاشخر في شرح بهجة المحافل ج١ - ص ١٦٧.

إلى أن عليا هو الذي سيخلفه من بعده، ولكنه لم يكن قد وضع قاعدة معينة للخلافة مما أفسح المجال للمطامح الشخصية، وأضرّ بالاسلام وأصبح من بعد السبب في كثير من الحروب العائلية، والانقسامات الدينية. ثم يقول: ولو ان علياً بويع بخلافة المسلمين، إذاً لحال ذلك دون نشوء تلك الإدعاءات التي أدت إلى إراقة دماء كثيرة في العالم الإسلامي.

وهذا الكلام وإن كان قد أشار إلى العلاج فقوله: ولكنه لم يضع قاعدة معينة للخلافة فيه نظر. ولا شك أن أكثر الكتاب قد انسجم مع هذا الرأي. وليس لأكثرهم من سبب إلا أنهم قد نظروا إلى الدولة النبوية الإسلامية بمنظارهم إلى الدول الديمقراطية كما يقولوا في هذا العصر، ولكي نخرج من التحامل والظنون بالمستشرقين ومن انجرف ورائهم من المؤرخين المستغربين يجدر بنا أن نقف قليلاً لنتعرف على الدولة بمفهوما المعاصر من حيث أسسها وقواعدها ومرتكزاتها ثم نقارن بينها وبين الدولة الإسلامية التي أسسها الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، فنكون بعد ذلك على علم بأفضل الدولتين وبأكملها وأشملها لمتطلبات الفرد والجماعة في الحياة الإنسانية الكريمة، ونكون على علم كذلك بأي الدولتين الأكثر تحقيقاً للأمن والإستقرار للأفراد وللجماعات على إختلاف ألوانهم وأشكالهم وهوياتهم، كما نكون على علم بأن الرسول قد أسس دولة بمفهومها المعاصر نظراً للأسس والمرتكزات.

عناصر الدولة الدستورية ومرتكزاتها

أتفق علماء القوانين الدستورية المعاصرة على أن عناصر الدولة الدستورية هي[1]:

١ ـ الشعب.

٢ ـ الإقليم.

٣ ـ السلطة التي تمارسها الدولة.

وأعتقد انه قد توفرت كل هذه العناصر في الدولة النبوية الإسلامية، أما الشعب والإقليم فواضح، وأما السلطة فصاحبها هو الرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وسلطته مستمدة من عند الله بصفته النبي والرسول، وهذا وحده كاف في أفضليته لكل وسائل وطرق الانتخابات وقوانينها، لكونه منتخباً من عند الله كانتخاب عيسى وموسى وإبراهيم وغيرهم صلوات الله وسلامه عليهم. ونوعية هذه السلطة هي: السلطة

(١) الوسيط للدكتور ادمون رباط ج ٢ ـ ص ٢٠ ـ وهو مرجع البحث الأساسي في هذا الموضوع.

الرئاسية من حيث قيامه بأعباء السلطة التنفيذية بمفهومها الحديث، ومن المعلوم أن الدول الراقية اليوم كأمريكا مثلاً لم تتوصل إلى هذا النوع من السلطات إلا بعد الإسلام بقرون كثيرة.

أما السلطة القضائية والتشريعية فهي خاضعة للقضاء والتشريع الإلهي ومارسها الرسول صلى الله عليه وآله وسلم بالنص الإلهي: (إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله) ١٠٥/ النساء، (وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا) ٧/ الحشر.

والخضوع لهذه السلطة إلزامي تنفيذاً لقوله تعالى: (فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليما) ٦٥/ النساء.

ومنها استُمِدّ مبدأ الخضوع الإلزامي لسلطة الدولة الإسلامية. وتعتبر نظرية الخضوع الإلزامي للدولة من خصائص الدولة الحديثة بمفهومها الحديث، مع أن الإسلام قد سبقها إليها بقرون. وإذا كان من البدهيات القول: بأن كل السلطات لا بد وأن تكون مستندة إلى دستور الدولة، وخاضعة له، فهو كذلك في الإسلام، غير أن الفارق المميز والمهم في نفس الوقت هو أن واضع دستور الدولة الإسلامية هو الله العليم الحكيم، وواضع دساتير الدول الأخرى هو البشر، ولذا فدستور الإسلام ثابت لا يتحول ولا يتبدل، أما غيره فهو عرضة للتحويل والتبديل تبعاً لأهواء البشر ولتبدل أحوالهم، ولا يعني هذا الركود والجمود أمام تطور الحياة وتقدم حضاراتها لأن الدستور الإسلامي قد وضع قواعد وأسس كل متطلبات الحياة وتطورها وازدهارها وحضارتها، تاركاً بعد ذلك للعقل المبدع والفكر الخلاق المجال الرحب للتطوير والتحضير في إطار تلك القواعد والأصول التي ارتفع عليها الكيان الإسلامي العظيم، وكثيراً ما دعا القرآن إلى استخدام العقل لتوحيد الله وللإستفادة مما خلق الله، ووصف الذين لا يفكرون ولا يعقلون بأنهم شر الدواب.

هذه هي السلطة النبوية في إطارها العام، وهي الأساس لسلطة خليفته من بعده وسيأتي بحثها إن شاء الله. ونواصل الكلام الآن في مرتكزات الدولة الحديثة لنفس المقارنة والترجيح، وبإجماع رجال القانون والدستور أن نظام الدولة الحديثة يرتكز على الأمور التالية:

١ ـ الشورى ـ

ونجد أن الإسلام قد سبق غيره إلى الشورى بأربعة عشر قرناً تقريباً، وجعلها الإسلام في الأمور التي لا نص فيها من كتاب ولا سنة ولا إجماع: أي جعلها في كل ما لم ينص الدستور الإسلامي عليه. أما ما فيه نص دستوري فلا شورى فيه، وهذا هو ما تجري عليه الدول الدستورية المعاصرة ما لم تنسخ النص الدستوري بنص آخر وما كان لها هذا الحق إلا لأنها واضعة دساتيرها بحسب أهوائها ونزعاتها وبذلك صار عرضة للنسخ والتبديل والتحويل وليس كذلك دستور الإسلام المتمثل في كتاب الله وسنة رسوله وفيما أجمع عليه العلماء لنزاهته عن الأهواء والنزعات....

وقد أرشد الله سبحانه رسوله إلى الشورى بقوله: (وشاورهم في الأمر) ١٥٥/ آل عمران، ومدح بها أصحابه المؤمنين بقوله: (وأمرهم شورى بينهم) ٣٨/ الشورى. لذلك كانت الشورى ركيزة من ركائز الدولة الإسلامية، وبذلك تنزهت عن صفة الدولة المستبدة ـ الدكتاتورية ـ الأتوقراطية ـ التي يستبد بالحكم فيها فرد ـ كهتلر، وموسليني مثلاً، أو حزب كما هو الحال في روسيا وأمثالها حيث تفرض فيها دكتاتورية الحزب الواحد ولا مكان لغير هذا الحزب في الشورى[١].

كما تنزهت عن صفة الدولة المتألهة ـ الثيوقراطية ـ التي يتأله فيها رئيسها كفرعون مصر قديماً، وميكادو اليابان حديثاً. أو التي يدعي فيها رئيسها بأن الله هو الذي اختاره للحكم إختياراً مباشراً كما أختار من قبله الأنبياء والرسل كما زعم ـ البابابليون ١٣ ـ واقتدى به بعض ملوك اوروبا مثل ـ لويس ١٤ ـ ١٥ وغليوم الثاني أمبراطور ألمانيا قبيل الحرب العالمية الأولى[١].

٢ ـ العدالة ـ

العدالة في الإسلام تعني: العدل المطلق حتى بين المسلم والكافر اذا رجع إلى حكم الإسلام لقوله تعالى: (وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل) ٨٥/ النساء، وقد تقدم نحو هذا في بحث ـ العدل. ولتحقيق مبدأ العدل قيدت سلطة الحاكم فلا يحكم إلا بالحق، واذا حكم بغير الحق كما أنزل الله فهو من الكافرين، وفي أية أخرى من الفاسقين، وفي ثالثة من الظالمين، ولا يجب الخضوع لحكمه، وإنما يجب الخضوع للحكم الحق: (فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم) ٨٥/ النساء، وأباح

---

(١) الموسوعة العربية مادة دكتاتور.

(٢) نفس المصدر مادة ثيوقراطية.

الدفاع والنقاش الهادف والنقد النزيه للحاكم ونحوه، وإذا لم يتوصل بذلك إلى حل مرضٍ رجع إلى الله والرسول: أي إلى كتاب الله وسنة رسول الله لقوله تعالى: فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول ٥٩/ النساء. وإذا خرج رئيس الدولة ـ الإمام ـ الخليفة ـ عن هذه التعاليم فللأمة أن تعزله، أما رأي الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه فللأمة الحق في أن تقتله، ولما رغب طلحة أن يعبر عمر بالعزل بدلاً عن القتل قال عمر: لا ـ القتل أنكل لمن بعده، كما رواه ابن الأثير ج ٥ ص ٣٠ ـ والزيدية تقر هذا الرأي ولكنها تجعله أخر العلاج كما تقدم في أول بحث الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر[١].

٣ ـ المساواة ـ

هذا المبدأ دعا إليه الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وطبقه بالعمل من قبل أربعة عشر قرناً تقريباً، وهو يعني ما تقدم في بحث الوعد والوعيد ـ نظرية الثواب والعقاب ـ أي المساواة الحقة أمام القضاء، والمساواة بين ذوي الكفاءات في الأجر وغير ذلك. وعلى الجملة فلا فضل للرجل الأبيض على الأسود لفارق اللون كما هو الحال في امريكا وجنوب افريقيا، ولا فضل لجنس على آخر لدمه أو لعرقه كما تعتقده المانيا، مع العلم أن الإسلام قد محا هذا النوع من الفوارق في أول لحظات الإسلام: (إقرأ باسم ربك الذي خلق، خلق الإنسان من علق...) الآيات الأولى من أول سورة نزلت على الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، وأكد الرسول ذلك بقوله: الناس لآدم وآدم من تراب.

ولكن هذا لا يعني أنه لا تفاضل بين الناس بصفة مطلقة، وذلك للإختلاف الظاهر فيهم وكل مختلف متفاضل، فالذكي مثلا أفضل من البليد، والقوي أفضل من الضعيف، والعالم أفضل من الجاهل. والعبقري الموهوب أفضل من غيره، والمجاهد افضل من القاعد، والمحسن افضل من المسيء، وغير ذلك كثير مما تتفق عليه اعتبارات الناس وتقييمهم للأشياء أو تختلف فيها. وهناك تفضيل راجع إلى الله وحده خلقاً وتقيياً، والغرض منه إمّا التنبيه على قدرته ووحدانيته مثل تفضيل بعض المأكولات على بعض مع إتحادها في الجنس، والنوع، والتربة التي خلقت عليها، والماء الذي سقيت به، والهواء الذي تتمتع به، يقول الله تعالى: (وفي الأرض قطع متجاورات من أعناب، وزرع، ونخيل صنوان وغير صنوان، يسقى بماء واحد، ونفضل بعضها على بعض في

(٣) راجع بحث واجبات الإمام ومسؤلياته.

الأكل، إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون) ٤/ الرعد. وإما أن يكون الغرض من التفضيل هو الإختبار والإبتلاء ليتميز من يدعي بصدق الإيمان به والتصديق بشريعته ممن يدعي ذلك كذباً ونفاقاً، ومن هذا القبيل تفضيل البيت الحرام، والحجر الأسود على غيره من البيوت والأحجار، كالعقيق، والياقوت، واللؤلؤ، وغيرها فجعله قبلة للمسلمين في أفضل عبادة من العبادات ـ الصلاة ـ والحج ـ.

ومن ذلك تفضيل آدم عليه الصلاة والسلام على كثير من خلقه، وأمر الملائكة ان تسجد له، ولما لم يتحمل إبليس هذا النوع من الإختبار فشل وعصى ربه فكان من الملعونين إلى يوم الدين. ومن ذلك تفضيل بعض الأنبياء على بعض ـ (تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض) ٢٥٣/ البقرة، وتفضيل الرسول صلى الله عليه وآله وسلم على غيره كما جاء في حديث الإصطفاء: إن الله أصطفى كنانة من بني إسماعيل واصطفى قريشاً من كنانة واصطفى بني هاشم من قريش واصطفاني من بني هاشم فأنا خيرهم نفساً ونسباً.

ومن تفضيل الاختبار والابتلاء تفضيل أهل البيت النبوي الشريف تكريماً لرسول الله لقرابتهم منه، وجعلهم بالنسبة إليه كالحمى بالنسبة إلى بيت الله الحرام لقول تعالى: (قل: لا اسألكم عليه أجراً إلا المودة في القربى) ٢٣/ الشورى، وجعل الله الأكرم عنده من هؤلاء، وأولئك هو الأتقى لله: (إن أكرمكم عند الله أتقاكم) ١٣/ الحجرات والتفاضل بين الناس المشروع منه وغير المشروع لا يمنح صاحبه عند التعامل أو التحاكم إلى الشريعة حقاً خاصاً أو زائداً على الغير، ولو كان صاحب الفضل إماما وخليفة، ولقد حضر الإمام علي كرم الله وجهه إلى قاضيه شريح شاكياً بيهودي وجد درعه عنده، ولما لم يجد الإمام الشهود على ذلك حكم القاضي لليهودي، ويقال: إن اليهودي أسلم بعد هذه الحادثة. وهذا يدل على أنه لا فارق في الإسلام بين الفاضل والمفضول أمام القوانين الشرعية ونحوها، وأنه لا يفرق بين المسلم وغيره إذا احتكموا إليه.

٤ ـ الحرية ـ

الحرية من أهم المبادىء الإسلامية العظيمة التي سعى الإسلام لتحقيقها بين العباد، وهي المظهر الحقيقي التطبيقي لنظرية توحيد الله في ذاته وصفاته كما تقدم في بحث التوحيد.

لذلك فهي أساس كل خير ورخاء في الحياة، ومنطلق كل الإتجاهات الفكرية والمادية فيها، ونجد الإسلام قد أطلقها من كل قيد إلا إذا أضرت بالآخرين، ومنحها الإنسان ليعيش حراً كما يريد ويختار، لذا فهو حر في تفكيره: (قل إنما أعظكم بواحدة أن تقوموا لله مثنى وفراداً ثم تتفكروا) ٤٦/ سبأ، وزيادة على ذلك فهو غير معاقب على تفكيره إن كان باطلاً حتى يخرج إلى حيز التطبيق صيانة للحقوق والآداب من التلاعب والإمتهان.

وهو حر في قوله ليأمر بالمعروف وينهى عن المنكر بالحكمة والموعظة الحسنة لقوله تعالى (ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون على المنكر) ١٠٤/ آل عمران، وليدافع عن نفسه إذا ظُلِمَ لقوله تعالى: (لا يحب الله الجهر بالسوء من القول إلا من ظلم) ١٤٨/ النساء. وهو حر في فعله ما لم يضر بحرية الآخرين لقوله تعالى: (فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثال ذرة شراً يره) ولقوله صلى الله عليه وآله وسلم: لا ضرر ولا ضرار.

وهو حر في عقيدته لقوله تعالى: (فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر، لا إكراه في الدين) ٢٥٦/ البقرة.

وهو حر في الدفاع عنها ولذلك وجب الجهاد، وإذا عجز عن الدفاع وجب عليه الهجرة بدينه إلى الأرض التي يأمن فيها على دينه لقوله تعالى: (إن الذين توفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم قالوا فيم كنتم قالوا: كنا مستضعفين في الأرض قالوا ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها فأولئك مأواهم جهنم وساءت مصيرا إلا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا فأولئك عسى الله أن يعفو عنهم وكان الله عفواً غفورا) ٩٧، ٩٨، ٩٩/ النساء.

أما اذا دخل في الإسلام بحريته واختياره، أو كان فيه مسلماً، فهو ملزوم بقوانينه وأحكامه التي منها عقوبة القتل للمرتد صيانة للحرية في الدين من التلاعب والاستهتار، ولأن الدين الإسلامي هو الدين الحق الخاتم لكل الديانات. ولكنه لا يقتل إلا بعد استتابته ومحاولة استصلاحه، فإن لم يتب نفذ فيه حكم المرتد وقتل حداً شرعيا وجزاء وفاقا.

أما حكم الذين لا يؤمنون بدين الاسلام فإن كانوا من أهل الكتاب، فقد ضمن لهم الإسلام حريتهم في الدين، ما لم يحاربوا، فإذا حاربوا خيروا بين ثلاثة خيارات ـ

الإسلام ـ ولهم ما للمسلمين وعليهم ما على المسلمين ـ أو الجزية ـ ولهم حريتهم في دينهم وممتلكاتهم ـ أو الحرب ـ وهو ما أختاروه لأنفسهم.

وأما حكم من لا دين له من السماء، أو الذين لا يؤمنون بأي دين من الأديان فقد أمر الله بدعائهم إلى الإسلام بالحكمة والموعظة الحسنة، فإن حاربوا بعد ذلك حوربوا لقوله تعالى: (وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين) ١٩٠/ البقرة.

أمّا من كان في شبه الجزيرة العربية بلا دين سماوي، أو بلا دين مطلقاً، فلن يقبل منه إلا الإسلام لكونه آخر الديانات السماوية الحافلة بكل المصالح للعباد ـ أو السيف لقوله تعالى: (وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين لله) ١٩٣/ البقرة، وكل ذلك حفاظاً على أمن الدعوة الإسلامية وعلى سلامتها في عقر دارها وأرضها.

هذا ما جاء به الإسلام من عناصر ومرتكزات للدولة الإسلامية التي أسسها الرسول (ﷺ) ومن الملاحظ أن الإسلام لم يقتصر على تأسيس ـ العناصر والمرتكزات السالفة الذكر، بل تعداها إلى وضع الحلول السليمة التفصيلية لأهم المشاكل الإجتماعية والاقتصادية... لقد نظم العلاقات الأسرية والعلاقات الزوجية حقوقا وواجبات وآداباً: وآيات البر بالأرحام، وبـذي العلاقة الزوجية، وطريقة الرباط المقدس بين الزوجين، وآيات النفقات، والتوارث، وآداب التعامل بينهم، والمعاشرة، كل تلك النظم معروفة وواضحة في القرآن الكريم والسنة النبوية الصحيحة.

كما نلاحظ أنه في الجنايات وفي الجرائم قد فصل العقوبات حداً أو قصاصاً كالزنا، واللواط،وشرب الخمر، والسرق، والقتل، والجروح، والسعي في الأرض بالفساد وغير ذلك.

أما الزكاة وهي مورد إقتصادي هام، ومافي الأرض من ركاز، وكنوز، ومعادن، فقد فصلها الاسلام تفصيلا، وبين مواضع صرفها والإنتفاع بها.

ووضع القواعد الأساسية للتملك والإستثمار، فحرم الربى، والإحتكار، والرشوة، ونحو ذلك، وأباح البيع والشرا، والشفعة، والهبة، والوصية، والإيجار، والمزارعة، والشركة، وغير ذلك من وسائل التملك الحلال كما هو مبين في كتب الفقه.

بل لقد وضح وبين ما يصح تملكه، ومالا يصح تملكه إمّا لعلة مانعة كالخمر، والخنزير ونحوهما، وإمّا لمصلحة جامعة كتحريم تملك الفرد، أو نحوه ـ الموارد العامة الضرورية كالماء، والكلاء. ـ مرعى الحيوان ـ والمعادن ونحوها، وإمّا لما في وسيلته من

الضرر والإضرار كالغش والربى ونحو ذلك.

وحسبنا أن نعرف أن الإسلام قد نظم إجمالا أو تفصيلا كل حياة الإنسان منذ مولده حتى مماته، وفي حياته اليومية نظمها من يقضته حتى منامه.

ومما تقدم نعرف أن كل ما في الدولة المتحضرة من مميزات ديمقراطية كما يقولون، ومن أسس كفيلة برعاية حقوق الأفراد، والجماعات، وسعادتهم في الحياة، قد جاء الإسلام بمثلها وبما هو أحسن منها، وأدق، وأكمل، من قبل وجودها في دول أوروبا، وأمريكا، وروسيا بإثني عشر قرنا تقريبا. ونعرف كذلك أن الدولة الإسلامية لم تكن دولة بدائية كما زعموا، بل إنها دولة دستورية تقدمية، ولا يصح أن يخرجها من الإطار الحضاري عدم ظهور المؤسسات والهيئات السياسية، والتنفيذية، والتشريعية، على النحو المعروف اليوم، لأن عهد النبوة لم يكن في حاجة إليها، وهو مع ذلك لم يحرم أي تنظيم - ضمن الإطار العام - يحقق أهداف الإسلام، ويوصل الخير والسعادة إلى المسلمين، ذلك لأنه دين حياتي، مرتبط بالإنسان، والحياة، وخالقها، لم يحارب أي تنظيم خيّر في الماضي، ولم يحاربه في الحاضر، كما حاربها الكهنوت في كنائس العصور الوسطى المتحجرة، حتى أضطر رجال التحرير فيهم إلى فصل الكنيسة عن الدولة، وكما حاربها نبلا القصور في أوروبا، والقياصرة في الروس، والأكاسرة في فارس، وأمثال أولئك في شتى بقاع الأرض، خوفا على عروشهم، أو صيانة لمصالحهم، وكانت النتيجة مع ذلك هو التمرد على الأديان بدون تفريق بين الحقيقي منها والكهنوتي البغيض. ثم كان هذا الواقع المادي الذي لا روح فيه، هو بالفعل حضاري ولكنه بلا أخلاق، وبلا صلة بالله، ونتائج هذا الإنفصال خطير ورهيب كما هو معروف.

وإذاً فأي الدولتين أجدى؟ وأي الإتجاهين أهدى؟ (أفمن يهدي إلى الحق أحق أن يتبع أم من لا يهدي إلا أن يهدى فمالكم كيف تحكمون) ٣٥/ يونس.

وبعد ذلك فهل يخطر بعقل عاقل أن يهمل الرسول صلى الله عليه وآله وسلم القيادة السياسية للدولة الإسلامية التي أسسها، وثبت عناصرها، ومرتكزاتها، فلم يضع قاعدة معينة للخلافة كما زعموا، مع العلم أن القيادة بالنسبة للدولة كالرأس من الجسد، وكالقلب من سائر الأعضاء والجوارح. أيهمل القيادة والرئاسة للدولة، ولا يتكلم عنها بنفي ولا إثبات؟ أيهملها ويتركها نهبا لأصحاب المطامع، والمطامح، والأهواء ولشهوات أصحاب القوة والفساد في الأرض؟ فتعود بذلك بعد موته الجاهلية، وعبادة

الطواغيت، بعد أن عانا وأصحابه ما عانوا من متاعب، ومشقات، وما قدموه من تضحيات جدّ غالية وعزيزة للخلاص من أوبائها وتحرير العباد من فحشائها؟ أيتركها لتكون سببا لإراقة الدماء وإزهاق الأرواح؟ وهو المرسل رحمة لانقمة للعالمين، ونورا وهدى للحائرين والضالين. حاشاه حاشاه لقد وضع لأمته وبوحي من ربه العليم الخبير كل قواعد وأسس الحياة الإنسانية بمجالاتها الواسعة، ولم يهمل حتى أداب الأكل والشرب ولبس النعال، وحتى أداب التبول والتبرز، ووضح لأمته معالم الحياة الرفيعة الراقية وفي مقدمتها الحياة السياسية، ورأسها المفكر وقلبها النابض هو القيادة المعروفة في لغة القرآن والسنة بإسم ـ الإمامة والخلافة ـ والملك والسلطان ـ وبذلك نزلت البشرى من عالم الغيب والشهادة بإكمال الدين، وإتمام النعمة، والرضى بالإسلام، قال تعالى: (اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا) ٣/ المائدة، وقبل أن نتتبع ذلك في الكتاب والسنة نقف قليلاً على سقيفة بني ساعدة لننظر ماذا عمل الصحابة فيها بعد موته صلى الله عليه وآله وسلم وفي أول عهد الخلفاء الراشدين.

خبر السقيفة

مات رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بعد أن ترك لأمته ذلك التراث الإسلامي الإنساني العظيم، وتلكم الدولة الإسلامية المثالية الرفيعة البنيان الشامخة الأركان، التي حققت للإنسان حقوقه الإنسانية في الحياة على أساس الحق والعدل والحرية والمساواة، وانضواء الشعوب الفارسية والرومانية تحت علمها أكبر برهان على عظم المعطيات الإنسانية التي حملته إليهم ضمن ما حملته من خير ورخاء وأمن وإستقرار ومبادىء إنسانية رفيعة ـ خلا أن شيئاً واحداً هو الذي كدر سعادة الأمن والاسقرار... ابتداء بالعاصمة الأولى ـ المدينة المنورة ـ ثم في سائر حواضرها وبواديها، هذا الشيء هو الخلاف على السلطة ـ الخلافة ـ الإمامة ـ التي تنازع عليها قبل دفن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ـ بعض الصحابة من الأنصار بزعامة سعد بن عبادة الخزرجي، وثلاثة فقط من المهاجرين هم أبو بكر، وعمر وأبو عبيدة بن الجراح في سقيفة بني ساعدة. وقد رواها المحدثون والمؤرخون، وسوف أذكرها باختصار لا إخلال فيه بحول الله تعالى.

قالوا: إن الصحابة رضوان الله عليهم أصيبوا بموت رسول الله بفاجعة أذهلت

عقولهم وأفقدت الكثير منهم القدرة على التفكير والتذكر، ومن هؤلاء عمر بن الخطاب الذي جعل يحلف بالله أن رسول الله لم يمت، وإنما ذهب إلى ربه كما ذهب موسى عليه السلام ثم رجع، ثم قال: والله ليرجعن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فليقطعن أيدي رجال وأرجلهم يزعمون أن رسول الله مات. وأقبل أبو بكر رضي الله عنه ولما تحقق موت الرسول صلى الله عليه وآله وسلم خرج إلى المسجد وأمر عمر ابن الخطاب أن يسكت ثم قال: ألا إن من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات، ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت، وتلا عليهم قوله تعالى: (وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم؟ ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئاً وسيجزي الله الشاكرين) ١٤٤/ آل عمران، فتذكر الناس الذين أذهلتهم الفاجعة هذه الآية من القرآن وتأكدوا أن رسول الله قد مات[١] وتفرقوا وهم يبكون.

وإجتمع البعض من الأنصار في سقيفة بني ساعدة برئاسة سعد بن عبادة، وبعد أن حمد الله وأثنى عليه قال: إن لكم سابقة إلى الدين، وفضيلة في الإسلام ليست لقبيلة من العرب، إن رسول الله لبث في قومه بضع عشرة سنة يدعوهم إلى عبادة الرحمن، وخلع الأوثان، فما أمن من قومه إلا القليل، والله ما كانوا يقدرون أن يمنعوا رسول الله. ولا يعزوا دينه ولا يدفعوا عنه عداة، حتى أراد الله بكم خير الفضيلة، وساق إليكم الكرامة، وخصكم بدينه، ورزقكم الايمان به وبرسوله، والاعزاز لدينه، والجهاد لأعدائه، فكنتم اشد الناس على من تخلف عنه منكم،وأثقله على عدوه من غيركم، حتى استقاموا لأمر الله طوعا وكرها، وأعطى البعيد المقادة صاغراً داحضاً حتى أنجز الله لنبيكم الوعد، ودانت لأسيافكم العرب، ثم توفاه الله تعالى وهو عنكم راض وبكم قرير عين، فشدوا أيديكم بهذا الأمر، فإنكم أحق الناس وأولاهم به.

فأجابوا جميعاً أن وفقت في الرأي، وأصبت في القول، ولن نعدو ما أمرت، نوليك هذا الأمر فأنت لنا مقنع، ولصالح المؤمنين رضا[٢]. ثم تدارسوا موقف المهاجرين، وعرض لهم سؤال وهو: فإن أبت مهاجرة قريش فقالوا: نحن المهاجرون، وأصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الأولون، ونحن عشيرته وأولياؤه، فعلام تنازعوننا هذا الأمر من بعده؟ فاقترحت طائفة من المجتمعين حلاً وقالوا: نقول: منا

---

(١) جامع الأصول لابن الأثير ج ص ٤٧٠ والطبري ج ٢ ص ٤٤٢ -

(٢) شرح النهج عن كتاب السقيفة للجوهري ج ٦ ص ٥ و ٦ -.

أمير ومنهم أمير، فقال سعد: هذا أول الوهن[1]. وفيما هم في هذا الحوار والنقاش كان قد ذهب إلى المهاجرين معن بين عدي، وعويم بن ساعده الأنصاريان، فاتفقا بعمر بن الخطاب، وأخبراه الخبر، فهب عمر مسرعاً وطلب أبا بكر من منزل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأخبره الخبر، فمضيا مسرعين نحو السقيفة فلقيا أبا عبيدة بن الجراح فأخذاه معهما إلى السقيفة، فجاء الثلاثة وذلك البعض من الأنصار في اجتماعهم، فتكلم أبو بكر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: إن الله جل ثناؤه بعث محمدا بالهدى ودين الحق فدعا إلى الإسلام فأخذ الله بقلوبنا ونواصينا إلى ما دعانا إليه، وكنا معاشر المهاجرين أول الناس إسلاماً، ونحن عشيرة النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وأوسط العرب أنساباً، ثم أثنى على الأنصار لنصرتهم إلى أن قال: وأنتم أحق الناس بالرضا بقضاء الله، والتسليم لما ساق الله إلى إخوانكم من المهاجرين، وأحق الناس ألا تحسدوهم فأنتم المؤثرون على أنفسهم حين الخصاصة. فأجابت الأنصار، وبعد أن تبرؤوا من الحسد وضعوا حلاً يقضي بالتناوب في الحكم: فلو جعلتم اليوم رجلاً منكم على أنه إذا هلك أخترنا واحداً من الأنصار وهكذا ما بقيت أمة الإسلام[2] ولكن هذا الحل لم يقبل إطلاقاً وتكلم أبو بكر ومما قال محتجاً على أحقية المهاجرين بأمر الخلافة والإمامة: فهم أول من عبدالله في الأرض، وهم أول من أمن برسول الله، وهم أولياؤه وعشيرته، وأحق الناس بالأمر من بعده لا ينازعهم إلا ظالم، وليس لأحد بعد المهاجرين فضل وقدم في الإسلام مثلكم، ثم وضع حلا وقال: فنحن الأمراء، وأنتم الوزراء، لا نفتات دونكم بمشورة ولا نقضي دونكم الأمور.

فعارضه الحباب بن المنذر بن الجموح وقال: يا معشر الأنصار املكوا عليكم أيديكم، إنما الناس في فيئكم وظلكم، ولن يجتريء مجترىء على خلافكم، ولا يصدر الناس إلا عن أمركم، ثم عدد الحجج والأدلة فقال: أنتم أهل الإيواء، والنصرة، وإليكم كانت الهجرة، وأنتم أصحاب الدار والإيمان، والله ما عبدالله علانية إلاّ عندكم وفي بلادكم، ولا جمعت الصلاة إلا في مساجدكم ولا عرف الايمان إلا من أسيافكم، فاملكوا عليكم أمركم، فإن أبى هؤلاء فمنا أمير ومنهم أمير، فاعترض هذا الحل عمر بن الخطاب وقال: هيهات لا يجتمع سيفان في غمد، إن العرب لا ترضى أن تؤمركم ونبيها من غيركم، وليس تمنع العرب أن تولي أمرها من كانت النبوة فيهم وأولوا الأمر

---

(١) شرح النهج ج ٦ ص ٧ ـ
(٢) نفس المصدر ـ

البخاري في صحيحه كما حكاه ابن الأثير في جامع الأصول ج ٤ - ص ٤٧٦ - ولفظه إنه بلغني أن قائلا منكم يقول: والله لو مات عمر بايعت فلاناً. فلا يغتر أمرؤ أن يقول: إنما كانت بيعة أبي بكر فلتة وتمت، ألا وإنها قد كانت كذلك ولكن الله وقى شرها، وليس فيكم من تقطع إليه الأعناق مثل أبي بكر، ثم حذر من مثل تلك البيعة فقال: من بايع رجلا عن غير مشورة من المسلمين فلا يبايع هو ولا الذي بايعه تغرة أن يقتلا.

رأي بشير بن سعد الخزرجي الأنصاري رحمه الله[1] يؤكد رأي عمر بن الخطاب حيث قال للإمام علي كرم الله وجهه: لو كان هذا الكلام سمعته منك الأنصار قبل بيعتهم لأبي بكر ما اختلف عليك إثنان ولكنهم قد بايعوا.

قال بشير هذا الكلام بعد أن استمع إلى حجة الإمام علي كرم الله وجهه في رده على أبي عبيدة ابن الجراح الذي طلب منه البيعة لأبي بكر لكونه الأكبر سناً، فقال له الإمام علي كرم الله وجهه: يا معشر المهاجرين، الله الله - لا تخرجوا سلطان محمد عن داره - وبيته إلى بيوتكم ودوركم، ولا تدفعوا أهله عن مقامه في الناس وحقه، فوالله يا معشر المهاجرين لنحن أهل البيت أحق بهذا الأمر منكم، ما كان منا القارىء لكتاب الله، الفقيه في دين الله، العالم بالسنة، المضطلع بأمر الرعية، المدافع عنهم الأمور السيئة، القاسم بينهم بالسوية، فلا تتبعوا الهوى فتزدادوا من الحق بعدا.

رأي أبي ذر الغفاري رحمه الله[2]: وكان وقت البيعة غائباً ولما جاء قال: أصبتم قناعة وتركتم قرابة، لو جعلتم الأمر في أهل بيت نبيكم لما اختلف عليكم اثنان.

رأي سلمان الفارسي رحمه الله[3]. أصبتم ذا السن وأخطأتم المعدن أما لو جعلتموها فيهم ما اختلف منكم اثنان ولأكلتموها رغدا.

وقد روى الزبير بن بكار في الموفقيات وحكاه عنه ابن أبي الحديد في شرح النهج: أن عامة المهاجرين وجل الأنصار كانوا لا يشكون أن علياً هو صاحب الأمر.

وروى الجوهري في كتابه السقيفة وحكاه عنه ابن أبي الحديد أيضاً: أن سلمان والزبير وبعض الأنصار كان هواهم أن يبايعوا علياً.

---

(١) ابن قتيبة في الإمامة والسياسة ص ١٢ - شرح النهج ج ٦ ص ١٢ -
(٢) شرح النهج ج ٦ ص ١٣ -
(٣) نفس المصدر ص ٤٣ -

وروى الزبير بن بكار وحكاه عنه ابن أبي الحديد ج ٦ ص ٢٣ ـ أنه لما بويع أبو بكر واستقر أمره ندم قوم كثير من الأنصار على بيعته ولام بعضهم بعضاً وهتفوا باسم الإمام علي كرم الله وجهه ولكنه لم يوافقهم.

وروى الجوهري كما حكاه ابن أبي الحديد ج ٦ ص ٤٣ ـ أن أبا بكر وعمر بن الخطاب كان من رأيهما مبايعة الإمام علي كرم الله وجهه، ولكن المغيرة بن شعبة قال لهم: أتريدون أن تنتظروا حبل الحبله من أهل هذا البيت؟ وسعوها في قريش تتسع.

أما أبو سفيان بن حرب فقد غضب كل الغضب وجاء إلى علي كرم الله وجهه وقال: ما بال هذا الأمر في أقل حي من قريش؟ والله لئن شئت لأملأنها عليه خيلا ورجالا.

فرد الإمام علي كرم الله وجهه وقال له: إنك تريد أمراً لسنا من أصحابه وفي رواية الطبري: ما أردت بهذا إلا الفتنة، ثم قال: وقد عهد إليّ رسول الله عهداً فإنّا عليه[1]. أما سعد بن عبادة فقد ذكر حديثاً يوجب ولاية علي كرم الله وجهه ولما سمعه ابنه قيس قال له: أنت سمعت رسول الله يقول هذا الكلام في علي بن أبي طالب ثم تطلب الخلافة ويقول أصحابك منا أمير ومنهم أمير. لا كلمتك بعد هذا كلمة أبداً[2].

وقد توقف عن مبايعة أبي بكر خالد بن سعيد بن العاص وبعد سنة مر أبو بكر وهو جالس على بابه فناداه خالد: يا أبا بكر هل لك في البيعة؟ قال: نعم. قال خالد: فادن. فدنا أبو بكر منه فبايعه خالد وهو قاعد على بابه[3].

وهذا إلى جانب خلافات عنصرية وعصبيات قومية حاول اثارتها أمثال الوليد بن عقبة، وعكرمة بن أبي جهل، وعمرو بن العاص، ولكن العقلاء من الفريقين المهاجرين والأنصار كانوا يدفنون شرارتها قبل الاشتعال.

وفي الأخير خطب الإمام علي كرم الله وجهه في قريش وقال: يا معشر قريش إن حب الأنصار إيمان وبغضهم نفاق، وقد قضوا ما عليهم، وبقي ما عليكم، فاتقوا الله وارعوا حقهم فوالله لو زالوا لَزُلْت معهم لأن رسول الله قال لهم: أزول معكم حيث زلتم[4].

---

(١) الطبري ج ٢ ص ٤٤٩ شرح النهج ج ٦ ص ١٨ -

(٢) شرح النهج ج ٦ ص ٤٤ -

(٣) نفس المصدر ص ٤١ -

(٤) نفس المصدر ص ٣٤ ـ ٣٦ وحديث حب الأنصار إيمان وبغضهم نفاق متفق عليه.

وبعد هذه الخطبة لم يسمع الأنصار سوءاً. وانقادوا جميعاً للواقع.

ويظهر من تتبع أخبار مؤتمر السقيفة هذا: أن معظم أعضائه كانوا من الأنصار ولم يحضره من المهاجرين إلا ثلاثة أشخاص هم أبو بكر، وعمر بن الخطاب، وأبو عبيدة بن الجراح، وقد تركزت حجة المهاجرين على أربعة أشياء هي:

١ - التشريع الإسلامي لقول أبي بكر: وأنتم أحق الناس بالرضا بقضاء الله... الخ.
٢ - السبق إلى الإسلام لقول أبي بكر: نحن أول الناس إسلاماً.
٣ - القرابة من الرسول (ﷺ) لقول أبي بكر وعمر: نحن أولياؤه وعشيرته.
٤ - المكانة الإجتماعية لقول أبي بكر وعمر: وأوسط العرب أنساباً.

وتركزت حجة الأنصار على ثلاثة أشياء هي:

١ - الإيمان. ٢ - النصرة. ٣ - لكونهم اهل دار الهجرة.

كما نص عليها سعد بن عبادة والحباب، وأكثر أعضاء الأنصار قد أيدوا حجة المهاجرين في هذا المؤتمر، ولذلك، ولمحاولة الحسم السريع للخلاف الحاد الذي ظهر بين عمر والحباب، ولخشية تصدع وحدة المسلمين - سارع البعض لمبايعة أبي بكر في السقيفة نفسها، وهذا هو ما أشار إليه عمر بن الخطاب في منبريته الشهيرة: إنما كانت بيعة أبي بكر فلتة. ألا وإنها كذلك ولكن الله وقى شرها. ولما طلب الإمام علي كرم الله وجهه ومن إليه من بني هاشم للمبايعة احتج الإمام علي كرم الله وجهه على المهاجرين بما فيهم أبي بكر بنفس الحجة التي احتجوا بها على الأنصار وبها غلبوا... وهي:

١ - السبق.
٢ - القرابة من الرسول.
٣ - المكانة الإجتماعية.
٤ - التشريع الإسلامي.

وزاد شروطاً على نفسه وعلى غيره من أهل البيت النبوي الشريف وهي:

١ - القارىء لكتاب الله.
٢ - الفقيه في دين الله.
٣ - العالم بالسنة.
٤ - المضطلع بأمر الرعية.

٥ ـ المدافع عنهم الأمور السيئة.
٦ ـ القاسم بينهم بالسوية.

وهنا لا بد أن نتساءل عن الأسباب التي دفعت أولاً أبا بكر وعمر إلى مثل ذلك الاحتجاج أهي العصبية والعنصرية والعرقية كما يقول المغرضون؟. أم هي الإتباع للسنة النبوية والتشريع الإسلامي والخيرة الربانية كما يقول تعالى: (يخلق ما يشاء ويختار) ٦٨/ القصص، قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء ٢٦/ آل عمران، كل مؤمن ينزه أبا بكر وعمر كما ينزه علياً وكل الصحابة الراشدين من النزوع إلى العصبية الجاهلية وهم الذين حاربوها بدمائهم وأموالهم في مكة، وفي بدر، وفي أُحد، وفي الخندق، وفي حنين وغير ذلك، ولكنهم تمسكوا بالتشريع الإسلامي لرئاسة الدولة والذي عبر عنه الرسول صلى الله عليه وآله وسلم بقوله: الأئمة من قريش، وفي بعض الروايات عن علي كرم الله وجهه زيادة في هذا البطن من هاشم، ويؤيده حديث الإصطفا المشهور وبقوله صلى الله عليه وآله وسلم: قريش ولاة هذا الأمر، وحديث: لا يزال هذا الأمر في قريش ما بقي منهم اثنان، وغير ذلك مما رواه البخاري ومسلم وغيرهما.

وتمسك الإمام علي كرم الله وجهه بمثل حديث الغدير: من كنت مولاه فعلي مولاه.

وحديث الثقلين المشهور: إني تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا من بعدي أبداً ـ كتاب الله... وعترتي... كما تمسك بغير ذلك من الأحاديث المبيِّنة لمجملات الأحاديث في قريش.

كما تمسك بمثل قوله تعالى: (إني جاعلك للناس إماما. قال: ومن ذريتي. قال: لا ينال عهدي الظالمين) ١٢٤ البقرة، فنفاها عن الظالم وأثبتها لمن سواه.

وبمثل قوله تعالى: (وأولو الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله من المؤمنين والمهاجرين) ٦/ الأحزاب.

وبمثل قوله تعالى: (والسابقون السابقون أولئك المقربون في جنات النعيم) ١٠/ الواقعة. فهذا والكثير من أمثاله من أدلة التشريع لرئاسة الدولة ـ الإمامة والخلافة ـ هو الذي دفع علياً وأبا بكر وعمر والصحابة الراشدين إلى الاحتجاج بالقرابة والنسب.

ومن الملاحظ أنهم قد أرسلوا هذه الحجج إرسال المسلمات لوضوحها في نظر الجميع، ولذا فلم يطالبهم المعارضون في البداية بنصوص الأحاديث النبوية المستندين

إليها، ولكنهم عارضوها بحجج أخرى وأرسلوها إرسال المسلمات.

وهذا هو أسلوب الحوار والنقاش بين العلماء حين الاختلاف في تعيين حكم مّا لوضوح دليله عندهم وما كان إختلافهم إلا في التفسير والتأويل لكون الدليل عاما أو مجملاً أو مطلقاً أو مشتركاً. ولهذا فمن باب المجادلة والعناد الإستدلال بعدم ذكر الصحابة يوم السقيفة للأحاديث في الإمامة والخلافة وأنها في قريش أو أنها في أهل البيت النبوي الشريف ـ الإستدلال بذلك على أن الرسول قد ترك الأمر شورى ولم يعين أحداً ولم يبين شيئاً في أخطر أمور الإسلام وأهمها.

سبحان الله، أيترك الناس فوضى لا سراة لهم؟ أيعلمهم كل شيء حتى التبول والتبرز ويترك أهم شيء هو القيادة والرئاسة؟ ولو كان الأمر كذلك فلم لم يقتد به أبو بكر وعمر؟ فعين لها الأول عمر بن الخطاب ورشح لها عمر ستة أشخاص من المهاجرين القرشيين فقط. سبحان الله، أيكون سبباً في إراقة الدماء، من بعد موته وإلى ما شاء الله من الوقت من أجل الوصول إلى هذا المنصب القيادي السياسي العظيم ـ أهذا من إكمال الدين وإتمام النعمة؟ أفصل محمد صلى الله عليه وآله وسلم بين الدين والدولة وقال: ما لقيصر لقيصر وما لله لله؟ اللهم إن هذا لبهتان عظيم. وخلاف لما أجمع عليه الصحابة، وخلاف لما أجمعت عليه أئمة المذاهب الإسلامية كلها وعلماء الإسلام الأجلاء كلهم، وإذا كان قد أجاز بعضهم ولاية المتغلب مادام متمسكا بالدين محافظا عليه مجاهدا في سبيله فهو مشروط عندهم بعدم وجود الصالح لذلك المنصب العظيم ترجيحاً لمصلحة حقن دماء المسلمين ومحافظة على وحدتهم.

وتحسن الإشارة هنا إلى أن الإمامة بمفهومها الإسلامي في نظر الزيدية لا تكون بالفرض على الأمة والقهر لإرادتهم وإختيارهم فتكون كولاية المتغلب؛ وإنما تكون بالرضى ومبايعة رجال الحل والعقد، كما سيأتي بيانه إن شاء الله، وذلك لأن الإمامة لا تعني السلطة لغرض التسلط في الحكم وفرض الإمامة بالقوة، وإنما تعني السلطة لما تعنيه من القيام بالواجبات والتحمل للمسؤوليات بعد المبايعة الحرة كما يأتي بيانه، وبهذا المفهوم كانت مطالبة الإمام علي كرم الله وجهه ومن تبعه من الأئمة الهداة بالأحقية بهذه السلطة ـ الإمامة ـ ولو أراد السلطة للتسلط في الحكم لأثارها حرباً شعواء على أبي بكر، ولو فعل للبته بنو عبد مناف ومنهم بنو أمية وللبته الجموع الكثيرة من المهاجرين والأنصار ولفاز على أبي بكر حتماً، ولكنه لو فعل لاستغل ذلك المنافقون والفاسقون فأثاروا النعرات الجاهلية وأهواءها ومطامعها ولربما قضوا بذلك

على الإسلام في أوائل عهوده بعد الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، وقد صانه الله من ذلك وصبر ونصح لأبي بكر وللأمة جمعاء. وهذا هو عين ما فعله صلوات الله عليه، لما جاءته الفرصة بواسطة عبدالرحمن بن عوف حيث دعـاه للمبـايعـة على أن يسير في الناس بكتاب الله وسنة رسول الله وبسيرة الشيخين أبي بكر وعمر. فرفض أن تكـون سيرة الشيخين من ضمن ما يبايع عليه، لا لشيء وإنما لأن الشيخين لم يكونا ممن أمـر الله باتباع شريعتهما وأرائهما، ولإعتقاده أن لكلٍ اجتهاده فيما لا نص فيه من كتاب أو سنة. ولما عرض عبدالرحمن هذا الشرط على عثمان قبله ولكنه لم يتمكن بعد ذلك من السير بسيرتهما كما هو معروف ومشهور. وبعد أن تولى الإمام علي كرم الله وجهه عُرِض عليه أن يبقي العمال الظلمة حتى يتمكن من فرض سيطرته على ولاياتهم، فرفض هذا العرض والمجاملة السياسة واعتبرها خيانة للإسلام وللمسلمين، وسارع في عزلهم وفي مقدمتهم ولاة بني أمية.

فسلطة الإمامة في نظر الزيدية لا تعني التسلط والفرض والوصول إلى الحكم بأي ثمن كان... وإنما تعني القيام بالواجبات والتحمل للمسؤوليات في كل مجالات حياة الأمة وأحوالها بعد المبايعة الحرة كما تقدم. ولقد زعم بعض المستشرقين والمستغربين ومن وافقهم بأن اشتراط النسب غير صحيح وأنكر الأدلة عليه من الكتاب والسنة واستدلوا بما سبق. وأغرق البعض الآخر وحسب إشتراط ذلك من باب العصبية القومية والعرقية المقيتة في حين أنه لا يرى من العصبية ولا من العرقية اشتراط النسب في الملكية البريطانية مثلا وتوارثها الملك حتى لو كان الوارث إمرأة كما هو الحال اليوم، وزعم أن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ترك الأمر شورى بين المسلمين، مع العلم أن الشورى لم تطبق في اختيار الخليفة الأول أبي بكر، ولا كان بالشورى اختيار الخليفة عمر بن الخطاب، ولا تعتبر من الشورى اختيار عثمان بن عفان بواسطة الستة الأشخاص القرشيين المعينين من قبل عمر، ولم تطبق الشورى بأي مفهوم من مفاهيمها اليوم ولا غير اليوم في عهد بني أمية، ولا في عهد بني العباس ولا غيرهم، وقد كان الحكم مع ذلك باسم الإمامة والخلافة ـ واستمر الحكم باسمها حتى ألغاه مصطفى كمال أتاتورك زعيم تركيا، وإنما الغاه تنفيذاً لشروط (كرزن) البريطاني التي أملاها عليه بواسطة (عصمت أنينو) في ظروف حربية قاهرة كانت بين تركيا وبين بريطانيا وحلفائها، وقد نصت هذه الشروط على ما يلي:

١ ـ إلغاء الخلافة الإسلامية نهائياً في تركيا.

٢ ـ أن تقطع تركيا كل صلة مع النشاطات الإسلامية.
٣ ـ أن تضمن تركيا تجميد وشل حركة جميع العناصر الإسلامية الباقية في تركيا.
٤ ـ أن يستبدل الدستور العثماني القائم على الإسلام بدستور مدني بحت[١].

وتنفيذاً لهذه الشروط ألغى الزعيم التركي الخلافة الإسلامية وأعلنها جمهورية، ومن حينه ظهر الحكم الجمهوري بين المسلمين.

واستحسن البعض هذا المولود الجديد بصفته النظام الحديث، ولكي نعرف صحة هذه النظرية وقوة رجحانها على النظرية الإسلامية نرجع إلى المقارنة والموازنة لنكون على علم بما نأتي وبما نذر، وها هي أمام أعيننا نظم الآخرين، ونظم الإسلام. فلنقارن بينها بحول الله.

إن نظم الحكم في العالم لا يخرج معظمها عن كونها ـ ملكية، أو جمهورية ـ برلمانية، أو رئاسية، وجعل في البلدان الأجنبية مصدر سلطات النظام هو: الشعب، تطبيقاً للقاعدة الإغريقية الأصل ـ حكم الشعب للشعب ـ الديمقراطية، ولكن هذه القاعدة قد تطورت مفاهيمها، فبينما كانت تعني عند الإغريقيين: حكم المواطنين الاحرار لمن سواهم: ويقسم (أرسطو) الفيلسوف اليوناني الشعب إلى أحرار وهم المواطنون الذين يحكمون، ومن لا يحكم هم العبيد، ويعيد هذا التقسيم إلى الطبيعة ويقول: إن الطبيعة التي ترمي إلى البقاء هي التي خلقت بعض الكائنات للإمرة وبعضها للطاعة، ثم يدلل على هذا بخلق الإنسان من نفس ومن جسد ويقول: إن النفس بطبيعتها هي الأمرة وعلى الجسم الطاعة لكونه مخلوقاً بطبيعته لذلك. وقد حذا حذو أرسطو من فلاسفة المسلمين الفارابي، وابن سينا في مدينته الفاضلة. ولكن هذه فلسفة ركيكة لإلغائها كل القيم الإنسانية والمواهب الربانية والخصائص التي تميز بها الإنسان عما سواه. واستمر هذا المفهوم للقاعدة الإغريقية (حكم الشعب للشعب) في دول أوروبا وغيرها من الدول غير الإسلامية حتى عهد الثورة الفرنسية، وبعدها أصبحت تعني في الثورة الفرنسية، وعهد الدستور الأمريكي ـ المساواة لجميع المواطنين في الحقوق السياسية ـ ومنها حق إنتخاب الرئيس ـ والحقوق الإجتماعية والإقتصادية، وتعني بالتالي تخويل الرقابة للأمة على الحكومة عن طريق الهيئة النيابية التي يشترك في انتخابها كل البالغين من أفراد الشعب، وجعلوا لهذه الهيئة حق التشريع والتقنين.

وفي هذا المفهوم تشترك معظم النظم البرلمانية، والرئاسية الدستورية في العالم،

(١) المخططات الاستعمارية للعلامة محمد الصواف ص ١٧٤ ـ

وتختلف فقط في أن النظم البرلمانية تجعل كل السلطات التنفيذية في يد مجلس الوزراء المسؤول أمام البرلمان الممثل للشعب لاستمداده السلطة منه، وما وجود الملك أ الرئيس إلا وجوداً شكلياً ليس غير. وعلى العكس النظم الرئاسية حيث تجعل كل السلطات التنفيذية في يد الرئيس للدولة وهو لذلك المسؤول أمام المجلس النيابي الممثل للشعب لاستمداده السلطة منه.

وتختلف الدول الجمهورية الرأسمالية عن الدول الجمهورية الاشتراكية ـ في أن الدول الاشتراكية إنما تجعل حق المساواة لأبناء الحزب الإشتراكي وحدهم. ولذا فلا يرفع إلى مركز الرئاسة للجمهورية أو الرئاسة للوزراء أو نحوها من المراكز السياسية الحساسة للدولة إلا من كان إشتراكياً بلا شبهة فيه. كما أن السيادة الشعبية لا تعني لديها تخويل أي أحد حق النقد أو الاعتراض المسيء إلى الفكرة الاشتراكية، ولذا فالحرية الفكرية والقولية محدودة ومغلولة في البلدان الإشتراكية كلها.

ونجد أن ما منح الفرد من حقوق طبيعية ما تزال ناقصة وقاصرة عن تحقيق طموحاته في الحياة الحرة الكريمة، ومثلاً على ذلك مبدأ الحرية، فهذا المبدأ العظيم قد استهدفه أعداء الحرية فحرفوه وسخروه لتحقيق أغراضهم ومطامعهم.

فحرية القول مثلاً قيدوها بما لم يخالف رأي الحاكمين ونظرياتهم في الحياة والأحياء وإن كانت خطأ وضلالا، وفي روسيا وأمثالها المثل الكامل لذلك. وقيدها البعض الآخر بما لا يمس السلطة ومصالحها وأطلقها فيما سوى ذلك، وفي دول الرأسمالية المثل المجسد لذلك.

وحرية العمل أصبحت تحت رحمة أصحاب السلطة وأصحاب المال وخاضعة لمخططاتهم السياسية والمالية.

والحرية الشخصية قد استهدفت امتهان كرامة المرأة والرجل على السواء.

ولم تحرر المرأة كما حررها الإسلام وإنما دفعوها إلى الميادين ولم يصونوها من الشياطين. وبالرغم من ذلك فلم تنل معظم حقوقها في البلدان المتحضرة اليوم إلا قبل أربعين عاماً تقريباً من عام كتابة هذا وهو سنة ١٣٩٨هـ[1].

---

(١) منح القانون الفرنسي لسنة ١٩٣٨ م ـ المرأة المتزوجة حق التصرف مع كثير من القيود في مالها بعد أن كانت محرومة منه. وقد سبقتها المرأة المسلمة إلى الحرية الكاملة في التصرف بمالها ـ بنحو أربعة عشر قرناً. عن كتاب روح الدين الإسلامي ط ـ ص ٣٧٣ وفي سنة ١٩٤٨م أقرت الجمعية العامة للأمم المتحدة إعلان حقوق الإنسان وأعلنته.

وهكذا أصبحت كل الحريات مذبوحة بشفار وسكاكين الشعارات المرفوعة من قبل أعدائها.

أما النظم الديمقراطية المتعلقة بطريقة اختيار الرئيس وانتخابه، فنظامها الملكي واضح.

أما الجمهوري فقد انقسم إلى قسمين فالاشتراكيون لا يسمحون بالرئاسة إلا أن تكون منهم ومن حزبهم ولذلك اقتصر الاختيار والإنتخاب على الحزب نفسه.

أما الرأسماليون فبالرغم من أنهم قد تركوا الرئاسة عائمة بين الجماهير، إلا أنهم قد تداركوا أخطار هذا التعويم على مصالح مراكز القوى فيها بالنفقات المالية الطائلة في مجال الدعاية، والمخادعة بالعناوين، والمزايدة بالشعارات، ولذلك فالأكثر قوة ومالا والأكثر حيلة وخداعاً للجماهير هو الرئيس الأوحد، وقضية (ووترجيت) الأمريكية أكبر شاهد على ذلك.

وبمقارنة هذا بالإسلام نجد أن الإسلام قد كفانا معظم أتعاب وحيل الإنتهازية والوصولية وأصحاب مراكز القوى، ومن نحا نحوهم أفراداً أو أحزاباً، وذلك بوضع الدستور للدولة والمجتمع الحافل، الكافي لكل متطلبات الإنسان في الحياة الإنسانية الحرة الكريمة. وبتحديد من يصلح للسلطة العليا في الدولة ـ الإمامة والخلافة ـ وذلك بالشروط والمواصفات المعروفة في كتب الفقه والتي أنهتها الزيدية إلى أربعة عشر شرطاً وقد عرفنا مما تقدم أن الصحابة بعد أن تنازعوا في سقيفة بني ساعدة عليها أجمعوا على شروط منها النسب والقرابة من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لحديث (الأئمة من قريش وغيره من الأحاديث التي استمد منها أبو بكر وعمر الحجة على الأنصار في يوم السقيفة كما تقدم).

لذلك اتفقت المذاهب الإسلامية كلها على إشتراط النسب ضمن شروط الإمامة ولم يخالف في ذلك إلا الخوارج، ولم يعتد بخلافهم لمخالفته إجماع الصحابة، ولأنه لا دليل لهم من كتاب أو سنة. وللشيخ ابن تيمية في فتاويه ج ١٩ ص ٢٩ـ٣٠ الطبعة الأولى كلام جيد جداً أورد فيه ما جاء في فضل قريش وفي فضل بني هاشم على قريش ومنه حديث الاصطفاء المشهور، وأوجب لذلك أن تكون الإمامة فيهم مع الإمكان.

وهذا هو ما يقوله أئمة أهل البيت ومن وافقهم من الزيدية وغيرهم لأحاديث التمسك بالثقلين ونحوها، ولإجماع الصحابة على شرط النسب والقرابة ولإجماع المسلمين

جميعاً على صحتها فيهم، حتى الخوارج لكونهم يجيزون إمامة الأفضل من المسلمين جميعاً.

أما صحتها في غيرهم فالجمهور من المعتزلة والأشعرية والأئمة الأربعة يصححونها في قريش لا في غير قريش، ومن قريش أهل البيت النبوي الشريف.

والزيدية ومن وافقهم يصححونها في البطنين الحسني والحسيني من أهل البيت النبوي الشريف. والإمامية لا يصححونها إلا في اثني عشر شخصاً من أهل البيت النبوي الشريف أولهم الإمام علي ثم الحسن ثم الحسين ثم في تسعة من أولاد الحسين آخرهم المهدي.

إذاً فالزيدية تتفق مع كل المذاهب الإسلامية في الشروط المعتبرة في الإمام إلا أنهم في شروط النسب حصروه على البطنين الحسني والحسيني عليهم السلام.

ولم يشترطوا أن يكون الإمام منصوصاً عليه بعد الإمام علي والإمامين الحسن والحسين عليهم السلام، ولم يشترطوا أن يكون الإمام معصوماً ولا أن يكون أعلم اهل الأرض كما تشترط ذلك الإمامية.

الطريق إلى الإمامة

الطريق إلى منصب الإمامة في نظر المعتزلة ومن وافقهم هو العقد والإختيار وأناطوا وجوب العقد والإختيار على الخاصة من الناس دون العامة والجماهير ـ ولذلك اشترطوا في العاقد والمختار ثلاثة شروط هي:

١ ـ أن يكون عدلا.

٢ ـ أن يكون عالماً.

٣ ـ وأن يكون من ذوي الرأي ليميز بذلك من يصلح للإمامة ومن لا يصلح لها من قريش.

ثم اختلفوا في القدر الذي تنعقد به البيعة فقيل يجوز أن تنعقد بالواحد وقيل بل إثنان وقيل أربعة وقيل خمسة وقيل جماعة من أهل الحل والعقد.

أمّا الزيدية فلهم طريقان لإختيار الإمام بعد الإمام علي والإمامين الحسن والحسين عليهم السلام.

١ - ترشيح الشخص العارف من نفسه الأهلية لنفسه بوساطة منشور - الدعوة - يوضح فيه موجبات الدعوة وأهليته للقيام بالإمامة ومنهج عمله فيها.

وعند ذلك يجتمع العلماء والزعماء والمثقفون - رجال الحل والعقد - ويصلون لمناقشته وإختباره إن كان غير معروف لديهم ويتشاورون فيما بينهم في موضوع كفاءته ومكانته، فإذا أرتضوه بعد ذلك بايعوه. وإلا نظروا غيره.

٢ - يرشح رجال الحل والعقد واحداً ممن يرونه صالحاً لهذا المنصب العظيم واذا وافقهم على ترشيحه بايعوه وإلا عدلوا إلى غيره[١].

واجبات الإمام ومسؤولياته

الإمام هو صاحب السلطة العليا في الدولة الإسلامية، وهذه السلطة تشبه في الأنظمة الحديثة السلطة الرئاسية كما هو الحال في أمريكا مثلاً، وهذا يعني أن من حق الإمام القيام بالسلطة التنفيذية ونحوها.

وسبق أن قلت في آخر بحث حجج المهاجرين في التشريع الإسلامي لرئاسة الدولة؛ إن هذه السلطة لا تعني التسلط في الحكم، ولا تعني فرض الإمامة بالقوة، وإنما تعني القيام بالواجبات والتحمل للمسؤوليات بعد المبايعة الحرة.

ودلّلت على ذلك بموقف الإمام علي كرم الله وجهه، حيث أنه لو أراد السلطة لغرض التسلط لأثارها حرباً شعواء على أبي بكر... إلى آخر ما تقدم.

وعلينا الآن أن نتعرف على أهم هذه الواجبات والمسؤوليات التي تقيم إماماً إذا قام بها وأقامها، وتقعده إذا لم يقم بها ولم يقمها، وسوف ألخصها فيما يلي[٢]:

---

(١) قال البعض: أن الزيدية لا تمنع أي تنظيم موصل إلى الخير وإلى تحقيق الأهداف الإسلامية الكبرى فمن الممكن في هذا العصر عصر الهيئات والمؤسسات - أن يوكل أمر القيادة العليا للدولة حسب تصور هذا البعض إلى مجلس يسمى مجلس الأمة على أساس أن يتألف هذا المجلس من:

١ - مجلس القضاء

٢ - مجلس الشورى

٣ - مجلس العلماء والخبراء أي العلماء في الدين والعلماء في الدنيا - صناعة - زراعة - هندسة... و

ولا شك أن هذه المجالس سوف تضم كبار رجال الحل والعقد من كل فئات المواطنين ولا شك أنهم جميعاً سوف يمثلون رغبة الأمة وإراداتها لكون مجلس الشورى منتخب من قبلها ويشترط في مجلس القضا ان ينتخب من قبل العلما وفي مجلس العلما والخبر أن ينتخب من قبل أهل العلم والخبرة. وهذا من أجل أن يتحرر أعضاء المجلسين من أي منة عليهم. وبذلك فسوف لا يعملون إلا ما فيه رضاء الله وما فيه المصلحة لعباده.

(٢) مرجع البحث البحر الزخار ج ٥ ص ٣٨٢ - ٣٨٤ - وكتاب السير من أحكام الإمام الهادي. وشرح التجريد للمؤيد بالله. والروض النضير ج ٥ - وقد نقلته بتصرف.

السير على المنهج الاسلامي سلوكاً وممارسة.

والعمل بكتاب الله وسنة رسول الله صحيحها وحسنها.

والدعوة إلى الخير.

والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

وتحقيق الحرية والعدالة والمساواة لكل المواطنين في إطار التعاليم الإسلامية.

والحفاظ على سيادة الأمة، وذاتيتها، وحماية حقوقها، وصيانة إستقلالها، والدفاع عن اراضيها، والعمل على تحقيق كل ما تصبو إليه الأمة المسلمة من خير وأمن وحضارة وإزدهار.

والجهاد في سبيل الله.

ومنابذة الظالمين.

وإنصاف المظلومين، وإجراء الحدود الشرعية على مستحقيها.

وإقامة الجمعة والجماعات.

وأخذ الصدقات وصرفها في مصارفها.

ونشر العلوم.

وغير ذلك من المصالح العامة والخاصة كتعبيد الطرقات وبناء المستشفيات وإحياء الزراعة وكفالة الأيتام وإعانة الفقراء ونحو ذلك.

وعليه الإستعانة لتحقيق ذلك بأهل الكفاءات والتخصصات.

ومشورة أهل الرأي والدين. وتقريبهم، وتعظيمهم.

وتسهيل الحجاب إلا في الأوقات الخاصة بأهله، ليصل إليه الضعيف والمظلوم ونحوهما بكل يسر وسهولة.

ومادام هذا حال الإمام فمن واجب الأمة السمع والطاعة ما لم يأمر بما فيه معصية الله. ولهم الحق في عدم طاعته وفي عزله بالسلم إن اعتزل به وبالقوة إن لم يعتزل إلا بها، وهو ما يسمى بالخروج ـ الثورة ـ على الظالمين، وذلك للأسباب التالية:

الجنون المطلق.

أو الزمانة المفرطة.

أو الإقعاد الميؤوس.

أو الجذام أو البرص.

أو الكفر.

النجدي، وأباد معظم مانعي الزكاة، وكل محاولة من قبل القبائل المتمردة لغرض العودة إلى جاهليتها وهمجيتها - سارع في إرسال الجيوش إلى ما وراء الجزيرة العربية. ولهذا الهدف وصل إليه في يوم واحد من قبائل اليمن عشرون ألف مقاتل بعدتهم وعتادهم، فجهزهم ومن انضم إليهم إلى العراق والشام، وكان لهم أعظم الأثر في الفتوحات الإسلامية في أقطار الدنيا.

وبعد عامين وبضعة أشهر مات أبو بكر رحمه الله، وعهد بالخلافة لصاحبه عمر بن الخطاب، وروي أن كاتب العهد بذلك كان عثمان بن عفان وأقره على ذلك. وكان عماله على اليمن هم العمال الذين مات رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهم على أعمالهم في اليمن. اللهم إلا الجند فقد استعمل عليه عبدالله بن أبي ربيعة المخزومي.

عهد الخليفة الثاني

وبموجب عهد أبي بكر تسلم أمر الخلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فأعلن في خطابه الأول نفس الحقوق والواجبات التي أعلنها الخليفة الأول، وتلقب بأمير المؤمنين، وأبقى عمال اليمن على ما كانوا عليه ايام خلافة أبي بكر، وانصرف لإتمام مسيرة الفتح الإسلامي في فارس والروم، فجهز جيشاً قوياً برئاسة أبي عبيدة بن الجراح وأمّره على الجيش الإسلامي كله، أما القائد خالد بن الوليد فقد عزله في بداية عهده.

وكان عهده عهد فتح ورخاء وأمن واستقرار وعدل، ففيه فتحت المدائن عاصمة فارس، وفيه تسلم بيت المقدس الشريف بمعاهدة جرت بينه وبين كبير البطاركة المسيحيين في القدس، أمنهم فيها على ملكيتهم لكنائسهم، وضمن لهم حريتهم الدينية الكاملة، وكل الحقوق التي يقرها الإسلام على أن يسلموا الجزية للمسلمين.

وبعد عشر سنين من ولايته مات شهيداً بعد أن قتله غلام المغيرة بن شعبة واسمه أبو لؤلؤه المجوسي. وقد نصحته عائشة أن يستخلف رجلاً كما استخلف والدها خشية الفتنة من بعده بين المسلمين. فجعل الأمر شورى لتعيين الخليفة بين ستة أشخاص من قريش هم: علي بن أبي طالب، وعثمان بن عفان، وطلحة بن عبيدالله، والزبير بن العوام، وسعد بن أبي وقاص وعبد الرحمن ابن عوف. وأمر أبا طلحة الأنصاري أن يقوم على بابهم فلا يدخل إليهم أحد.

ثم قال للستة الأشخاص إن استقام أمر خمسة منكم وخالف واحد فاضربوا عنقه،

وإن استقام أربعة وخالف إثنان فاضربوا أعناقهما، وإن استقام ثلاثة وخالف ثلاثة فاحتكموا إلى ابني عبدالله فلأي الثلاثة قضى فالخليفة فيهم ومنهم، فإن أبى الثلاثة الآخرون فاضربوا أعناقهم[1]. وقال لصهيب ومن معه: إن اختلف القوم وكانوا ثلاثة وثلاثة فاتبعوا الحزب الذي فيه عبد الرحمن بن عوف[2]. وبعد أن طبق المجلس كل معالم الشورى هذه بويع لعثمان بن عفان رضي الله عنه.

عهد الخليفة عثمان

مع تلك التعاليم التي أصدرها عمر بن الخطاب لأعضاء مجلس الشورى صار من المقطوع به سلفاً عند الإمام علي وأنصاره بأن الخلافة سيؤول أمرها إلى عثمان بن عفان. وهو ما حدث بالفعل، وتلقب بأمير المؤمنين كسلفه عمر بن الخطاب، وأبقى عمال اليمن على ما كانوا عليه في عهد عمر بن الخطاب، وانصرف في نفس الإتجاه الذي سار فيه عمر بن الخطاب في الفتح، ولمدة ست سنوات من بداية ولايته. نَعِم المسلمون بالأمن والإستقرار والخير والرخاء. ولكنه في خلال هذه المدة كانت بنو أمية تعمل للإحاطة بكل أمور الدولة، وللسيطرة على الخليفة عثمان باعتبار أن ما وصل إليه من أمر الخلافة إنما هو الملك الذي لا ينازع فيه، فقد أصبح حقاً من حقوقهم، لهذا قال مروان بن الحكم للثائرين المحاصرين لعثمان:

جئتم تريدون أن تنزعونا ملكنا من أيدينا، أخرجوا عنا، ارجعوا إلى منازلكم فإنا والله ما نحن بمغلوبين على ما في أيدينا[3].

هكذا كانت بنو أمية تفهم الخلافة فعملت على السيطرة على الخليفة عثمان استغلالاً لعطفه وحنانه، وما يدركه من غفلة الصالحين، وكان الحظ الأوفر في هذا لمعاوية بن أبي سفيان، وللداهية مروان بن الحكم.

لذلك فبعد ست سنين من بداية خلافته بدأ عهد الإنحراف في سياسة الدولة والنظر في مصالح المسلمين، فعزل معظم الأمراء الذين كانوا في عهد عمر بن الخطاب، وأبدلهم برجال من أسرته مثل الوليد بن عقبة، وعبدالله بن سعد بن أبي سرح وأمثالها، فاستبدوا بالأمر، وتطاولوا على الناس، وأفسدوا أمر الخليفة عثمان، فانتهى

---

(١) الإمامة السياسة لابن قتيبة ص ٢٤.
(٢) الطبري ج ٣ ص ٢٩٤.
(٣) الطبري ج ٣ ص ٣٩٧.

الأمر بقتله في الثورة التي قادها محمد بن أبي بكر، وابن أبي حذيفة، والأشتر النخعي، وانتهت بذلك خلافة عثمان بعد أن استمرت أحد عشر عاماً وأحد عشر شهراً. وحينذاك فزع الناس إلى الإمام علي كرم الله وجهه وبايعوه إماماً.

عهد الإمام علي كرم الله وجهه

على إثر قتل عثمان تسلم أمر الخلافة الإمام علي كرم الله وجهه بالمبايعة الإجماعية من أهل المدينة ومن ورد عليها في ذلك الوقت، وكان أول من بايعه فيها طلحة والزبير. وحاول الإمام علي كرم الله وجهه أن يثبّت للإسلام صفاءه، وكماله، وصلاحيته الدائمة لكل مجالات الحياة، وكان الأمر عليه سهلاً لو أنه تسلم أمر الخلافة بعد النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وحتى لو تسلمها بعد خلافة أبي بكر وعمر، ولو كان الأمر كذلك لما وجد الإنحراف عن الدين وتعاليمه ومناهجه في الحياة مجالاً، ولكنه تسلمها بعد الفساد والإنحراف الذي ابتدعه مروان بن الحكم باسم الخليفة عثمان.

وبعد الفساد واللامبالاة التي اشتهر بها عبدالله بن سعد بن أبي السرح في مصر، وبعد التهتك والإنحراف الذي اشتهر به الوليد بن عقبة في العراق، وبعد ما أظهره من كيد وخديعة للخلافة معاوية بن أبي سفيان في الشام، وبعد أن انحلت بذلك ونحوه عري الثقة بين الحاكم والمحكوم، وانفتح المجال لدى المنافقين والمندسين في صفوف المسلمين للقضاء على الإسلام ولتمزيق وحدة المسلمين.

تسلم الخلافة الإمام علي كرم الله وجهه في تلك الأحوال والظروف القاسية، ومع ذلك فقد استطاع أن يجعل من نظامه السياسي المثل الكامل للنظام السياسي للدولة التي أسسها ورفع كيانها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وأن يجعل من أعماله وأقواله وأحكامه في السلم والحرب التجسيد الكامل للشريعة الإسلامية المنزلة على رسول الله هدى ورحمة للعالمين، وأن يجعل من سلوكه وأخلاقه الصورة الكاملة لأخلاق وسلوك الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، فربط بذلك مسيرة عهده بمسيرة العهد النبوي الشريف وثبت للإسلام دعائمه، وأعاد إلى النفوس المؤمنة أمنها وإستقرارها ويقينها بالرسالة الإسلامية الخالدة.

وأول ما بدأ به هو إرجاع الحقوق إلى أصحابها، وإزالة الظلم عن الناس بإزالة العمال والولاة الظالمين، وأعاد للحرية والعدالة والمساواة حرمتها وقداستها، بمعاملته الإسلامية

لكل الناس حتى من حاربه وقاتله، وبجعله الناس سواسية أمام الشرع الشريف.

ولقد أقضّت أعماله وإصلاحاته مضاجع المنافقين، وأغضبت أصحاب المطامح والمطامع من المسلمين، فاستغل هؤلاء وأولئك مقتل الخليفة عثمان رحمه الله، وألهبوا به مشاعر الجماهير، وزادها إشتعالاً موقف طلحة والزبير وعائشة في العراق، وموقف معاوية في الشام، وبدلا من تكتلهم في صفه ليقضي بالشرع على القاتلين ـ تكتلوا ضده، وأعلونها حرباً عليه، فكانت حرب الجمل بين الإمام علي كرم الله وجهه، وبين طلحة، والزبير، وعائشة. وحاول الإمام تداركها لحقن دماء المسلمين، وعمل من أجل ذلك كل ما تمكن من العمل، وآخرها عملاً إجتماعه بالزبير في ساحة معركة الجمل[1] فذكره، ووعظه، حتى اقتنع وخرج من المعركة، وتغير بذلك موقف طلحة، فخشي المنافقون والمندسون من الفشل فأسرعوا في إثارة الحرب، وقامت كما شاؤوها أن تقوم، والتقى الجمعان، وانتهت بنصر الإمام علي كرم الله وجهه. ولكن التضحية قد كانت باهظة، فقد قتل الآلاف من الطرفين، وقطعت مئات الأيدي التي تمسكت بخطام الجمل الذي ركبت عليه عائشة، ولم يسلم من القتل حتى قادة جيش الجمل، فقد قتل طلحة، ويقال: إن قاتله هو مروان بن الحكم لما عرف تخاذله وعزمه على الخروج من المعركة إقتداء بأخيه الزبير[2] فخشي فشل الجيش فقتله لذلك، وليزيل حجرة كأداء كانت ستظل في طريق الحكم الأموي المرتقب.

أما الزبير فقد قتل خارج المعركة، قتله غدراً ابن جرموز اليمني في وادي السباع وهو في طريقه إلى المدينة. وبعد انتصار علي في معركة الجمل جهز عائشة إلى المدينة مع جماعة من الرجال وأربعين امرأة من النساء ألبسهن لبس الرجال ليكن في خدمتها وحراستها المباشرة ولم تعرف عائشة أمرهن إلا في المدينة[3].

وأرسل إلى معاوية الرسل تلو الرسل ليدخل فيما دخل فيه الناس حقناً للدماء، وصيانة لوحدة المسلمين، ولكن معاوية أصرّ على الحرب بحجة الأخذ بثأر عثمان.

وكانت معركة صفين التي قتل فيها عمار بن ياسر رضوان الله عليه، وبقتله انكشف أمام الجماهير بغي معاوية على الإمام الشرعي علي بن أبي طالب كرم الله وجهه،

---

(١) الطبري ج ٣ ص ٥١٩ ـ والإمامة والسياسة لابن قتيبة ص ٧٢.
(٢) الطبري ج ٣ ص ٥٢٠ ـ والإمامة والسياسة لابن قتيبة ص ٧٧.
(٣) الطبري ج ٣ ص ٥٤٧ ـ والإمامة والسياسة لابن قتيبة ص ٧٨.

للحديث النبوي الشهير وهو قوله صلى الله عليه وآله وسلم: إنما تقتل عمار الفئة الباغية[1].

وكاد الإمام علي أن ينتصر في هذه المعركة لولا المكيدة برفع المصاحف من قبل معاوية والدعوة إلى التحاكم إلى كتاب الله.

واستفاد معاوية بهذه الحيلة البارعة أمرين:

١ - تفويت النصر على الإمام علي كرم الله وجهه.
٢ - تحويل السخط على البغي الذي عرف به معاوية لقتله عمار إلى السخط على رفض التحكيم لكتاب الله.

أما الإمام علي فقد فهم المكيدة وقال قولته الخالدة: - كلمة حق أريد بها الباطل - ولكن معظم أصحابه قد انخدع بها فطالبوه بقبول التحكيم.

فتنازل إلى رأيهم، كما تنازل إلى رأيهم في تعيين الحكم من جهته وهو أبو موسى الأشعري، وفي النهاية استطاع عمرو بن العاص حكم معاوية أن يخدع أبا موسى الأشعري بخلع صاحبه مقابل خلع عمرو لصاحبه معاوية ويتولى الأمر بعد ذلك عبدالله بن عمر. وفي اليوم المرتقب أعلن أبو موسى الحكم، وخلع صاحبه، ولكن عمراً لم يفعل، بل ثبت صاحبه معاوية، وأقر ولايته.

فعرف أبو موسى الخديعة ولكن بعد فوات الأوان، وبذلك فشل التحكيم، وتجهز الناس للحرب، ونشطت سياسة المنافقين والمندسين وعملت على تمزيق وحدة جيش الإمام علي كرم الله وجهه، فظهرت فكرة الخوارج رافعة شعار - لا حكم إلا لله - معتقدة أن تحكيم الناس من دون الله كفر، فمن لم يتب من المتحاكمين فقد كفر. وبهذه البساطة طالبوا المتحاكمين بالتوبة، كما تابوا من الكفر على زعمهم، وبهذه الفكرة كفروا المسلمين على ارتكاب أي ذنب من الذنوب. وبها خرجوا على الإمام علي. وبعد أن حاول إقناعهم ولم ينجح - أبادهم في معركة النهروان.

مأساة بسر بن أرطاه في اليمن

وبينما الإمام علي مشغول في العراق بتخاذل أهله، وبظهور الناكثين، والمارقين،

(١) أخرج مسلم عن أم سلمة بلفظ: تقتل عماراً الفئة الباغية. وفي رواية: تقتلك الفئة الباغية. ومثلها عن أبي سعيد الخدري. وفي رواية: ويح عمار تقتله الفئة الباغية يدعوهم إلى الجنة ويدعونه إلى النار. صححها إبن الأثير من طريق أبي الوقت في كتاب البخاري أ هـ جامع الأصول ج ١٠ - ص ٢٩ - ٣١.

والقاسطين، ومحاربتهم له، أرسل معاوية إلى اليمن جيشاً قوامه ثلاثة آلاف فارس بقيادة بسر بن أرطاه، وأمره بقتل شيعة علي في اليمن وأينما وجدهم في طريقه إليها، فوصل بسر إلى المدينة المنورة فاحتلها، وقتل فيها شيعة علي من المهاجرين والأنصار، وهدم بيوت المجاهدين منهم مع الإمام علي، وفعل ذلك في مكة المكرمة، ثم في نجران، وجبال السراة، حتى بلغ صنعاء فدخلها، وكان عبيد الله بن العباس عامل الإمام علي على صنعاء قد خرج منها تاركاً زوجته، وولديه، قثم، وعبد الرحمن. فقتل بسْر الولدين الطفلين ـ وقد دفنا في محل يقال له اليوم ـ الشهيدين ـ كما قتل الكثير من قبائل همدان الكبرى حاشد وبكيل، والكثير من قبائل مذحج، وعك، وغيرها من شيعة الإمام علي كرم الله وجهه، مستعناً بالموالين لمعاوية في اليمن.

ولما بلغ الإمام علي الخبر أرسل لمطاردته، وللقضاء عليه جارية بن قدامة السعدي في أربعة آلاف مقاتل، فطرد بسر من اليمن وقتل من أنصاره الكثير، وشرد باقيهم إلى بطون أودية اليمن، وقمم جبالها.

وأخيراً استشهد الإمام علي كرم الله وجهه قتله الشقي عبد الرحمن بن ملجم غدراً في ليلة السابع عشر من شهر رمضان سنة ٤٠هـ ومدة خلافته كرم الله وجهه ٤ أعوام و ٩ شهور وأيام قلائل صلوات الله وسلامه عليه.

وبايع الناس إبنه الإمام الحسن بن علي عليهم السلام، ولكن مؤامرة المنافقين، والمندسين، قد حالت بينه وبين ما يريد من إكمال المسيرة العلوية الخيّرة، ففرقوا جموعه، وسلطوا البعض على عدته وعتاده، فنهبوه، وأصيب حين ذلك بطعنة في فخذه، بعدها جمع الناس إلى الجامع، وطلب منهم أن يختاروا لأنفسهم أحد الأمرين إما الحرب، وإما الصلح. فاختاروا المصالحة، فصالح معاوية على شروط لم يف بها معاوية بعد ذلك. وارتحل الإمام الحسن إلى المدينة حيث قتل فيها مسموماً رحمه الله ـ ويعتبر الكثير من المؤرخين فترة الحكم العلوي هي فترة العودة الصحيحة إلى الدين الإسلامي عقيدة ونظاماً وسلوكاً، ولولا هذه الفترة لضاعت معظم الأحكام، والقيم، والآداب التي جاء بها الإسلام في ظل الانحراف الأموي الذي حوّل الحكم من الخلافة الإسلامية إلى الملك العضوض.

عهد الأمويين

في العهد الأموي تحولت الخلافة الإسلامية إلى ملك عضوض كما أخبر الرسول

صلى الله عليه وآله وسلم، وسلك معاوية مع نفسه ومع الناس مسلك الملوك، وتحلى بما أمكنه أن يتحلى به من أخلاق الأكاسرة والقياصرة لتدعيم العرش وتثبيت السلطة، ومن أقواله:

إني لا أحول بين الناس وألسنتهم ما لم يحولوا بيننا وبين ملكنا. هكذا ملكنا.
وحسبنا أن نورد هنا ما قاله الإمام الحسن البصري رحمه الله[١] في معاوية لقد قال:[٢] أربع خصال في معاوية لو لم تكن فيه إلا واحدة لكانت موبقة وهي:

١ - خروجه على هذه الأمة بالسفهاء حتى ابتزها - يعني الخلافة - بغير مشورة منهم.
٢ - استخلاف ابنه يزيد وهو سكير خمير يلبس الحرير ويضرب بالطنابير.
٣ - ادعاؤه زياداً وقد قال النبي (ﷺ) الولد للفراش وللعاهر الحجر.
٤ - قتله حجر بن عدي.

عندئذ فليس غريباً أن يكون حكمه مليئاً بالبدع والغرائب، ولكنه مع ذلك قد وجد من أصحاب الدنيا من يبرر له أعماله، ويوجد لها المبررات الشرعية من العمومات، ومجملات الأدلة ونحوها، وقد زاد هذا النوع كثرة خلو الميدان من أكثر الزعامات الإسلامية القوية. خلت الساحة منهم إمّا بالقتل أيام الحرب، وإمّا بالقتل من قبل معاوية أيام السلم غيلة، كما قتل عبدالرحمن بن خالد بن الوليد، وصبراً كما قتل حجر بن عدي وأصحابه، وبالسم كما قتل مالك بن الأشتر النخعي. وبعد المصالحة قتل الإمام الحسن بن علي رضوان الله عليهم جميعاً.

وقد استطاع بعد ذلك أن يبني ملكاً قائماً على القهر والاستبداد، واستمر عشرين عاماً. ثم ورّثه ابنه يزيد بالأسلوب الذي عبر عنه أبو خنيف بقوله: إنا لا نطيق ألسنة مضر وخطبها. أنت أمير المؤمنين، فإن هلكت فيزيد بعدك، فمن أبى، فهذا، وسل سيفه فقال معاوية: أنت أخطب القوم وأكرمهم[٣].

ولما وصل إلى المدينة المنورة لأخذ بيعة أهل المدينة ليزيد - بادر أولاً إلى زيارة عائشة رضي الله عنها ومما نصحته: أن يقتدي بأبي بكر وعمر. فأجابها قائلاً: إن أمر يزيد قضاء من القضاء وليس للعباد الخيرة من أمرهم[٤]. فعلمت عائشة أنه ماض في أمر يزيد.

---

(١) حكاه ابن الأثير في تاريخه ج ٣ - ص ٢٠٩.
(٢) تاريخ ابن الأثير ج ٣ ص ٣٠٩.
(٣) الإمامة والسياسة لابن قتيبة ص ١٧١.
(٤) نفس المصدر ص ١٨٣.

وقبل خروجه ذكّرته عائشة بقتل حجر وأصحابه. فقال لها: دعي هذا، كيف أنا في الذي بيني وبينك في حوائجك؟ فقالت: صالح. فقال: فدعينا وإياهم حتى نلقى ربنا. ثم خرج وأمر الناس بالبيعة، فبايع أهل المدينة إلا خمسة أشخاص وهم: الحسين بن علي عليهم السلام، وعبد الرحمن بن أبي بكر، وعبدالله بن العباس، وعبدالله بن عمر، وعبدالله بن الزبير، وقد حاول أخذ البيعة منهم بشتى الوسائل فلم يفلح. ثم ارتحل من المدينة بعد أن وزع على أهلها أعطياتهم إلا بني هاشم[1] فقد أخرها حتى راجعه عبدالله بن العباس، فصرفها لهم من الروحاء، ومضى راجعاً إلى الشام.

ويلاحظ مما تقدم أن معاوية قد أسس الحكم الأموي على قاعدتين هما:

١ ـ فكرة القضاء والقدر التي تعني في المفهوم الأموي أن ليس بموجبها للعباد الحرية والاختيار، وإنما عليهم السمع والطاعة، إلا أن يروا كفراً بواحاً. وقد صرح بهذه القاعدة لعائشة كما تقدم.

٢ ـ فكرة (فرّق تسد) حيث أثار النعرات الجاهلية بين اليمانيين القحطانيين وبين مضر العدنانيين.

وبهاتين القاعدتين استقر له الحكم محافظاً على التوازن بين القبيلتين ليأمن من القلاقل والثورات، ولقد كان لها الأثر السيء بين المسلمين في مختلف بلدانهم. واستعان في حكمه بأدهى دهاة العرب في حينه وهم: عمرو بن العاص، والمغيرة بن شعبة، ويقال: إنه الذي شجع معاوية على أخذ البيعة لإبنه يزيد، مناقضاً لما قيل: إنه أول من حث عمر، وأبا بكر لحضور مؤتمر السقيفة، بعد أن كان كل منهما يرى أن الإمام علي هو الأحق بالخلافة.

فقال لهما: أتريدانها قيصرية؟ أو نحو هذا. وها هو الآن يحث معاوية على القيصرية[2] وثالث رجال معاوية هو زياد بن أبيه ـ جد بني زياد مؤسسي الدولة الزيادية في اليمن، بعد أن استلحقه بنسبه بعد استشهاد الإمام علي كرم الله وجهه، وولاه البصرة وما إليها. فصدق في أهلها قوله، في خطابه الشهير بعيد قدومه عليهم: وإني أقسم بالله لآخذ الولي بالولي، والمقيم بالظاعن، والمقبل بالمدبر، والصحيح منكم بالسقيم، حتى يلقى الرجل منكم أخاه فيقول: انج سعد فقد هلك سعيد، أو تستقيم لي قناتكم.

---

(١) نفس المصدر ص ١٩٠.

(٢) الإمامة والسياسة لابن قتيبة ص ١٦٥ ـ وشرح النهج ج ٦ ص ٤٣.

أما عماله في اليمن فهم عثمان بن عفان الثقفي. وعتبة بن أبي سفيان، الذي جمع له ولاية صنعاء والجند. والنعمان بن بشير الأنصاري.

حكم يزيد وثورة الحسين عليه السلام

بعد موت معاوية تسلم الحكم ابنه يزيد. ومن بداية حكمه الذي لم يستمر أكثر من أربع سنين ركّز كل اهتماماته على أولئك الخمسة الرجال الذين رفضوا مبايعة والده على ولاية العهد له. وكان سيد أولئك الخمسة الرجال هو سيد شباب أهل الجنة الإمام الحسين بن علي عليهم السلام. فلاذت إليه قلوب أهل العراق ليخلصهم من ظلم زياد بن أبيه، وابنه عبيد الله، والمغيرة بن شعبة، ومن فوقهم يزيد، وطالبوه بالحاح بالوصول إليهم ليبايعوه على الجهاد تحت رايته لاعلاء كلمة الله، ونصرة دينه، والمستضعفين من العباد، فأرسل إليهم مسلم بن عقيل رضي الله عنه، لاستقصاء الحقيقة ثم يكتب إليه، ووصل مسلم إلى الكوفة، وتلقاه أكثر أهلها بالطاعة والمبايعة سراً للإمام الحسين، فأرسل إليه مسلم بما لديه من حقائق واستعجل قدومه عليه.

وتناقلت الأخبار تحركات مسلم بن عقيل، وخروج الإمام الحسين من المدينة، فأسرع يزيد بن معاوية بإرسال عبيدالله بن زياد، وولاه الكوفه علاوة على البصرة، ولما وصل عبيد الله خارت بوصوله أعصاب أهل الكوفة، لما يعرفونه عنه وعن أبيه من قسوة، وبطش، وطغيان. واضطر مسلم أن يخرج من منزل المختار بن أبي عبيد الثقفي، وأن يطرق منزل هاني ابن عروة المرادي كبير قبائل مذحج في العراق، فنزل فيه واستمر في الدعوة إلى الإمام من مكان أمين، ولكن عيون عبيدالله بن زياد قد تمكنت من كشف مقره، فتحيل إبن زياد لايصال هاني بن عروة إليه، ولما وصل سجنه في قصر الأمارة بعد أن ضربه وأدمى وجهه.

ولما بلغ مسلم بن عقيل هذا الخبر، اضطر لإعلان الثورة قبل وصول الإمام الحسين عليه السلام، فقضى ابن زياد عليها، وقتل مسلم بن عقيل، وهاني بن عروة، وآخرين معهما.

وبلغ الإمام الحسين خبرهما وهو في طريقه إلى العراق، فواصل السفر حتى وصلها، وإذا هو بقلوب أهل العراق معه ولكن سيوفهم عليه كما أخبره الفرزدق الشاعر رحمه الله. والتقته جيوش ابن زياد بقيادة الحر بن يزيد التميمي اليربوعي، وبقيادة عمر بن سعد بن أبي وقاص. ولما رأى الإمام الحسين أوائل خيولهم عدل عنهم إلى كربلا...

وفي كربلاء قال لقادات الجيوش المحاربة: اختاروا واحدة من ثلاث:

١ ـ إمّا أن تدعوني فأنصرف إلى حيث جئت.

٢ ـ وإمّا أن تدعوني فأذهب إلى يزيد.

٣ ـ وإمّا أن تدعوني فأذهب للجهاد في ثغور المسلمين.

وبلّغ هذه الخيارات عمر بن سعد إلى عبيد الله بن زياد، فرفض قبول أي واحد منها وأمر بالحرب أو النزول تحت حكمه.

وعند ذلك ضرب عمر بن سعد الحصار على الإمام الحسين ومن معه من النساء والأطفال والأهل والأقارب ومن اختار البقاء معه من غيرهم، وكان الكل زهاء ثمانين شخصاً وتقابلهم الألوف من جيش يزيد بقيادة عبيدالله بن زياد، وعمر بن سعد بن أبي وقاص. وبدأ الصراع الدامي بين الحق والباطل، وبين الخير والشر، واستمر بضعة أيام ثم انتهت بقتل إبن بنت رسول الله الحسين بن علي عليهم السلام، وبقتل أهله، وأقاربه، ومن معه من شيعته حتى الأطفال الصّغار ولم ينج منهم إلا واحد كان طفلاً مريضاً ودافعت عنه عمته زينب رضي الله عنها، وهو علي بن الحسين المعروف في التاريخ بزين العابدين.

وهب قاتل الحسين: سنان بن أنس بن عمر النخعي برأس الحسين إلى عمر بن سعد وهو يقول:

أوقر ركابي فضة وذهبا ... أنا قتلت الملك المحجبا
قتلت خير الناس أمّاً وأباً ... وخيرهم إذ ينسبون نسبا

وبعد أن داست الخيل جسد الحسين الشريف رجع عمر بن سعد إلى عبيدالله بن زياد بن أبيه ومعه نساء الحسين وأهل بيته وفيهم علي بن الحسين ورأس أبيه الحسين عليهم السلام، فأرسل بهم عبيدالله إلى يزيد أسرى.

ولما وصلوا وضع الرأس الشريف بين يديه ـ فقال وهو ينكت بقضيبه في الفم الشريف:

يفلقن هاما من رجال أعزه ... علينا وهم كانوا أعق وأظلما

فأثار هذا الموقف مشاعر يحي بن الحكم وهو أخو مروان بن الحاكم فقال:

لهام بجنب الطف أدنى قرابة ... من ابن زياد العبد ذي الحسب الوغل

سمية أمسى نسلها عـدد الحصى ـ وليس لآل المصطفى اليوم مـن نسـل

فضرب يزيد هذا الشاعر في صدره وأمره بالسكوت.

ثم أمر بتجهيز النساء ومعهن علي بن الحسين إلى المدينة. فدخلوها في موكب حزين مؤلم، حيث خرج اهل المدينة لاستقبالهم ثم شيعوهم إلى منازلهم بالبكاء والعويل... أما ابنة عقيل بن أبي طالب فقد خرجت حاسرة باكية وهي تقول:

ماذا تقولون: إن قال النبي لكم: ـ مـاذا فعلتم وأنتم آخـر الأمـم

بعترتي وبـأهلي بعـد مفتقـدي ـ منهم أسارى ومنهم ضرجوا بدم

ما كان هذا جزائي إذ نصحت لكـم ـ أن تخلفـوني بسـوء في ذوي رحـم

واستقبل العالم الإسلامي نبأ مقتل ابن بنت رسول الله الحسين بن علي ببالغ الأسى والألم. بل لقد كان مقتله لديهم مثار كل حركة إنتقامية من الحكم الأموي.

ومن تلك الحركات ثورة أهل المدينة، وطردهم عامل يزيد وكل بني أمية منها. وثورة عبدالله بن الزبير بمكة، واستيلائه بعد ذلك على الحجاز واليمن والعراق. فجهز يزيد لإخماد هذه الثورات جيشاً بقيادة مسلم بن عقبة، فتلقته الصحابة وابناء الصحابة في الحرة، وبعد معركة رهيبة انتصر فيها مسلم، فدخل المدينة وأباحها لجيشه ثلاثة أيام، وأعمل السيف في رقاب أهلها حتى أباد من بقي من أصحاب بدر وقتل من سائر الصحابة سبعمائة صحابي.

وبعدها ارتحل إلى مكة، ولكنه في طريقه إليها هلك، فتولى قيادة الجيش حصين بن نمير السكوني، وفي خلال حصاره لابن الزبير في مكة، ورميه الكعبة بالمنجنيقات، جاءه خبر موت يزيد بن معاوية الذي انتهى بموته ملك آل أبي سفيان بن حرب....

وابتدأ ملك بني مروان، حيث تسلم الحكم مروان بن الحكم، ولم يتمكن من القضاء على ثورة ابن الزبير، حيث اشتغل بالقضاء على ثورة ـ التوابين ـ الذين ثاروا بقيادة سليمان ابن صرد الخزاعي للأخذ بثأر الحسين ـ تكفيراً لخذلانهم إياه في معركة كربلا ـ وقد تمكن مروان من إخضاعها، وقتل قائدها، ولكنه قد تلتها ثورة هي أشد وأخطر منها، إنها ثورة المختار بن أبي عبيد الثقفي. ولم يتمكن من إخضاعها، بل لم يعش طويلاً، فقد قتلته زوجته خنقاً عقاباً لإهانته ولدها.

فتسلم الحكم ولده عبد الملك بن مروان، فاهتم بإصلاح الشام وما إليه، وترك العراق للخصمين المتصارعين وهما: ابن الزبير، والمختار بن أبي عبيد، وبعد أن قضى

مصعب ابن الزبير على ثورة المختار بدأ عبد الملك بن مروان الصراع مع ابن الزبير. فأرسل جيشاً قوياً للقضاء على مصعب، ثم أخيه عبد الله بقيادة الحجاج بن يوسف الثقفي، فحاصر مكة، ورمى البيت الحرام بالمنجنيقات، وانتصر في الأخير على عبدالله بن الزبير وصلب جسده لعدة شهور بعد قتله، واستوى الأمر بعد ذلك لعبد الملك بن مروان حتى مات سنة ٨٦هـ.

فتسلم الحكم ابنه الوليد بن عبد الملك وبالرغم من عتوه، واستبداده، فقد كانت الفتوحات الإسلامية في أيامه كثيرة، في الهند، وفي أفريقيا، وفي أسبانيا، وبعد تسع سنوات وسبعة أشهر مات وخلفه في الحكم سليمان بن عبد الملك. ولم يكن ناجحاً في سياسته إذ حطم كبار رجال الدولة مثل موسى ابن نصير، وطارق بن زياد، كما ترك الجيش المحاصر للقسطنطينية من الإمدادات ففوتهم بذلك شرف فتحها. وفي عام ٩٩هـ مات سليمان، وتولى الحكم حسب وصيته الخليفة الراشد عمر بن عبد العزيز فكان صالحاً، عادلاً، أعاد بعدله وصلاحه للدولة الإسلامية أكثر ما فقدته في ظل من سبقه من الأمويين، لذلك ضاقت به نفوس الأمويين، وسعوا إلى قتله بالسم في دير سمعان القريب من حمص عام ١٠١هـ.

وتسلم الحكم بعده يزيد الثاني بن عبد الملك حسب وصية سليمان، ولعدم حكمته، فقد عجز عن حفظ التوازن بين القبيلتين اليمنية والمضرية حسب السياسة الأموية المتبعة، لذا ثارت اليمانية عليه بقيادة يزيد بن المهلب، وظهرت الفتن في كل أصقاع الدولة، ولما مات حزيناً على جاريته حبابة، تسلم الحكم بعده أخوه هشام بن عبد الملك، وبالرغم من قوته، ودهائه، وحزمه، فقد تمكنت الدعوة العباسية المتسترة بالدعوة العلوية من النمو والإنتشار، وبالأخص بعد مقتل الإمام زيد بن علي الآتي ذكره إن شاء الله.

كما قامت عدة ثورات أدت إلى الوهن، ثم الانحدار إلى الزوال، ومن تلك الثورات ثورة عبادة الرعيني في اليمن، وثورة البربر والخوارج في أفريقيا، وكان لها الأثر العظيم في الأندلس، وأهم كل تلك الثورات لما خلدته من أفكار هي ثورة الإمام زيد...

ثورة الإمام زيد بن علي عليهم السلام

سبق القول بأنه لا تقوم أي ثورة إلا ولها أهداف تسعى إليها، ومبادىء ترتكز عليها، ضمن عقيدة، وكما يقال ـ أيدلوجية ـ توحد الصفوف، وتجمع الشمل، وتدفع

إلى العمل لتحقيق آمال وأماني شعوبها، وأممها. غير أن الثورات الإسلامية التي قام بها الأئمة من أهل البيت النبوي الشريف إبتداء بالحسين بن علي، وحفيده زيد بن علي، وإبنه يحيى، ومن تلاهم من الأئمة الهداة ـ قد امتازت كأمثالها من الثورات الإسلامية بأن باعثها، وموجبها هو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، نصرة للمظلومين وإنقاذاً للمستضعفين، وتحقيقاً لإرادة شعوبهم، وأممهم، ومتطلباتها من حق، وعدل، وحرية، ومساواة، ضمن العقيدة الإسلامية، وعلى أرضية المحبة الإنسانية، والأخوة الإسلامية.

وهذه هي خلاصة مبادىء أهل البيت الثورية، وخلاصة أهدافها، التي تضمنتها نظرياتهم في العدل، والتوحيد، وما إلى ذلك من الأصول الخمسة السالفة الذكر، ودعوا إليها في كتبهم، ومنها كتاب الصفوة للإمام زيد رحمه الله، ورسائل دعوتهم، ونصوص بيعتهم التي كانوا يأخذونها على متابعيهم وأنصارهم.

ومنها نعرف أن ثوراتهم لا تكون إلا في عهود الظلم، والضلال الواجب فيها الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بالشروط السابق ذكرها في أول بحث الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وذلك لانهم لا يؤمنون بالسلطة التي تعني التسلط والفرض، وإنما يؤمنون بالسلطة التي تعني القيام بالواجبات، والتحمل للمسؤوليات، كما سبق التنبيه عليه.

ولذا فقد تنزهت ثوراتهم عن العنصرية، والطائفية، والقومية، والإقليمية، والمادية، وغير ذلك من الأفكار الجاهلية، والمادية، التي يتصارع الناس عليها اليوم.

وكان الأئمة يبدأون عند وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بتكوين الأمة التي أمر الله بقوله: (ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير، ويأمرون بالمعروف، وينهون عن المنكر). فإذا أكملوا التكوين بدأوا في التنفيذ. وليس كما يقول ويزعم بعض المغرضين: بأن الإمام رغبة في الحكم، وحباً للتسلط، يخرج شاهراً سيفه لإرهاب الناس وإخضاعهم، بل لقد زعم هذا البعض بأن ما زعمه هو من شروط الإمامة في النظر الزيدي.

وتبين من إستقراء التأريخ أن الإمام زيد قد بدأ بهذه البداية في العراق، غير أن السلطة الأموية لم تتح له فرصة الإستكمال، فلذلك دفع إلى المعركة في الوقت الذي أراده الحكم الأموي نفسه، فاضطر إلى اعلان الثورة. والدخول فيها بجيش لا يماثل

جيش أعدائه، ولا يقارب عددهم، ولا عدتهم. أما كيف دفع إلى المعركة ولم دفع إليها؟..

فذلك أن هشام بن عبد الملك قد كان من الذين يعرفون بدقة ما تكنه الأمة الإسلامية لهذا البيت النبوي الشريف وبالأخص بعد محنة الحسين، وخشي وجواسيسه تنقل إليه تحركات الشيعة في العراق وخراسان ـ أن يكون زيد بن علي الذي يعرفه مكانة وكفاءة هو من تبحث عنه الشيعة لقيادتها، ومن تسعى إليه لهدايتها، وإذا فعلت فهو يدري بأن لا قوة تقف أمامها ولا مال يفرق جموعها.

لذلك فقد شن عليه حروباً نفسية، واقتصادية، وسياسية، ليدفعه إلى البروز في الحال الذي يتمكن فيه من القضاء عليه، فأمر عامله في المدينة خالد بن عبد الملك بن الحارث بن الحكم أن يثيره، وأن يثير الشحناء والبغضاء بينه وبين بني عمه. وأمر بعد ذلك عامله في الكوفة يوسف بن عمر أن يطالبه بأموال زعم أن خالد بن عبدالله القسري أودعها لديه. وفوق ذلك كاشفه العداء في مجلسه وأخرجه منه مهاناً. فخرج الإمام زيد وقال كلمته المشهورة ـ« من أحب الحياة عاش ذليلا ».

واتجه نحو العراق، فلقيت الشيعة فيه ضالتهم المنشودة، وبغيتهم المقصودة، فألحوا عليه بالبقاء بينهم، وأظهروا له الاستعداد الكامل للجهاد معه في سبيل الله، ولإعلاء كلمة الله، وهنا تحتم الوجوب عليه بالقيام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فوافقهم رغم أن من كان معه من أهله قد حذره من الاستجابة لهم، ولكنه آثر الدين على الدنيا، والآخرة على الأولى. وشرع متكتماً في تكوين وتنظيم أمة الدعوة إلى الخير كما أمر الله وأصبح بالتالي تحت رقابة هشام بنفسه، ولذا فلم يمهله إلا بضعة شهور، ثم أمر يوسف بن عمر بإعلان الحرب عليه، ودله على مكانه في الكوفة.

فاضطر الإمام إلى إعلان الثورة في غير وقتها المطلوب،ومع عدم التكافؤ في القوة فقد كانت النتيجة معروفة لديه سلفاً، وهذا هو بالفعل الذي دفع غلاة الشيعة للنكوص عنه، والنكث للبيعة، متعللين بما أثاروه من جدل حول موقف الإمام زيد من أبي بكر وعمر، ولعدم تبريه منهما قالوا له: ولم تقاتل؟ فقال لهم: إنما أقاتل لإحياء السنن، وإماتة البدع، وإزالة الظلم عن المظلومين، فلم يستجيبوا له، ورفضوا القتال معه، فقال لهم: اذهبوا فأنتم الروافض. فصارت هذه الكلمة علماً لهم، ودخل زيد المعركة بما يقرب من ثلاثمائة مقاتل ففعل الأفاعيل في جيش هشام حتى رمي بسهم أصاب دماغه،

فقتل به شهيداً رضوان الله عليه.

وحاول إبنه يحيى ومن بقي من أصحابه إخفاء قبره، فدفنوه في محل مجهول، وأجروا من فوقه الماء مبالغة في إخفائه، ولكن جواسيس هشام عرفته، فنبشه يوسف بن عمر، واجتز رأسه، وأرسله إلى هشام، ثم صلب الجسم الشريف في محل الكناسة، وبقي مصلوباً أربعة أعوام، وأخيراً أمر الوليد بن يزيد بن عبد الملك خليفة هشام بإنزاله، وإحراقه، وذر رماده في الفرات، إنتقاماً لنفسه المتأججة بالحقد على أب الثائر عليه يحيى بن زيد في خراسان، وبالرغم من أن ثورة يحيى بن زيد قد انتهت بقتله في خراسان فقد كان لها ولثورة أبيه زيد الأثر البالغ في نجاح الثورة العباسية التي قضت على الدولة الأموية. وأما هشام بن عبد الملك فقد هلك بعد استشهاد زيد بثلاث سنين فقط...

آثار الثورة

لقد استولت الأهداف والمبادىء الزيدية على مشاعر الجماهير الإسلامية في كل بلد إسلامي بلغته تلك الأهداف والمبادىء. أما في العراق والحجاز واليمن وخراسان فقد انتشرت فيها فكراً، وطبقت عملا، وكانت المشعل المنير لكل الحركات التحررية في عهد بني أمية وبني العباس وها نحن سنتابعها ضمن السرد التأريخي لحكام الدولتين.

وأول بلد حمل مشعلها بعد العراق هو خراسان حيث انتقلت إليه مع الثائر الإمام يحيى بن زيد رحمه الله. وفي الحجاز اجتمع كبار أهل البيت وفيهم آل العباس وعلى رأسهم كبير بني هاشم كلها في عصره عبدالله الكامل بن الحسن بن علي بن أبي طالب عليهم السلام، واتفقوا على مبايعة محمد بن عبدالله النفس الزكية، والعمل متوحدين ضد الظلم والطغيان الأموي، فعمل كل في مجاله.

ولكن قادة بني العباس قد خرجوا سراً عن المسيرة الزيدية، وعملوا في خراسان لصالح أنفسهم حتى كانت الثورة في خراسان بقيادة أبي مسلم الخراساني، وكان الاستيلاء على الكوفة في العراق فكشفت عن حقيقتها. وأخرجت للناس إمامها فإذا هو أبو العباس المعروف بلقب السفاح فبايعه أهل الكوفة عام ١٣٢هـ، وعارضه فيها وزير آل محمد أبو سلمة الخلال فأوكل إلى أبي مسلم الخراساني قتله، فقتله غدراً، وأشاع أن قاتله هم الخوارج خشية انتقاض الشيعة عليهم.

ولم يطل حكم السفاح فقد مات بعد أربعة أعوام من عام البيعة، وتسلم الحكم

العباسي أخوه أبو جعفر المنصور، وبتوليه الحكم بدأت من جديد المحن والمصائب على أهل البيت النبوي الشريف.

وليس لذلك من سبب إلا الإنحراف بالدين والدولة، وعلمهم بأن خصوم كل انحراف ومنحرف هم أهل البيت النبوي الشريف حملة الرسالة الإسلامية وجنودها المخلصون، وزاد أبا جعفر المنصور خوفاً علم كبار الشيعة ببيعته للإمام محمد بن عبدالله النفس الزكية مع أخيه السفاح ونكثهم لها، فتخلص السفاح من كبير شيعتهم أبي سلمة الخلال، وحاول أبو جعفر التخلص من الإمام نفسه فطلبه فاختفى عنه، لعلمه بغدره، فحمل أبو جعفر والده عبدالله بن الحسن وكل الشخصيات البارزة في المدينة من آل علي إلى العراق، وخلدهم في السجن، كرهائن للطاعة ولتحضير الإمام محمد بن عبدالله.

وصار بعد ذلك يطارده بعيونه وجواسيسه حتى اضطر للظهور والثورة.

ثورة الإمام محمد بن عبدالله (النفس الزكية)

ولقد كانت ثورة النفس الزكية محمد بن عبدالله بن الحسن بن الحسن بن علي عليهم السلام التعبير الصادق عن مشاعر الجماهير الإسلامية، وعن مشاعر رجالات الفكر الإسلامي في عواصم المسلمين، لذلك فما إن رفعت راياتها في المدينة حتى هبت إليها الجماهير المسلمة في الحجاز واليمن والعراق، كما أعلن تأييدها رجال العلم والدين، فالإمام مالك في المدينة يفتي بعدم صحة بيعة المنصور لكونها أخذت بالإكراه، وأبو حنيفة في العراق يؤيد الثورة ويناصرها بالمال واللسان، وكانت ممثلة في أخيه ابراهيم بن محمد بن عبدالله، لذلك حقد المنصور على هذين العالمين الجليلين، فعذبهما بعد انتصاره على هذه الثورة بقيادة ابن أخيه عيسى، وقتل الإمام محمد بن عبدالله في المدينة، وقتل اخيه في العراق.

ولما وصل إلى المنصور رأس الإمام محمد، أرسله إلى أبيه وهو في سجنه فلم يزد الأب على أن قال: موعدنا يوم القيامة. واتجه بعد ذلك المنصور إلى القضاء على منافسيه، والعليمين بنكثه لبيعة الإمام محمد المقتول على يده، فغدر بأبي مسلم الخراساني وقتله في قصره، وبنى لعمه عبدالله بن علي داراً أساسها الملح، وسجنه فيها، ثم أجرى الماء عليها، وقيل وجه إليها سيول الأمطار فانهدمت وقتلت عمه عبدالله وكل أهله الذين لديه، وبعد ذلك شعر بالإستقرار.

ولكن فرار عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك الأموي صقر قريش من يده ويد أخيه من قبله قد شكل خطراً بعيد المنال، حيث تمكن من اقتطاع الأندلس، واتخذها مملكة أموية جديدة، وبذلك انشطرت الدولة الإسلامية إلى شطرين أحدهما في الشرق وعاصمته (بغداد) والثاني في الغرب وعاصمته (قرطبة).

ودفع هذا الإنشطار وظهور الدولة الأموية من جديد ـ المنصور إلى المزيد من الحزم، واليقظة لصيانة ملكه، وتخليده في ذريته، وكان آخر ما عمله لهذا الغرض هو إزاحة ابن أخيه عيسى عن ولاية العهد، وتثبيتها بأخذ البيعة لابنه محمد المهدي، وبعد موته سنة ١٥٨هـ تسلم المهدي هذا الحكم.

وكان المهدي هذا حكيماً ورحيماً إلا على بني عمه آل علي بن أبي طالب، فمن ذلك أمر بإطلاق كل من كان في سجن أبيه المنصور من ذوي الميولات السياسية، أو الجرائم الأخلاقية، إلا العلوي الحسن بن ابراهيم بن عبدالله بن الحسن فلم يطلقه، ولكنه تمكن من الفرار، فأرجعه بعد أن أمنه بواسطة يعقوب بن أبي داود مولى بني سليم، ثم سجن يعقوب هذا بتهمة ولائه للعلويين، وتوفي المهدي سنة ١٦٩هـ وتسلم الملك ولي عهده موسى الهادي وكان قاسياً، وعنيداً، وبذلك انتقضت عليه الأمور، حتى أموره الخاصة بمنزله، فقد أساء إلى أمه الخيزران، وحد من نفوذها، وسيطرتها، وأساء إلى أخيه هارون الرشيد الذي كان أول من بايعه بعد موت المهدي، وبتصرفاته السيئة، فسدت ولاته، فأفسدت عليه الأمصار، ومنها المدينة المنورة، فقد قام عامله فيها بحبس الحسن بن محمد بن عبدالله النفس الزكية مع آخرين، وطاف به في شوارع المدينة زيادة في الإهانة، وتشويهاً لسمعة أهل البيت النبوي الشريف، فاحتج عليه الحسين بن علي بن الحسن (المثلث) بن علي عليهم السلام، وطالبه بإطلاقه، فأطلقه بكفالته، وكفالة يحي بن عبدالله، واشترط العامل عليه الحضور إلى السجان كل يوم للتأكد من وجوده، وبقائه في المدينة وذات يوم افتقده، فطلب الكفلاء وهددهم من أجله، فخرجوا من مجلسه، وأجمعوا أمرهم على الثورة وبايعوا الإمام الحسين بن علي بن الحسن، ورفعوا شعار الثورة الزيدية، وكان حينذاك الأذان (بحي على خير العمل) واستولوا على المدينة.

وعلم بهذه الثورة موسى الهادي، فأرسل جيوشه بقيادة موسى بن عيسى، وكانت المعركة في مكان يسمى فخ ـ وهو الأن بين التنعيم وحديقة الزاهر بمكة المكرمة، وقد نسب الإمام إلى هذا المكان حيث قتل فيه.

وبعد قتل الإمام الحسين تفرق من بقي سالماً من جيشه في الآفاق، ومنهم إدريس بن عبدالله بن الحسن، ويحيى بن عبدالله بن الحسن. فأما إدريس فلحق بالمغرب وتمكن من تأسيس دولة الأدارسة هناك. وبعد هذه المعركة لم تطل مدة موسى الهادي، فقد مات بعد بضعة أشهر منها سنة ١٧٠هـ قيل بمرض القرحة في بطنه، وقيل قتلته أمه الخيزران بواسطة جواريها. وتسلم الحكم بعده هارون الرشيد وبه ابتدأ العصر الذهبي كما يقولون وبلغ الحكم القمة في عهد ابنه المأمون، ولكن هذا العصر الذهبي لم يخل من المشاكل، فقد ثار في الديلم يحيى بن عبدالله الذي نجا من مقتله فخ ـ وأرسل هارون لإخضاعه جيشاً بقيادة الفضل بن يحيى، وتمكن الفضل من أن يتجنب الحرب مع الإمام يحيى، بل وتمكن من إستسلامه للمصالحة مع هارون الرشيد، بعد أن ضمن له أن يكتب له الرشيد أماناً بخطه، ويشهد عليه العلماء والصلحاء والوجهاء لديه، ففعل الرشيد ذلك كله، ولكنه بعد وصوله إليه حبسه بمنزل جعفر بن يحيى بن خالد البرمكي مدة، ثم أنزله (المطبق) مكان مظلم في السجن ومات به مسموماً، وقيل جوعاً وعطشاً، وقيل بل أطلقه جعفر فذهب في الأرض متخفياً حتى مات، ومن يرى هذا القول يقول: أنه كان السبب الأهم في قتل الرشيد جعفر البرمكي والقضاء على البرامكة.

ومهما يكن فالإمام يحيى قد انتهى، ولكن الثورات لم تنته، ففي اليمن ثار هيصم بن عبد الرحمن الهمداني، فأرسل إليه جيشاً بقيادة حماد البربري الذي نصحه الرشيد بالنصيحة المشهورة ـ وهي: أسمعني أصوات أهل اليمن ـ وثارت الخرمية بقيادة بابك الخرمي وقد دعت هذه الثورة إلى الإباحية والاشتراكية المزدكية، وما تزال هذه الفرقة باقية في إيران حتى اليوم، ولكنها من الأقليات، وقد صعب على الرشيد القضاء عليها حتى مات سنة ١٩٣هـ. وتسلم الحكم ابنه الأمين ولم يكن قادراً على تحمل المسؤولية لذلك فقد لعبت في عهده السياسة الهدامة حتى اوقعته صريع أخيه المأمون.

فبويع المأمون في خراسان سنة ١٩٨هـ وفي أول عهده ثارت العراق وبايعت الإمام محمد ابن ابراهيم طباطبا بن اسماعيل بن ابراهيم بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب رضوان الله عليهم، وناصره أبو السرايا السري ابن منصور الشيباني، وبعد موت الإمام محمد ابن ابراهيم، بايعوا الإمام محمد بن محمد بن زيد بن علي بن الحسين، واستمر في الجهاد حتى قتل أبو السرايا، فأسر وأرسل إلى المأمون فأكرم نزله حتى مات.

وكان هذا الإمام قد أرسل قاداته إلى الحجاز وإلى اليمن، وكان قائده في اليمن هو: إبراهيم بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق رضوان الله عليهم، وكانت قيادته في صعدة وجرت بينه وبين القائد العباسي حمدويه بن عيسى بن ماهان عدة معارك طاحنة فتك في معظمها بالجيوش العباسية وأنصارهم، ولذلك لقبوه بالجزار، ولكنها انتهت بإنتصار الجيش العباسي، ورجع قائده حمدويه يتتبع اليمنيين ويقتلهم ويشردهم، فما زاد بذلك إلا من حقدهم، وكراهيتهم للحكم العباسي، كما زاد بطش الحسن بن سهل في العراق من ذلك الحقد والكراهية للحكم العباسي.

وشعر المأمون بخطر ذلك على حكمه، فحاول أن يمتص بدهائه ذلك الحقد والسخط من قلوب الجماهير فأظهر الولاء والحب لأهل البيت النبوي الشريف، وطلب من المدينة المنورة رجال هذا البيت، فحملهم عامله إليه، وفيهم الإمام الرضى علي بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق عليهم السلام، ولما وصلوا أرسل الفضل بن سهل وأخاه الحسن بن سهل وهما من كبار قاداته إلى الإمام الرضا ليبلغاه بأن المأمون قد رغب في أن يجعله ولياً لعهده، وأنه عازم على أخذ البيعة له من الناس، فلم تنطل على الإمام الرضى هذه الحيلة لما يعرف من دهاء المأمون من جهة، ولأن ولاية العهد مخالفة لمبادىء أهل البيت وأهدافهم من جهة أخرى، وفي الأخير هدد الإمام الرضى بالقتل إن لم يقبل، وجمع المأمون كبار القادة والوجهاء وأدخل عليهم علي بن موسى الرضى، وبايعوه بولاية العهد، وأسرع المأمون بنشر هذا النبأ العظيم وتلقته كل أوساط الجماهير بالرضى.

لكن العباسيين في بغداد رفضوه، وبايعوا ابراهيم بن المهدي. عندها عزم المأمون على الرحيل إلى العراق، وفي طوس وقف أياماً بجوار قبر أبيه هارون ولم يرحل منها إلا وقد قضى بالسم على الإمام، ودفنه بجوار أبيه ثم ارتحل، ووصل بغداد العاصمة واستقبله الناس بالفرح والسرور، وأرسل عماله إلى الآفاق، وأرسل إلى اليمن محمد بن عبيدالله بن زياد، لما يعرف من بغض هذا البيت لعلي وأهل بيته كما قال إبن خلدون. واستقرت الدولة العباسية في عهد المأمون أكثر من غيره، وبلغت القمة في المجال العلمي والتقدم الحضاري في ذلك الوقت، ولما مات المأمون عام ٢١٨هـ تسلم الحكم من بعده أخوه محمد بن هارون الملقب بالمعتصم واقتفى اثر أخيه المأمون في سياسة الدولة واتجاهاتها إلا أنه في الشؤون العسكرية جعل من الأتراك والمغاربة قوة كان يهدد بها مراكز القوى العربية والفارسية، فأضعف بذلك قوة العرب، وأسس أول قوة تحكمت

فيما بعد في الدولة العباسية، ثم تحكمت في مصير ملوكها، وإن يكن لها أثر غير هذا فهو ذلك النصر على الثورة البابكية الخرمية. التي أعجزت من قبله. واستمر في الحكم حتى مات عام ٢٢٧هـ وتسلم الحكم إبنه هارون بن محمد بن هارون الملقب بالواثق، وسار على نهج والده، ولم يطل حكمه إذ مات عام ٢٣٢هـ. وتسلم الحكم أخوه جعفر بن محمد الملقب بالمتوكل، وبعهده بدأ عهد الإنحدار والإنحلال للدولة العباسية، إذ كان ظلوماً، ماجناً، فهدم ما بناه الرشيد، والمأمون من مجد، والتهى بمحاربة العلماء، ورجال الفكر، فسجن كبيرهم أحمد بن أبي داود، وابنه محمد، وصادر أملاكهم، وأغلق باب الاجتهاد، وحرية الفكر، كما حارب أهل الذمة من اليهود والنصارى في عقيدتهم، ولم يسلك معهم مسلك الإسلام في حرية العقيدة، فهدم بيعهم، وكنائسهم، ومنعهم من مزاولة شعائرهم.

أما أهل البيت النبوي الشريف، فقد كان نصيبهم من ظلمه، وجهالته النصيب الأكبر، فقد صادر أراضي فدك التي ردها إليهم من قبله، وأمر بهدم قبر الإمام الحسين بن علي عليهم السلام، وبهدم ما جاوره من الدور، والمنازل بكربلاء، كما أمر أن يحرث، ويبذر مكانه، ويجري عليه الماء، ومنع الناس من إتيان هذا المكان، إلى غير ذلك من أعماله التي ضاق منها الكبير، والصغير، وحتى كبار رجال دولته.

لذلك فقد تآمروا عليه مع إبنه، وقتلوه في داره، وهو منهمك في الشراب سنة ٢٤٧هـ. وتسلم الحكم إبنه المتآمر على قتله، ولقب بالمنتصر فأمر بإعادة تشييد قبر الإمام الحسين، وبتشييد قبر الإمام علي كرم الله وجهه، وأعاد أرض فدك إلى أهل البيت، كما أعاد لأهل الذمة حريتهم في العقيدة، ولكنه لم يدم في الحكم إلا بضعة أشهر، وتسلم الحكم بعده أحمد بن المعتصم، وتلقب بالمستعين.

وفي أيامه ثار في العراق الإمام يحي بن عمر بن يحي بن الحسين بن زيد بن علي بن الحسين رضوان الله عليهم. وثار في طبرستان الإمام الحسن بن زيد بن محمد بن إسماعيل بن الحسن بن زيد بن الحسن بن علي عليهم السلام جميعاً سنة ٢٥٠هـ.

أمّا الإمام يحي بن عمر فقد انتهت بقتله بعد عدة معارك رحمه الله، وأما الحسن بن زيد فقد قوي أمره، واشتد ساعده، حتى تمكن من تأسيس الدولة الزيدية في طبرستان، وما إليها، وانفصلت عن الدولة العباسية نهائياً في عهد احمد بن المتوكل الملقب بالمعتمد، واستمرت أكثر من مائتي عام تنعم بالحكم الزيدي بقيادة الأئمة من أهل البيت النبوي الشريف رضوان الله عليهم.

أمّا كيف تم للإمام الحسن بن زيد تأسيس الدول الزيدية في طبرستان فكما يلي: بعد أن فشلت ثورة الإمام يحيى بن عمر رحمه الله، فر من سلم من جنده، وقادات جيشه، وتفرقوا في الآفاق، وكان منهم الحسن بن زيد المذكور، فوصل الديلم (مازنداران) حيث مكث هناك مرابطاً، مرشداً، وداعياً إلى الله، واشتهر أمره حتى لقب بالداعي، وكانت طبرستان قد صارت من قطائع محمد بن عبدالله بن طاهر قائد جيوش المستعين الذي قضى على ثورة الإمام يحيى بن عمر، فأقطعه لذلك صوافي مما يلي الديلم، فساءت سيرة عماله عليها، واشتد ظلمهم بأهلها، فهبوا للبحث عن رجل يوحد شملهم، ويجمع كلمتهم، ويقودهم إلى شاطيء الحرية، والسلام، في ظل حكم إسلامي صحيح، فتوجهت أنظارهم نحو البيت النبوي الشريف بصفة رجاله الطرف المعارض دائماً للظلم. العباسي وغيره، ولما شهروا به من حق وعدل وإستقامة.

وكان من أشهر الموجودين لديهم من أهل هذا البيت محمد بن ابراهيم بن علي بن عبدالله بن محمد بن القاسم ابن الحسن بن زيد بن علي سلام الله عليهم، فذهبوا إليه وكان مقيماً في مدينة إسمها (كيجور) وطلبوا منه القيام بأمرهم، لإنقاذهم من الظلم، والظالمين، واستعدوا لمبايعته إماماً شرعياً عليهم.

ولكنه رضي الله عنه لم يقبل، وقال لهم: أدلكم على رجل هو أقوم بما دعوتموه إليه مني. فقالوا: من هو؟ فأخبرهم بأنه الحسن بن زيد الداعية المذكور، ودلهم على منزله، ومسكنه (بالري)، فذهبوا إليه برسالة من محمد بن ابراهيم عليه السلام يدعوه فيها إلى الوصول إلى طبرستان.

ولما جاءهم، بايعوه جميعاً على العمل بكتاب الله وسنة رسوله، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر. وبذلك (تأسست سنة ٢٥٠هـ أول دولة للزيدية في طبرستان). وبدأ الصراع المرير الدامي، وتمكن الإمام الحسن بن زيد خلاله من تطهير طبرستان من جنود العباسية، وفتح (آمل) عاصمتها، وعين عليها والياً محمد بن ابراهيم المذكور، تنفيذاً لرغبة أهلها.

وكما تأسست الدولة الزيدية في طبرستان برغبة أهلها، واختيارهم، فقد تأسست في اليمن كذلك برغبة أهلها، واختيارهم، ولنفس الهدف المذكور، وقصة ذلك كما يلي:

سبق أن عرفنا أن المعتصم العباسي ت ٢٢٧ أسس جيشاً من الأتراك والمغاربة، ليهدد به القوى العسكرية العربية والفارسية، ولكن هذا الجيش ما لبث إلا قليلاً بعد

موت المعتصم حتى تمكن من التحكم في مصير ملوك بني العباس أنفسهم.

فقتل المتوكل العباسي سنة ٢٤٧. وأقام ابنه في الحكم، ولقبه بالمنتصر وبعد بضعة أشهر مات فأقام المستعين ثم خلعه سنة ٢٥٢. وأقام المعتز ثم خلعه سنة ٢٥٥. وأقام المهتدي وبعد خلعه وقتله سنة ٢٥٦. أقام المعتمد ت ٢٧٩.

وفي عهد المعتمد انفصلت طبرستان، وتحررت بقيادة الإمام الداعي الحسن بن زيد رحمه الله وهو مؤسس الدولة الزيدية في طبرستان كما سلف ذكره.

وانفصلت عن الدولة العباسية في عهد المعتمد الدولة السامانية، واستقل بملك مصر والشام احمد بن طولون.

وبعد موت المعتمد سنة ٢٧٩. أقام الجيش المعتضد أحمد ت ٢٨٩. وفي أيامه ظهرت القرامطة في العراق، والبحرين، واليمن، وعمت كل أنحاء الدولة العباسية المحن، والفتن. وكانت اليمن في هذه الفترة في وضع لا يحسد عليه، فهي غارقة في الفوضى، ومثخنة بالفتن، ومتخمة بالدويلات، والحكومات، والمشيخات.

ففي تهامة كان يحكمها ابراهيم بن محمد بن عبيدالله بن زياد بن أبيه، وكان مع والده محمد عامل المأمون ومؤسس الدولة الزيادية في اليمن - كان مثلاً للظلم، والاضطهاد، وبالأخص لشيعة الإمام علي كرم الله وجهه، تنفيذاً لرغبة الحكام العباسيين الذين اختاروا والده محمد لكونه من رجال الأسرة الزيادية المعادية لأهل البيت النبوي الشريف، وشيعتهم وهي أسرة زياد بن أبيه الذي استلحقه معاوية بنسبه كما قال عمارة اليمني في تأريخه المفيد وغيره من المؤرخين.

أما الحكم في جبال اليمن فكان موزعاً بين حكومات، ومشيخات كثيرة، فمنها حكومة أسعد بن أبي يعفر المتوفى سنة ٢٣١. وكانت بشبام وكوكبان، وصنعا وما إليها، وفي حاشد مشيخة آل الضحاك، وفي أرحب وما إليها مشيخة آل الدعام، وفي خولان العالية مشيخة آل أبي الفتوح، وفي عدن لاعة ومسور حجة حكومة حسن بن فرج بن حوشب بن زاذان الكوفي بلداً الإسماعيلي مذهباً، وكان لقبه الإسماعيلي منصور اليمن.

وفي يافع ثم المذيخرة وما إليها حكومة علي بن فضل بن جدن الخنفري الجيشاني، وكان هذا في البداية محافظاً على الانتماء الإسماعيلي مذهباً، وعلى الإنتماء السياسي لحفيد إسماعيل بن جعفر الصادق، وهو في عصره عبيدالله المهدي مؤسس الدولة الفاطمية في

المغرب سنة ٢٨٠ ـ ٣٣٢هـ.

ولكن ابن فضل انحرف بعد أن استقام أمره إلى المنهج الإسماعيلي القرمطي أتباع حمدان بن الأشعث الملقب بقرمط أي: المعلم، وهذا المنهج يخول لمتبعه الاستقلالية في الحكم، ويخول للمتمكن من الحكم كل الحقوق التي يتمتع بها الإمام في نظرهم، حتى حقوق التحليل والتحريم كما سيأتي بيانه.

أما منصور اليمن حسن بن فرج بن حوشب فقد استقام على دعوته الإسماعيلية حتى مات، ثم تناقلها عنه الدعاة حتى تسلمها علي بن محمد الصليحي مؤسس الدولة الصليحية في اليمن ٤٣٩ ـ ٤٥٨هـ كما سيأتي بيانه.

وللتخلص من هذه الأوضاع التي مزقت اليمن، وشتت شملها، وعمت بسببها الفتن والمحن، فكر اليمنيون المخلصون من شيعة أهل البيت النبوي وغيرهم في إيجاد حل لكل تلك المشاكل، وأجمع رجال الحل والعقد فيهم على البحث عن رجل من أهل البيت، يوحد شمل اليمنيين، ويقودهم إلى شاطيء الأمن، والاستقرار في ظل الحكم الإسلامي الصحيح القائم على الحق والعدل، والشورى. ففتشوا الأرض فلم يجدوا قريباً منهم لذلك إلا يحي بن الحسين بن القاسم بن ابراهيم عليهم السلام. وجدوه مع أهل بيته في زاوية من زوايا الحجاز، البعيدة عن أنظار الحكام العباسيين، في قرية اسمها (الفرع) بضم الفاء في سفح من سفوح الرس، وتقع فيما بين المدينة المنورة وبين الجهة الشرقية من بدر، مكان الغزوة النبوية المشهورة، وتبعد عن المدينة جنوباً مسافة سبعين كيلو تقريباً، وما يزال إلى الآن أثرها قائماً.

وجدوه هنالك ينشر العلم، ويدعو إلى الله، وبعد أن خبروه ودرسوه، وأعجبوا به عقيدة وسلوكاً، دعوه للخروج معهم إلى اليمن للدعوة إلى الله، ولتوحيد شمل اليمنيين على منهج الحق، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر. وبعد أن استخار الله لبى دعوتهم، وسار مع بضعة[1] من أهله، ومريديه معهم، فوصل صعدة لستة أيام خلون من شهر صفر سنة ٢٨٤هـ وهذه هي المرة الثانية التي يخرج فيها إلى اليمن تلبية لطلب أهلها، وكان قد خرج عام ٢٨٠هـ. وبدأ بالإصلاح ثم رجع إلى بلده الحجاز لما وجدهم لا يطيعونه إذا أمرهم بمعروف أو نهاهم عن منكر.

أما هذه المرة فلما بلغ الناس قدومه حتى خرجوا من صعدة لاستقباله، فبادر

(١) جلتهم مع أهله ومريديه ـ٥٠ـ شخصاً سيرة الهادي ص ٤٢.

لإصلاح ذات شأنهم، فدعاهم إلى التطهير من الأحقاد، والضغائن التي ولدتها الحروب بينهم، وذكرهم، وخوفهم في خطبة وعظية طويلة، أبكاهم ما سمعوا من كلامه، وتذكيره فيها، ثم لم ينصرفوا إلا وقد أصلح شأنهم، واختلط الفريقان المتحاربان يقبل بعضهم بعضاً، وبعدها بايعوه جميعاً إماماً شرعياً، وحلفوا له على الطاعة، والمناصرة، والقيام بأمر الله، وبالأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، ثم دخلوا جميعاً صعدة، وكان هذا هو أول عهد الدولة الزيدية في اليمن ٢٨٤هـ.

وفيها خطب في الناس، وأعلن في خطابه دعوته، ووضح فيه منهجه السياسي في الحكم، ودستوره الذي سوف يسير على نهجه، فقال عليه السلام:

أيها الناس أدعوكم إلى ما أمر الله أن أدعوكم إليه، إلى كتاب الله وسنة رسوله، وإلى الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، فما جاءنا به الكتاب اتبعناه، وما نهانا عنه أجتنبناه، وإلى أن نأمر نحن وأنتم بالمعروف ونفعله، وننهى نحن وأنتم عن المنكر جاهدين ونتركه، ثم شرط على نفسه شروطاً فقال:

أيها الناس، وبعد فإني أشترط لكم أربعاً على نفسي:

١ ـ الحكم بكتاب الله وسنة نبيه ﷺ.
٢ـ والأثرة لكم على نفسي فيما جعله الله بيني وبينكم، أوثركم فلا أتفضل عليكم.
٣ـ وأقدمكم عند العطاء قبلي.
٤ـ وأتقدم أمامكم عند لقاء عدوي وعدوكم بنفسي.

واشترط لنفسي عليكم إثنين:

١ ـ النصيحة لله سبحانه، ولي في السر والعلانية.
٢ـ الطاعة لأمري على كل حالاتكم ما أطعت الله، فإن خالفت طاعة الله فلا طاعة لي عليكم، وإن ملت أو عدلت عن كتاب الله، وسنة رسوله فلا حجة لي عليكم.

قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني وسبحان الله وما أنا من المشركين.

وتلقى الشعب اليمني هذه الدعوة الإسلامية بالطاعة والإنقياد، إذ وجدوا فيها الخلاص من الفتن والمحن، ومن دكتاتورية الدويلات المتناحرة في أكثر مناطق اليمن.

ولذا فقد تمكن الإمام الهادي عليه السلام من السيطرة بالحق والعدل على اليمن، ما عدا منطقة بني زياد التهامية، وذلك بواسطة القوى الشعبية المؤمنة، التي تذوقت حلاوة السعادة في ظل دولة الحق، والعدل، والحرية، والمساواة، وغير ذلك من القيم الإنسانية، التي استوعبها الفكر الإسلامي، الذي حمله إليهم الإمام الهادي رحمه الله، وطبقه عقيدة وممارسة بينهم. وبدأ في إرساء قواعد الأمن، والإستقرار، والحكم الحق، والعدل، وأرسل ولاته إلى المناطق وكان واليه على عدن أبو عبدالله الرازي. أما الحجاز فقد استمر على ولائه سبع سنوات، وخطب له فيها بمكة المكرمة.

وضربت النقود الذهبية، والفضية باسمه في صعدة[1] وحددت المكاييل والمقاييس، واشتهرت حتى زماننا هذا بذراع الهادي، ومكيال الهادي ومن مأثره في الحجاز مسجد الهادي بمدينة الطائف، واستقرت الأحوال بضعة أعوام.

وقلق لذلك أرباب الدويلات، وأصحاب المصالح، فتكاتفت جهودهم للحد من قوة الإمام، وتفوقه، ووقفوا جنباً إلى جنب ضده، وأشعلوا نيران الفتن في أكثر مناطق اليمن بواسطة أصحاب المصالح والأهواء فاضطر الإمام الهادي إلى الرجوع إلى صعدة، وبرجوعه رجعت الفتن من صنعاء إلى عدن.

وحدثت مجاعة رهيبة في عام ٢٩١هـ، فاستغلها الداعية علي بن فضل القرمطي، ودعا الجائعين إلى الخروج معه لقتال الشابعين، كما استغلها ابن حوشب الكوفي ـ منصور اليمن ـ فاستولى على شبام عاصمة مملكة بني يعفر. وفي سنة ٢٩٣هـ استولى علي بن الفضل القرمطي على صنعاء، بعد أن أخضع سلطنات ومشيخات لحج، عدن، والمذيخرة، وجعل المذيخرة عاصمة لملكه.

ثم انقلب على الباطنية الإسماعيلية التي التزم بها مع إبن حوشب الكوفي ردحا من الزمن، وتحول إلى الباطنية القرمطية التي تعني القيام مقام الإمام المستور في الحكم أصلاً لا نيابة، وحارب ابن حوشب زميله في الدعوة، ورفيقه في العهد الذي أخذه عليهما الإمام المستور (حسب التعبير الإسماعيلي) حسين بن احمد بن عبدالله بن محمد بن إسماعيل بن جعفر الصادق، وبه دخلا اليمن سنة ٢٦٨هـ للدعوة الإسماعيلية، والسمع، والطاعة لابنه عبيدالله المهدي الذي أخبرهم بأنه سيظهر في المغرب، وربما أن علي بن

(١) أطلعت في المتحف البريطاني قسم النقود على نماذج من نقود العملة اليمنية التي كانت تضرب بإسم الأئمة أو غيرهم من الملوك والسلاطين، وتمتاز نقود الملوك والسلاطين بكتابة اسم الخليفة العباسي، أو الفاطمي، أو غيره ممن كانوا يحكمون اليمن باسمه وتأييده ومؤازرته، كما نرى في صورها الملحقة بهذا.

فضل القرمطي قد اندفع إلى هذا التحول لما فيه من إرضاء لطموحاته، ومن حفاظ على ذاتيته اليمنية فأبى لذلك أن يخضع لعبيدالله المهدي، بل أقام نفسه إماماً ينهج نهج الأصول الإمامية الباطنية القرمطية.

والحفاظ على الذاتية اليمنية هو الذي حمل فيما بعد باطنية اليمن على عدم الاعتراف برئاسة داود بن عجب شاه الهندي، واختاروا لهم رئيساً يمنياً اسمه سليمان بن الحسن، وبذلك انقسمت المستعلية الباطنية إلى قسمين داودية، وسليمانية، كما سيأتي بيانه.

وفي هذه الفترة التي ظهرت فيها الباطنية في اليمن، وتغلبت على أكثر مناطقها، وحكوماتها ومشيخاتها، اضطر أولئك الذين خالفوا الإمام الهادي، ونكثوا بيعته إلى الرجوع اليه. والإستناد إلى مذهبه لما يشمله من مبادىء وأهداف إسلامية ترضى الفقراء، ولا تسخط الأغنياء وتلك هي مزية الإسلام على ما سواه من الملل والنحل.

وتحالفوا جميعاً على الوقوف معه ليحاربوا الباطنية بكل أشكالها وألوانها.

ومن المهم الآن أن نتعرف على الباطنية الفكر، لنكون على بينة من أمر أصحابها، ومعتنقيها، ومن أمر أعاديها، ومحاربيها، على مدى التأريخ الإسلامي الطويل.

والذي يظهر بالتتبع والاستقراء أن الباطنية قد ظهرت في النصف الثاني من القرن الثالث الهجري كدعوة دينية، وسياسية ذات نظام وتخطيط سري دقيق.

وظهر من إنتاجها الفكري المبكر رسائل إخوان الصفاء وخلان الوفاء، وهذه التسمية لتدل بوضوح على أن ورائها جمعية سرية ذات مبادىء وأهداف، وهي ترتكز على فلسفة تتبع في حدوث الكائنات الفلسفة الأفلاطونية الجديدة.

وتتبع الفلسفة الفيثاغورية القديمة في تقديس العدد (٧) وجعل النظام الكوني والحوادث التأريخية مترتبة عليه، وقد أكد هذا ما ظهر من مؤلفاتهم، ورسائل دعاتهم، ومن خلال الدراسات الفاحصة لممارساتهم في عهود الظهور - كما يسمونها - التي فيها حكموا اليمن من جملة ما حكموا من أقطار في منطقة الشرق الأوسط، ولكنه لم يستطع أحد من الباحثين - كما أعلم - أن يحدد بالأدلة القاطعة رجال هذا الفكر والفلسفة للعقيدة الباطنية، ويرجع السبب في ذلك إلى ما عرفوا به من حرص شديد على السرية والتستر، حتى أنه أصبح أصلا من أصول الدعوة الباطنية التي يتمسكون بها حتى هذا العصر، الذي أنطلق فيه كل ذي عقيدة إلى الإفصاح عن عقيدته في معظم دول العالم - وسموه لذلك ونحوه عصر الحريات.

وما كان تسترهم بالتشيع لأهل البيت النبوي الشريف، بل لقد جعلوه من أهم قواعد منطلقاتهم في الحياة، إلا إستغلالا للمكانة الإجتماعية التي يتمتع بها هذا البيت النبوي في كل الشعوب المسلمة، والتي رفعتهم الشعوب الإسلامية إليها لقرابتهم من رسول الله، ولتضحياتهم الجسيمة في سبيل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ولسلوكهم الطيب الذي سلكوه تجاه أمر الله، وشريعته المطهرة، ولما واجهوا من أجل ذلك في ظل الحكم الأموي والعباسي من قتل، وتشريد، وإهانة، وإخافة، وغير ذلك من أنواع الظلم وفنون العذاب. ولذا فقد انتسبوا مذهباً إلى إسماعيل بن جعفر الصادق، وعرفوا بسببه بالإسماعيلية، ولكن هذا الإنتساب لم يكن إلا مجرد ستار وتغطية كما يقولون، لأن الإمامة في نظرهم تقابل العقل الأول في الدرجة، وهي أول مظهر من مظاهر النظام الكوني، والحوادث التأريخية المترتبة على رقم (٧) سبعة كما سيأتي بيانه.

وقد قالوا في فلسفتهم للوجود وخالق الوجود[١]: إن الله قديم، وقبل الأزل، وأن عالم الموجودات والمبدعات محدث. وهذا قول معقول ـ ولكنهم بعد ذلك قالوا: إن الله لا يوصف، وليس له شيء من الأسماء الحسنى، زاعمين بأنها توجب التشخيص والتجسيم، ولا شك أن الله قد سمى نفسه بأسماء، ووصف نفسه بصفات، لتبيين عظمته، وجلاله، وقدرته، ورحمته، فإنكارها إنكار لصرائح القرآن.

وقالوا في فلسفتهم عن أصل المخلوقات: إن أول ما خلق الله هو العقل الأول، وهو أصل الموجودات، ومركز عالم المعقولات بالقوة، وهو مركز عالم الأجسام بالفعل، وهو أقرب شيء إلى الله، وهو صورته والفاعل لما دونه بأمره، وعلة كل الموجودات.

ويقال له: القلم، والعرش، والأول، والسابق، والملك المقرب، والإسم الأعظم، ثم سلسلوا المخلوقات كما يلي:

---

(١) مرجع هذا البحث الإمامة لعارف شامر ص٦٦ وما بعدها. وتأريخ العرب لفليب حتي ج٢ ص٥٣٢ و ٥٣٣ و ٣٤٠ و ٥٥٧ ـ وتاريخ عمارة وتعاليق كاي ترجمة د: حسن سليمان محمود والصليحيون للهمداني. وبلوغ المرام للقاضي حسين العرشي، واليمن عبر التاريخ للعلامة أحمد حسين شرف الدين، واليمن الكبرى للعلامة حسين الويسي، والتأريخ للطبري، وتثبيت النبوة للإمام المؤيد بالله، والإمام جعفر الصادق أبو زهرة وكشف أسرار الباطنية للحمادي، وغاية الأماني ليحي بن الحسين بن القاسم، وسيرة الإمام الهادي للعلامة علي بن محمد بن العباس، وتأريخ القاضي عبدالله الشماحي، وتاريخ الدولة الفاطمية د. حسن ابراهيم حسن، والموسوعة العربية الميسرة ص١٨١ و ص١٣٤٢. والبحر الزخار للإمام المهدي.

قالوا: إن من العقل الأول تولدت النفس الكلية. ويقال لها: اللوح، والثاني، والتالي، والقدر، والملك، والصورة والقمر.

ويقال للعقل والنفس: الأصلان فالعقل أصل الأشياء الروحية، والنفس أصل الأشياء الجسمية، ومنها يتولد الهيولي، ومن الهيولي الصورة - أي الطبيعة عند أهل الطبيعة ومنها سائر الأجسام، لأن النفس كما قالوا قد تكون نامية وقد تكون جامدة، فالنامية هي التي تكون في الناميات كالنباتات ونحوها، ومن النباتات تتولد النطفة في الحيوانات ومنها نطفة الإنسان.

وقالوا: إن هذه الأجسام تتدرج من الأدنى إلى الأعلى[1] فأعلى الناميات الجسمية الإنسان، والأعلى في نوع الإنسان هم الفلاسفة، وأعلى منهم الأنبياء، وأعلى منهم الإمام ولذا فهو أشرف الأجسام عندهم، ودرجته تساوي درجة العقل الأول الذي قالوا: إنه أصل الوجود، وعلته، ومن أجل هذا قالوا: إن الخلق لا يستقيم لحظة واحدة بدون إمام.

ومن هنا قالوا: إن الإمامة غير مبتدأة بالإمام الذي انتسبوا إليه، وهو إسماعيل بن جعفر الصادق، لأنها لو كانت كذلك لكانت محدثة، وهي في نظرهم تقابل العقل الأول غير أنها في عالم الأجسام، وجرهم هذا التفكير إلى فلسفة النظام الكوني لأشرف الأجسام والحوادث التأريخية المتعلقة به.

ولما لرقم - ٧ - سبعة عندهم من قداسة قالوا: إن الحياة الإنسانية والكونية التي ابتدأت به قد ترتبت على سبعة أدوار، وكل دور يتألف من إمام مقيم، ورسول ناطق، وأساس له، ومن سبعة أئمة يكون سابعهم هو المتم للدور. ولكنه لما لم يستقر هذا الترتيب في كل الأدوار قسموها إلى أدوار كبيرة وصغيرة، وهذه صورة من صور تلك الأدوار عندهم: في الدور الأول قالوا:

١ - الإمام المقيم إسمه هنيد: وهو كما يزعمون الذي يقيم الرسول الناطق ويعلمه ويربيه ولا أدري أهنيد هذا من ولد آدم أم لا؟

٢ - الرسول الناطق وهو أدم عليه السلام

٣ - الأساس وهو هابيل: ويعنون بالأساس الشخص الذي يرافق الناطق ويساعده وهو أمين سره.

---

(١) نظرية النشو والتطور لدروين تتقارب مع هذه النظرية

٤ - الإمام المتمم وهو لامك بن متوشلخ: ويعنون بالمتم الذي يتم أداء الرسالة ويكون المسؤول عن الدعوة الباطنية، وحافظها فكراً، ومبينها تفسيراً وتأويلاً.

٥ - الإمام المستقر وهو أنوش وأولاده: ويعنون به الإمام الذي له الحق في توريث الإمامة لتستقر فيه بذلك التوريث.

٦ - الإمام المستودع: ويعنون به الذي يستودع شؤون الامامة في الظروف الإستثنائية وقد يسمونه نائب الغيبة.

وفي عهد الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وهو عهد الدور السادس كما يزعمون، وهو لا ينتهي إلا بظهور الإمام المهدي المنتظر ولذا فهذا الدور كبير وطويل ولا يعلم نهايته إلا الله. في هذا العهد الرسولي قالوا:

الإمام المقيم: هو أبو طالب.

والرسول الناطق: هو محمد صلى الله عليه وآله وسلم. وعلى زعمهم هذا يكون الرسول قد تعلم القرآن والشريعة من أبي طالب. قاتلهم الله أنى يؤفكون.

والإمام الأساس: هو علي بن أبي طالب كرم الله وجهه.

والإمام المتم: هو محمد بن إسماعيل بن جعفر الصادق.

ثم انهم جعلوا للإمام بصفته المركز الذي تدور عليه الفرائض وتنطلق منه كل التشريعات صلاحيات عظيمة في مجال التطبيق والواقع، فله الحق في التشريع فيحلل الحرام، ويحرم الحلال، لما أوتيه على زعمهم من قدرة خارقة على معرفة الضر والنفع، ومن هنا فلا يستبعد صحة قول الشاعر اليمني في حصر ما أباحه لهم علي بن فضل الجدني الخنفري الجيشاني بقوله:

خذي الدف يا هذه والعبي	وغني هزاريك ثم اطربي
تولى نبي بني هاشم	وهذا نبي بني يعرب
لكل نبي مضى شرعة	وهذي شريعة هذا النبي
فقد حط عنا فروض الصلاة	وحط الصيام ولم يتعب
إذا الناس صلو فلا تنهضي	وإن صوّموا فكلي واشربي
ولا تطلبي السعي عند الصفا	ولا زورة القبر في يثرب
ولا تمنعي نفسك المعجبين	من الأقربين مع الأجنبي
بماذا خللت لهذا الغريب	وصرت محرمة للأب
أليس الغراس لمن قد رباه	وأسقاه في الزمن المجذب
وما الخمر إلا كماء السماء	حلال فقدست من مذهب

وقد رواها وتحدث عنها كل المؤرخين اليمنيين كما هو معروف.

أما التنظيم السياسي لما بعد حياة الإمام المستقر كما يسمونه، فقد جعلوا للإمام المستقر الحق في تعيين خليفته من أولاده لمعرفته الأصلح منهم بما أوتيه من معرفة خارقة للعادات. ويلاحظ أن هذا قد فتح الباب لإدعاء الإمامة كما سيأتي.

وكان النظام والتنظيم السياسي لما بعد غيبة الإمام واستتاره على النحو التالي:[1] بعد درجة الناطق والوصي والإمام المستور تأتي درجة الباب:

الباب: وهي وظيفة سرية لا يعرفها إلا رجال الدعوة المقربون، وعلى صاحب هذه الدرجة كل التوجيهات السياسية والدينية. وظهرت هذه الرتبة في عهد الدولة الفاطمية وكان من أعماله رئاسة الدعوة الفاطمية، وأخذ العهد على المريدين مباشرة أو بوساطة.

الحجة: ويلقب به رئيس الدعوة في أي اقليم من الأقاليم.

الداعي: ويطلق على

١ ـ داعي البلاغ ٢ ـ والداعي المطلق ٣ ـ والداعي المحسور

المأذون: ويطلق على:

١ ـ المأذون المطلق ٢ ـ والمأذون المحسور ٣ ـ والمأذون المحدود.

المكاسر. والمؤمن البالغ. والمستجيب. ولعل هذه الرتب الثلاث خاصة بأفراد الشعب ودرجاتهم بالنسبة للدعوة. وما تقدمها خاصة برجال الموظفين في ظل الدعوة. وبالنسبة لظهور هذا التنظيم واختفائه له دوران وهما:

١ ـ دور الستر: وهو الدور الذي يقوم فيه الدعاة سراً بالدعوة إلى الباطنية الفكر والنظام. وهذا الدور قد ابتدأ في اليمن من سنة ٢٦٨هـ وهو العام الذي وصل بن حوشب منصور اليمن ورفيقه علي بن فضل إلى اليمن إلى سنة ٢٩١هـ وهو العام الذي خرج بن فضل وبن حوشب فيه بإعلان الثورة من قبل الجائعين على الشابعين كما كان هذا شعارهم. وهو عهد الظهور الأول.

ثم اختفت بعد قتل ابن فضل، وإبادة أتباعه، وبعد هزيمة أتباع بن حوشب

---

(١) أما من الناحية الإقتصادية فقد كانوا يأخذون زكاة الفطر ويفرضون على كل منتمٍ ضريبة أولها ـ النجوى وهي دينار. ثم ـ الهجرة ـ مثلها، وتؤخذ من كل بالغ سن الرشد ثم ـ البلغة ـ وهي سبعة دنانير، ومن وصل منهم إلى هذه الدرجة فرض عليه خمس ما يملك. ثم فرضت القرامطة فريضة الألفة ـ وهي التخلي عن كل ما يملك للقائم ويصبح كل شيء بين الأتباع مشتركاً. دي خويه القرامطة ص ٣٤ ـ ٣٥

من قبلهم هو داود بن عجب شاه، فاستنكفت الفرقة المستعلية باليمن أن تكون خاضعة لداعية الهند، ولعل ذلك محافظة منهم على الذاتية اليمنية كما سلف ذكره وعينوا من قبلهم داعية يمنياً اسمه سليمان بن الحسن ت ١٠٠٥هـ وعرف لهذا أتباع القسم الهندي بالداودية وعرف القسم اليمني بالسليمانية. وداعية الداودية ـ البهرة ـ مقيم في بومباي الهند. وداعية السليمانية مقيم بنجران ـ المملكة العربية السعودية وداعيتهم هو علي بن حسين النجراني[1] وتعرف في اليمن باسم ـ المكارمة ـ.

أما الفرقة النزارية وهم أتباع نزار بن المستنصر، فالإمامة في نظرهم ما تزال مستمرة ولا يقرون بغيبة الإمام أو إستتاره، ويواصلون سلسلة الأئمة بابنه نزار، ثم بأحفاده كما يقولون حتى عصرنا هذا، وتعرف هذه الفرقة في عصرنا بالأغاخانية، وأكثرهم في الهند. ويعتبرون من أئمتهم الحسن بن الصباح ت ٥١٨هـ صاحب قلعة الموت من نواحي قزوين وأتباعه المشهورين بالحشاشين.

ومن الفرق الاسماعيلية المعاصرة فرقة الدروز المقيمة في لبنان، وسوريا، وفلسطين، والمغرب العربي، وإمامهم الإسماعيلي الأخير هو الحاكم الفاطمي المستتر في نظرهم حتى ما يشاء الله. ومن أعلام دعاتهم حمزة اللباد الأعجمي الدرزي ـ هادي المستجيبين. ومحمد ابن إسماعيل الدرزي، وأحمد حميد الدين الكرماني. وممن اشتهر بالدعوة إلى الباطنية في اليمن شاعر الدولة الصليحية الخطاب بن الحسن الهمداني في رواية الإمامة لعارف تامر، وله مؤلفات عديدة منها غاية المواليد. ومنيرة البصائر. وإعجاز القرآن ت ٥٣٣هـ.

ومن شعره الباطني مخاطباً إمامه المستور (وهو الطيب بن الأمر بن المستعلي):

يا من نسميه تعريفاً نقرره	شخصية في نفوس القوم تقريرا
إشارة ورموزاً تحتها نكت	من العلوم سترناهن تستيرا
ولو نشاء لقلنا في النداء له	بالصدق: يا حي يا قيوم مشهورا
يا عالم الغيب والشهادة يا	باري البرية تركيبا وتصويرا
شهدت أنك فرد واحد صمد	شهادة لم تكن ميناً وتزويرا
وجهت وجهي في سري وفي علني	إليك حمدا وتهليلا وتكبيرا
أبا علي إمام العصر ناطقه	كناية عنه لا تحتاج تفسيرا

(١) كان هذا إلى سنة ١٣٩٠هـ ثم توفي واختاروا بدلاً عنه الشيخ حسن المزاحني من عدين اليمن ووصل إلى نجران ليخلف سلفه في الدعوة أ هـ عن بعض الإخوان المقيمين بنجران.

وروى ذلك القاضي عبدالله بن عبد الوهاب المجاهد الشماحي في كتابه تاريخ اليمن الإنسان والحضارة ص ٣٦٢.

وبهذا التنظيم السياسي للباطنية تمكنوا من الحفاظ عليها رغم معائبها كما رأيت. ولعلنا بعد هذا قد عرفنا الباطنية وما تعنيه فكراً وسلوكاً وممارسةً وهي التي حاربها الإمام الهادي ومن بعده الأئمة الهداة.

وبقي الآن أن نعرف ماذا كان دور الدولة الفاطمية في العقيدة الباطنية السالفة الذكر؟ وإذا رجعنا إلى ما سبق ـ وجدنا أن الباطنية قد تجاوزت إسماعيل بن جعفر في سلسلة الإمامة في نظرهم. وجعلتها في المركز المقابل للعقل الأول، وقسمت من أجله الحياة إلى سبعة أدوار ألغت فيها النبوة السماوية. وجعلتها من قبيل تربية وتعليم ما سموه بالإمام المقيم... إلى آخر ما سلف ذكره.

وهذا وأمثاله مما تكذبه الدولة الفاطمية جملة وتفصيلا، بدليل ما رواه قاضيها النعمان التميمي ت ٢٦٣هـ في عهد المعز الفاطمي ـ في كتابه دعائم الإسلام، ومن ذلك جواب الإمام جعفر الصادق عليه السلام القاضي بتكفير كل من زعم تحليل البنات والأمهات وتحليل الخمر، ومن يدعي أن لما أمر الله من صيام، وصلاة، وحج، وزكاة، ونحوها معاني ظاهرة، وأخرى باطنة، تناقض منطوقاتها العربية، ومفهوماتها الشرعية.... إلى آخر النص الذي نقله الشيخ محمد زهرة في كتابه الإمام جعفر الصادق ص ٥٧ ـ ٥٨. ومن المعلوم أن أئمة الدولة الفاطمية من أحفاده، ويدينون بإمامته، ويتمذهبون بمذهبه، ولا هنالك ما يوجب القطع بغير ذلك. وإذا كان لهم شيء من البدع فهي لا تدخلهم في المذهب الباطني السالف الذكر وفلسفته في الوجود وخالقه كما تقدم. ولهذا فسوف يبقى نسبة ذلك إلى الأئمة الفاطميين محتاجاً إلى الدليل القاطع من كتب الفاطميين ونصوص أئمتهم. ومع عدم وجود ذلك فإنتساب الباطنية إليهم لم يكن إلا لمجرد التستر والتغطية كما سبق ذكره. والله أعلم.

وبعد فقد سبقت الإشارة إلى أن الزعامات اليمنية التي خذلت الإمام الهادي وحاربته قد رجعت إليه لما أحسوا وعرفوا بما قد أحاط بهم من أخطار ابن فضل القرمطي وابن حوشب الكوفي، ورجعوا مع الصادقين المؤمنين إلى الإحتماء بالإمام الهادي شخصاً ومذهباً لما يدعو إليه ويمثله سلوكاً وممارسةً من مضامين ومفاهيم إسلامية ترضي الفقراء ولا تسخط الأغنياء وتلك مزية الإسلام على سائر الملل والنحل.

واستجاب الهادي عليه السلام لداعي الواجب وهب من جديد لتطهير صنعاء واليمن من ضلال القرامطة والباطنية بشكل عام. وعبّأ جيوشه وأشعلها حرباً على الباطنية، ومن بغى عليه من غيرهم ومكث على هذه الحال من سنة ٢٩٤هـ حتى سنة وفاته ٢٩٨هـ رضوان الله عليه.

وفي خلالها طهّر صنعاء من القرامطة مرتين، وسحقهم مرات في نجران، وغير نجران ومن أراد الاطلاع على ذلك فعليه بسيرته المطبوعة وأمثالها من كتب التاريخ.

وبقي علينا الآن أن نعرف الإمام الهادي عليه السلام نسباً وسلوكاً بعد أن عرفناه فيما تقدم عقيدة وإماماً ،لنتمكن بعد ذلك من العلم بحسن اختيار أولئك اليمنيين الذين تجشموا الصعاب حتى اختاروا الإمام الهادي ليكون لهم إماماً وقائداً، ومن العلم بخطأ الذين عارضوهم، أو انتقدوهم على ذلك. فمن هو الإمام الهادي؟:

هو: الإمام الهادي إلى الحق يحي بن الحسين بن القاسم بن إبراهيم طباطبا بن إسماعيل الديباج بن ابراهيم الشبه بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن الإمام علي بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم.

مولده في المدينة المنورة. سنة ٢٤٥هـ دعوته الأولى ٢٨٠هـ دعوته الثانية ٢٨٤هـ موته رحمه الله ٢٩٨هـ.

صفته الشخصية: قال الإمام المنصور عبدالله بن حمزة رضوان الله عليه:

كان الإمام الهادي أسدياً - أي يشبه الأسد - أنجل العينين. غليظ الساعدين بعيد ما بين المنكبين والصدر. خفيف الساقين والعجز كالأسد.

سلوكه: هو باختصار أشبه في سلوكه برسول الله، وعلي كرم الله وجهه، وقد كان يحلف أمام الجماهير بأنه لم يغب عن الناس إلا شخص الرسول أما سيرته، وسلوكه، فهو يحذوها حذو القذة بالقذة. ولم ينكر عليه أحد حتى أعداؤه.

وأجمع واصفوه بأنه لم يتجاوز في سيرته كلها قبل الإمامة وبعدها حدود الورع، والتقوى، والعدل، والإنصاف.

وكان لا يفضل نفسه على غيره، سبّاقاً إلى الخير حيث كان ومهما كان، وكان يجارح الجرحى في الحروب بنفسه، ويطعم الأيتام بيده. وكان يقرىء السلام على الصغير، والكبير، ممن يعرف وممن لا يعرف. وكان يكره الظلم، والقهر، والغصب،

والنهب، ولا يرضى بذلك. ومن أجل هذا فقد ترك اليمن وحكمه، ورجع إلى الحجاز بعد خروجه المرة الأولى لَمّا رأى من أصحابه عدم الطاعة لأوامره ونواهيه في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

وقال كلمته المشهورة: والله لن أكون فيكم كالمصباح يحرق نفسه ويضيء لغيره، ولكن أهل اليمن أفتقدوه، ورجعوا إليه بعد سنتين، وطالبوه بالخروج، وتعهدوا له بالطاعة، فلبى النداء وخرج إليهم للمرة الثانية سنة ٢٨٤هـ.

وفي سيرته العجب العجاب في هذا الموضوع، فمن أراد الإطلاع عليها رجع إليها، وهي مطبوعة منشورة بحمد الله.

الشهادة له وللأئمة من بعده

شهد له وللأئمة الهداة من بعده كبار المؤرخين، والعلماء المحدثين في العالم، وكلهم من غير أتباع المذهب الزيدي. فمن ذلك شهادة ابن حزم الظاهري فقال:

ليحيي هذا الملقب بالهادي رأي في أحكام الفقه قد رأيته، ولم يبعد فيه عن الجماعة. وقال يحيى بن أبي بكر العامري الشافعي في الرياض المستطابة بعد أن أثنى على الأئمة:

جاء - أي الإمام الهادي - إلى اليمن وقد عم بها مذهب القرامطة، والباطنية فجاهدهم جهاداً شديداً، وجرى له معهم نيف وثمانون وقعة لم ينهزم في شيء منها، وكان له علم واسع، وشجاعة مفرطة. ثم قال العامري: وذكر إبن الجوزي وغيره: أن الأئمة المتبوعين في المذاهب الإسلامية بايع كل واحد منهم لإمام من ائمة أهل البيت النبوي الشريف، بايع أبو حنيفة - الإمام إبراهيم بن عبدالله. وبايع مالك - لأخيه محمد. وبايع الشافعي لأخيهما يحيى.

وقال ابن حجر في الفتح الباري شرح البخاري في شرح حديث - لا يزال هذا الأمر في قريش ما بقي منهم إثنان. قال: لقد صدق الحديث ببقاء الأمر في قريش باليمن من المائة الثالثة في طائفة من بني الحسن، ولا يتولى الإمامة فيهم إلا من يكون عالماً متحرياً للعدل.

وبهذه الشهادات وكفى نعرف حسن اختيار أولئك اليمنيين الأخيار للإمام الهادي رضوان الله عليه.

وختاماً فهذا ما تمكنت من كتابته عن - الزيدية - نظرية وتطبيق - لغرض

المشاركة في بعث التراث الإسلامي من جهة، ولتصحيح المفاهيم الخاطئة عنه من جهة أخرى. سائلاً المولى عز وجل أن يجعل هذا الجهد خالصاً لوجهه، وأن يجعل بفضله جزاءه المثوبة، والرحمة، والغفران لي ولوالدي وللمؤمنين، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله الطاهرين. وكان الفراغ من جمعه في خامس شهر ذي الحجة الحرام سنة ثمان وتسعين وثلاثمائة وألف هجرية بحول الله وقوته والحمد لله رب العالمين. كاتبه علي بن عبد الكريم بن محمد الفضيل بن عبدالله شرف الدين.

يليه صور عملة النقود اليمنية ثم المراجع والفهرس

العملة النقدية لأئمة اليمن وسلاطينها

العملة: هي القطعة المعدنية، أو الورقية التي تمثل قيمة مالية معينة، لغرض التداول التجاري او نحوه.

ويقال: أن ظهور العملة المعدنية يرجع إلى ما قبل التاريخ الميلادي بثمانية قرون[١] وكان العرب يتعاملون بالعملات الساسانية والبيزنطية، قبل الإسلام وبعده، حتى عهد الإمام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه فضرب بدلاً عنها عملة عربية إسلامية في الكيفية والوزن[٢].

وكان عمر بن الخطاب قد أمر في عهده أن تضرب الدراهم الساسانية بوزن قدره ثلاثة غرامات، من أجل تحديد أموال الزكاة، فيكون الخليفة عمر قد عرّب وزن الدرهم لتلك المصلحة[٣] ثم تعاقبت العملات بتعاقب الأئمة، والملوك، والسلاطين. وكلها قد حافظت على الشعار الإسلامي وهو كتابة ـ لا إله إلا الله محمد رسول الله.

وكثيراً ما يضاف إلى هذا الشعار آية قرآنية، أو شعار سياسي، أو مذهبي، مع إسم الخليفة، أو لقبه، إلى جانب مكان وتاريخ العملة كما يظهر ذلك في النماذج الآتية عقب هذا.

والعملة لأية دولة هي في القديم والحديث مظهر من مظاهر حضارتها ودليل مادي

---

(١) الموسوعة العربية الميسرة مادة عمله.

(٢) في متحف الأوسمة بباريس يوجد درهم ضرب بالبصرة سنة ٤٠هـ أ هـ ذكره الدكتور محمد أبو فرج العشي في مجلة الإكليل العدد الخامس ص ٣٧.

(٣) نفس المصدر ص ٣٢.

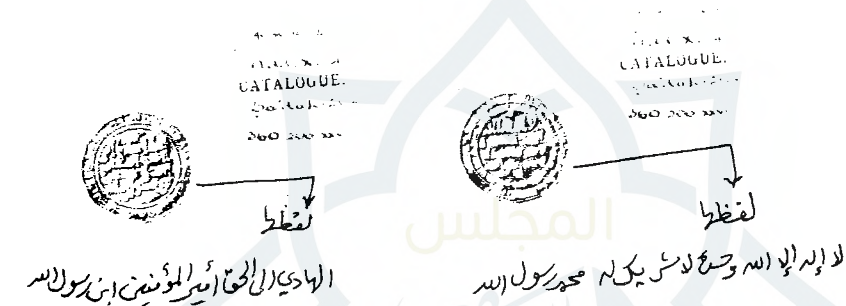
على مدى قوتها الإقتصادية، والسياسية، وما يتبع ذلك من سيادة، أو تبعية، واستقرار، أو خوف، ونحو ذلك.

وهي مع ذلك من أهم الوثائق التاريخية التي توضح الكثير من الجوانب التاريخية التي جهلها المؤرخون أو تجاهلوها لغرض أو لآخر.

وفيما يلي نماذج من العملات اليمنية للأئمة، وللسلاطين الصليحيين، والرسوليين.



١ ـ عملة يمنية للإمام الهادي رحمه الله



الإمام الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين بن القاسم الرسي الحسني رحمه الله هو أول إمام في اليمن من أئمة الزيدية من أهل البيت النبوي الشريف .

خرج إلى اليمن بدعوة أهل اليمن مرة أولى ٢٨٢هـ ثم عاد منها لمخالفتهم له في تطبيق الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ثم خرج مرة ثانية بدعوة أهل اليمن ٢٨٤هـ واستمر فيها حتى مات رحمه الله ٢٩٨هـ . وسيرته وعدله مشهور منشور

وهذه العملة التي بين يديك هي احدى عملات ثلاث لثلاثة دنانير من ذهب . وقد رأيتها في المتحف البريطاني ضربت إحداها بتاريخ ٢٩٢هـ بصنعا والثانية في ٢٩٥هـ بصعدة والثالثة في ٢٩٨هـ بصعدة .

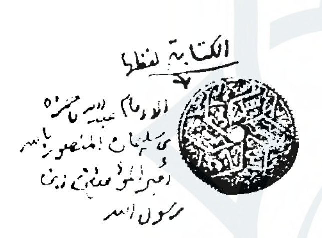
وقد أخذت من المتحف البريطاني صورة لكل عملة يمنية موجوده في المتحف ، غير أني لم أثبت منها في هذا الكتاب إلا أشهر العملات لأشهر الدويلات اليمنية التي حكمت اليمن في ظل حكومات خارجية .

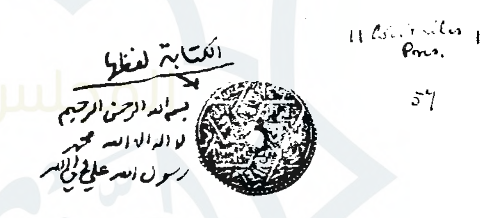
أما التي حكمت اليمن من قبل الإمام الهادي أو حكمته بعده بقوى عسكرية خارجية كالدولة الزيادية والنجاحية والأيوبية والعثمانية مثلا فلم أثبت شيئا منها لأنها حكومات مفروضة على اليمن بقوى خارجية .

وقد اثبت عملة الدولة الرسولية مع أن حكمها كان امتدادا للحكم الأيوبي دلالة وضمونا لما قيل أن الرسوليين ينتسبون إلى جبلة بن الأيهم الذي تنصر بعد أن أسلم بسبب لطمة عمر بن الخطاب رضي الله عنه والقصة مشهورة

والغرض من هذا هو ما ذكرته قبل هذا من أن العملة هي الدليل المادي على مدى قوة الدولة وسيادتها أو ضعفها وتبعيتها .

٢- عملة يمنية للإمام عبدالله بن حمزة





الإمام عبدالله بن حمزة ينتهي نسبه الى عبدالله بن الحسين بن القاسم الرسي الحسني وهو من أشهر أئمة أهل البيت في اليمن جهاداً واجتهاداً دعا سنة ٥٨٢هـ ومات سنة ٦١٤هـ .

تصارع صراعاً مريراً مع سلاطين بني أيوب وقواهم الكردية والمصرية إبتداء بالسلطان طغتكين ابن أيوب ثم أولاده المعز والناصر وأخيراً مع المسعود بن يوسف ومات بكوكبان شبام ثم نقل إلى ظفار ودفن فيه في عهد المسعود بن يوسف الأيوبي .

ويلاحظ أنه كتب في عملته الفضية لفظ « علي ولي الله » وإنما جعله شعاراً رداً على شعار الأيوبيين وقد اقتدى بهم الرسوليون كما سوف ترى في عملتهم . واستمر الحكم الأيوبي في اليمن من ٥٦٩هـ الى ٦٢٦هـ .

٢- عملة يمنية للإمام المهدي أحمد بن الحسين رحمه الله



الإمام المهدي لدين الله أحمد بن الحسين بن القاسم رحمه ينتهي نسبه الى محمد بن الإمام القاسم الرسي عم الإمام الهادي رحمهم الله
دعا سنة ٦٤٦هـ ومات شهيداً في شوال سنة ٦٥٦هـ .
تصارع مع الملك المظفر الرسولي وكان في السلم أو الحرب رجل الحق والعدل والكرم سيرته مشهورة رحمه الله
ويلاحظ أنه كتب في عملته الفضية لفظ «علي ولي الله» وإنما جعله شعاراً كما فعل الإمام عبدالله بن حمزة
رداً على شعار الدولة الرسولية حيث كانوا يكتبون في عملتهم لفظ «الأئمة الراشدون أبو بكر ، عمر ، عثمان ، علي .

٤ - عملة يمنية لسلاطين آل رسول



المستعصم بالله هو الخليفة العباسي وقد استمرت العملة حاملة اسمه فترة غير قصيرة في الدولة الرسولية التي حكمت الجزء الجنوبي من اليمن من ٦٢٦هـ الى ٨٥٨هـ وكلها في ظل الحكم العباسي المؤيد بالجنود الكردية والمصرية .

٥ - عملة يمنية للسلاطين الصليحيين والزريعيين

NUM. CHRON. 1964, PL. XX



LOWICK: DINARS OF THE SULAYHIDS AND ZURAY'IDS (I)

استمر الحكم الصليحي
من ٤٢٩هـ الى ٥٣٢هـ

المؤسس علي محمد الصليحي
تلميذ الداعية الاسماعيلي
سليمان بن عبد الله الزواحي .
مات قتيلاً في المهجم
وقاتله سعيد الأحول
السلطان النجاحي
واسر زوجته اسماء بنت شهاب .
وقام بعده ابنه المكرم الذي
انقذ أمه من الأسر بعد
معارك طاحنة فر بعدها
سعيد الأحول الى دهلك .
كان علي محمد الصليحي يكتب
في عملته الذهبية ما لفظه
« أمر به الأمير سيف الامام
علي بن محمد »
وفي الدائرة الثانية ما لفظه
لا إله إلا الله محمد رسول الله
علي ولي الله »
وفي خارج الدائرة ما لفظه
« الامام معد أبو تميم
المستنصر بالله
امير المؤمنين »
أما المكرم فقد كان يضيف
كلمة المتوج بعد كلمة علي
ولي الله .
وفي الدائرة الثانية ما لفظه « داعي امير المؤمنين الملك السيد المكرم عظيم العرب سلطان أمير المؤمنين .
وفي خارج الدائرة « الامام المنصور أبو علي الآمر بأحكام الله أمير المؤمنين صلوات الله عليه .

٦- عملة يمنية للسلاطين الصليحيين والزريعيين



LOWICK: DINARS OF THE SULAYHIDS AND ZURAY'IDS (2)

استمر الحكم الزريعي بعدن من ٤٧٠هـ الى ٥٦٩هـ وهو امتداد للحكم الصليحي وسلاطينها هم العباس والمسعود أبنا المكرم اليامي المعروفون ببني زريع وأحفادهم وكانوا يدفعون للسيدة أروى بنت احمد الصليحي في السنة مائة ألف دينار بصفتها المالكة لعدن بعد أن منحها اياها السلطان علي الصليحي صداقاً لها عندما زوجها بابنه المكرم. واستمر حكم الزريعيين حتى سنة ٥٦٩هـ أي أنها لم تثبت في الحكم بعد نهاية الحكم الفاطمي المصري إلا ثلاث سنين فقط. وشعارها في العملة هو شعار الدولة الصليحية غير أن عمران بن محمد الزريعي المتوفى سنة ٥٦٠ كان يكتب ما لفظه "أوحد ملوك الزمن ملك العرب واليمن عمران بن محمد"

المراجع

في أصول الدين

١ ـ شرح الأصول الخمسة. للإمام أحمد بن الحسين بن أبي هاشم الحسيني المعروف بمانكديم ـ أي:وجه القمر.

٢ ـ شرح المصباح. الثلاثين المسألة ـ للقاضي شمس الدين أحمد بن يحيي حابس. خ.

٣ ـ القلائد، للإمام المهدي أحمد بن يحيي بن المرتضى وهي من ضمن البحر الزخار.

٤ ـ رسائل العدل والتوحيد. للإمام القاسم بن ابراهيم، وحفيده الإمام الهادي يحيي بن الحسين، وللشريف المرتضى، وللقاضي عبد الجبار، وللحسن البصري.

٥ ـ الأساس. للإمام القاسم بن محمد.

٦ ـ تثبيت دلائل النبوة. للإمام المؤيد بالله.

٧ ـ إيثار الحق على الخلق. للإمام محمد بن إبراهيم الوزير.

٨ ـ فلسفتنا. للإمام محمد باقر الصدر.

٩ ـ شفاء العليل. لابن القيم.

١٠ـ شرح العقيدة الطحاوية.

في أصول الفقه

١ ـ كافل بن لقمان. للعلامة السيد أحمد بن محمد لقمان.

٢ ـ الغاية. للأمير الحسين بن القاسم.

٣ ـ معيار العقول. للإمام المهدي أحمد بن يحيي بن المرتضي وهو من ضمن البحر الزخار.

٤ ـ حصول المأمول من علم الأصول. للسيد محمد صديق حسين خان بهادر.

٥ ـ إرشاد الفحول. للشوكاني.

٦ ـ إجابة السائل وبغية الأمل شرح منظومة الكافل. للسيد الإمام محمد بن إسماعيل الأمير. خ.

في التفسير والحديث

١ - الكشاف. للزمخشري.
٢ - تفسير الأعقم. للقاضي الزاهد العلامة أحمد بن علي بن محمد بن علي الأعقم الأنسي.
٣ - الفتح القدير للشوكاني.
٤ - أضواء البيان. للسيد محمد الأمين الشنقيطي.
٥ - متشابه القرآن. للقاضي عبد الجبار.
٦ - جامع الأصول. لابن الأثير في الحديث.
٧ - سنن البغوي. للعلامة حسين بن مسعود الفراء البغوي في الحديث.
٨ - الروض النضير. للقاضي حسين أحمد السياغي.
٩ - توضيح الأفكار. للإمام محمد بن إبراهيم الوزير. في علوم الحديث.

في التاريخ

١ - سيرة الإمام الهادي. للعلامة السيد علي بن محمد بن العباس.
٢ - غاية الأماني. للعلامة السيد يحي بن الحسين بن القاسم.
٣ - تاريخ عمارة اليمني. وتعاليق كاي عليه. د - حسن سليمان محمود.
٤ - بهجة المحافل. للعامري.
٥ - اليمن عبر التاريخ. للعلامة السيد أحمد بن حسين شرف الدين.
٦ - اليمن الكبرى. للعلامة السيد حسين بن علي الويسي.
٧ - بلوغ المرام. للقاضي حسين العرشي.
٨ - تاريخ الطبري. لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري.
٩ - تاريخ المذاهب الإسلامية للشيخ محمد ابو زهره.
١٠- الإمام زيد.
١١- الإمام جعفر الصادق.
١٢- تاريخ العرب لفليب حتي.
١٣- الإمامة. لعارف تامر.
١٤- كشف أسرار الباطنية. للحمادي.
١٥- الإمامة والسياسة. لابن قتيبة.

١٦- الكامل. لابن الأثير.
١٧- مختصر تاريخ العرب. لسيد أمير علي.
١٨- اليمن الإنسان والحضارة. للقاضي عبدالله الشماحي.

مراجع عامة

١ - الموسوعة العربية الميسرة.
٢ - الوسيط في القانون الدستوري العام. لدكتور أدمون رباط.
٣ - شرح نهج البلاغة. لابن أبي الحديد.
٤ - البحر الزخار. للإمام المهدي أحمد بن يحيي بن المرتضى.
٥ - الأحكام. للإمام الهادي.
٦ - الأعلام. للزركلي.
٧ - الخلافة والإمامة. للخطيب.
٨ - القاموس المحيط. في اللغة لمجد الدين الفيروزبادي.
٩ - البدر الطالع.. للشوكاني وملحقه للسيد العلامة المؤرخ محمد زباره رحمهم الله.
١٠- فصل الخطاب في حديث العرض على الكتاب. لشيخنا العلامة مجد الدين بن محمد المؤيدي دامت بركاته. خ.
١١- التحف شرح الزلف. لشيخنا العلامة مجد الدين بن محمد المؤيدي دامت بركاته.
١٢ -الفتاوى الكبرى لابن تيمية.

فهرس الموضوعات

الصفحة

وصلى الله وسلم على محمد وآله الطاهرين ورضي الله عن الصحابة الراشدين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

واغفر اللهم لنا ولوالدينا وللمؤمنين أجمعين برحمتك يا أرحم الراحمين.

رقم الايداع لدى
مديرية المكتبات والوثائق الوطنية
(٤١٧) /١٠/ ١٩٨٤